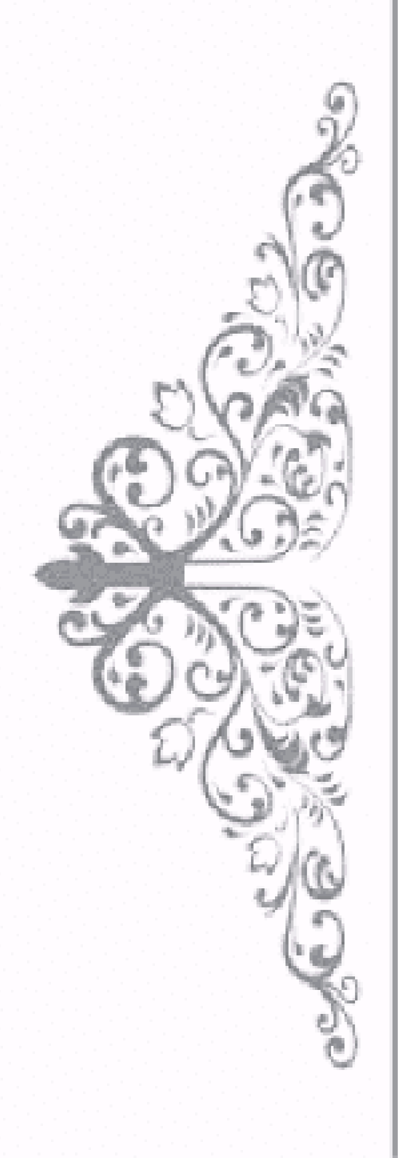
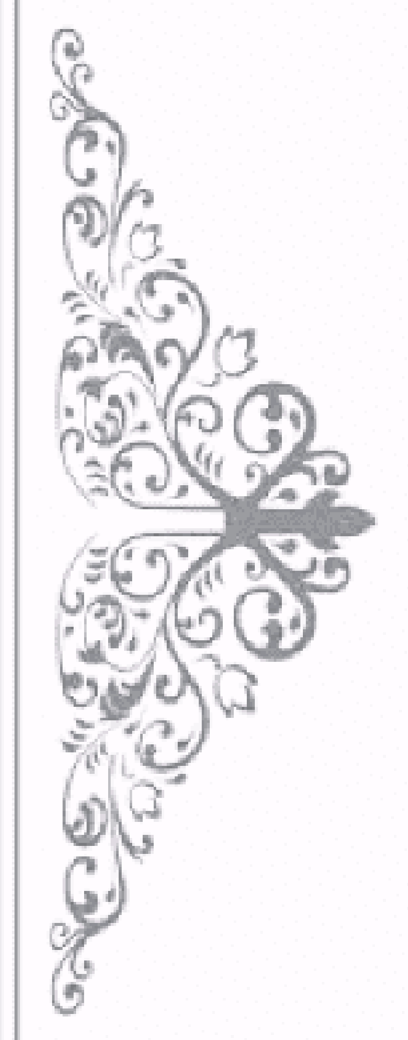

تانجل
Tangle

عنوان الكتاب : تانجل

المؤلف : إسلام شاهين

تصحيح لغوى : هند سعد الدين

تصميم الغلاف : أحمد مجدي

إخراج فنى : عبد الله رجب

رقم الإيداع : ٢٥٥٨٦ / ٢٠١٨

ردمك : 978-977-6549-81-4

الطبعة الأولى : ديسمبر ٢٠١٨



رئيس مجلس الإدارة: شريف الليثي



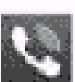
دار تويا للنشر والتوزيع

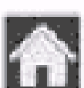
 dartoya2015@gmail.com

 دار تويا للنشر و التوزيع Dar.toya

 @Dar_Toya

 Dar.toya

 (+2) 01202222098

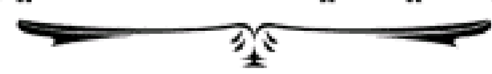
 ٣٥ شارع النصر - المعادي - القاهرة - مصر

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

اهداء

إلى من جعل الشباب يقرأون..
كُنت طفلًا لم يتجاوز العاشرة عندما ساقتني الأقدار للركن الخاص بِـ أعمالك بمكتبة مصر العامة، حينها كنت أطالع مجلات ميكي، وقصص تان تان المصورة فقط، فجأة وجدتني أطرق أبواب عالم جديدة، عالمك الساحر الآخاذ، جذبتني بِأسلوبك الساحر وبأفكارك المُميزة، وبمرور الوقت وجدتني أستبدل القصص المصورة بأعمالك، كنت أقرأ لك روايتين أسبوعيًا على الأقل، نقلتني سريعًا من مرحلة الطفولة إلى مُستهل النضج والإدراك، حتى جاءت تلك اللحظة الفارقة في حياتي، عندما حملت القلم بين أصابعي وقررت أن أكتب، كنت ما زلت صغيرًا، أحاول أن أحاكيك وأقلد اسلوبك، ظللت أنهل من علمك وحكمتك، حتى استطعت في النهاية أن أكتب وقتها كما تمنيت، وقتها أدركت شغفي في هذه الحياة، أنا أريد أن أصبح كاتبًا، أن أنشر الأخلاق الفاضلة في المجتمع عن طريق قلمي، أن أضيف قيم جديدة في كُل عمل من أعمالي، أريد.. أريد أن أصبح مثلك.
علمت أيها العراب الحنون والصديق الوفي.. أنني أصبحت ما أنا عليه الآن، بمساعدتك أنت.

إلى دكتور: أحمد خالد توفيق رحمه الله.
سلامٌ عليك أيها الخالد.. مدين لك.



‖ عندما تتشابك المصائر ‖



- "يلّا يا أمّي شدّي حيلِك شوية، الضيوف زمانهم على وصول"
- "وأنا أعمل إيه يعني يا حاتم يا ابني أقطّع نفسي؟ ما انتَ اللي قولت لي متأخر وزنقتني في الوقت!"
- "والله يا أمّي غصب عنّي، أنا ما صدّقت عرفت أجمّعهم كُلّهم، ده إحنا بقالنا ييجي أربع سنين متجمّعناش."
- "ياااااه يا ابني، هو الوقت بيجري بسُرعة كده! ده أنا لسّه فاكرة أيام الدروس والثانوية العامّة كإنّها كانت امبارح، ولمّا كُنتوا بتاخدوا دروسكم في الصالة برّه، ولسّه فاكرة ساندوتشات الجبنة واللانشون اللي كُنت بعملها لكم كإنّي لسّه عاملاها النهاردة الصُبح!"
اتحركت ناحية طبق الكُفتة وخطفت صُباع كُفتة من غير ما تاخُد بالها، لفّيته في منديل بسرعة وحطيته في جيبي، وبعدين قُلت لها:
- "والله يا أمّي.. ولا أنا مصدّق إن العُمر جري بينا كده، عارفة.. أيام الثانوي كُنّا مُقتنعين إن مفيش حاجة هتقدر تفرّقنا أبدًا، عُمرنا ما تخيّلنا إننا مُمكن نوصل للمرحلة اللي إحنا فيها دي، نُقعد بالسنين متفرقين، ومش عارفين نتجمع في مكان واحد طول الفترة دي كُلّها!"
- "الدُنيا تلاهي يا حبيبي، معلش أعذُرهم، أكيد كُل واحد فيهم الدُنيا خديتُه وحدفته شمال ويمين، ده انتَ نفسك يا حبّة عيني، مسلمتش من بهدلة الدُنيا."
ابتسمت، وهزّيت راسي وقُلت لها:
- "بالظبط.. بالظبط يا أمّي، كُلّنا اتبهدلنا وتعبنا، وفينا اللي لسّه بيعافر مع الدُنيا ومشاكلها ومش عارف يعمل إيه! عشان كده كان لازم نتجمع، يمكن لمّا نفضفض ونفتكر أيام زمان نستريح شوية."
- "ربنا يجمعكم وما يفرقكم أبدًا يا حبيبي، يلّا.. روح الصالة وافتح النيش وطلّع طقم الكوبايات بتاع الضيوف، وحِسّك عَينك كوباية تُقع تتكسر منّك، هكسر رقبتك وراها."
ضحكت وضربت كف على كف وأنا بقول لها:
- "طقم الكوبايات مرة واحدة! الله يرحم أيام ما كانوا بيشربوا العصير من الإزازة على طول."

- "ساعتها كُنتم عيال لسّه مطلعتوش من البيضة."

- "ودلوقتي؟"

- "لسّه عيال برضو، بس خلاص طلعتوا من البيضة وفردتوا ريشكم، يبقى تشربوا في طقم الكوبايات."

ضحكت مرة تانية، روحت لحد عندها ومسكت إيدها، رفعتها لحد شفايفي وبوستها برفق، وبعدين قُلت لها:

- "ماشي يا ست الكُل، عن إذنك بقى."

سبتها واتحركت ناحية باب المطبخ، وقبل ما أخرُج لقيتها بتقول لي:

- "بعد ما تاكُل صُباع الكُفتة قولي الملح مظبوط ولا لأ، ماشي؟"

بصّيت لها لقيتها بتبصّ لي بلؤم، طول عُمرها فاقساني، ابتسمت لها وهزّيت راسي، واتحرّكت ناحية النيش، طلّعت المُفتاح من الدُرج وفتحت الدرفة الكبيرة، وطلّعت الطقم بالراحة، تمَن كوبايات بالتمام والكمال، على قدّنا بالظبط، بعد ما طلّعت طقم الكوبايات لقيت إنّ كان في حاجة مستخبيّة وراه، صورة قديمة محطوطة جوّه برواز ذهبي جميل، ركّزت في الصورة أكتر، وبعدين شهقت، كانت صورة شلّتنا، الصورة الوحيدة اللي جمّعتنا كُلّنا، واللي كانت ضايعة منّي بقالها سنين، طلّعتها ونفُضت التُراب من عليها وأنا مُبتسم ابتسامة بلهاء، وفضلت أدقق في ملامح صُحابي اللي الزمن غيّرها، زي ما غيّر ملامحي أنا كمان..؛

كُنّا متصوّرين هنا في الصالة، والخلفية كانت نفس الخلفية الموجودة دلوقتي، الصالون المُدهب والنجفة الكريستال، وصورة بابا وماما في فرحهم على الحيطة، اتحركت ناحية البلكونة وأنا لسّه باصص في الصورة وبحاول أفتكر مُناسبتها، وأول ما طلعت البلكونة افتكرت، كان عيد ميلاد "ياسمين"، وكان عندنا درس فرنساوي في اليوم ده، وأول ما مسيو"مُراد" خلص الحصة ومشي..

فاجئناها كُلنا، ماما عملت كيكة وحطّت فيها 17 شمعة، عدد سنين عُمرها وقتها، وكُل واحد فينا قدّم لها هدية مُختلفة عن التانية، حاولت أفتكر أنا كُنت جايب لها إيه، بس

معرفتش، رجعت تاني أركز في ملامح "ياسمين"، كانت أجمل بنت في الشلة، عدّيت بعيني في الصورة على بقية الشلّة، "مريم" دحيحة الشلّة اللي كانت بتلبس نضّارة أكبر من وشّها.
"نور" اللي شقاوة الدنيا كُلها كانت متجمّعة فيها، والقُطتين اللي كانت بتحب تعملهم في شعرها، و"شروق"، البنوتة الهادية اللي كانت دايمًا بتيجي الدرس لابسة فُستان وعاملة شعرها ديل حُصان..
نيجي بقى للولاد، كُنّا واقفين وراهم بما إننا كُنا أطول منهم، كُنت واقف أنا على اليمين خالص، وجمبي كان واقف "مُصطفى"، أكتر واحد دمّه خفيف في الشلّة، وبعدين "هشام"، الأكّيل بتاعنا، وأخيرًا "يوسف"، الدُنجوان، واللي كانت بنات المدرسة كُلّها بتجري وراه..
افتكرت كُل حاجة حصلت في اليوم ده بتفاصيلها، وافتكرت كمان إن اللي صوّرنا هو بابا الله يرحمه، بالكاميرا القديمة بتاعته، تقريبًا كانت آخر صورة يصورها لنا، أيوة.. الصورة دي كانت قبل امتحانات الثانوية بشهر واحد بس.
طلّعت صُباع الكُفتة من جيبي وقطمت منه حتة، إبداع يا أمي والله، عملتي الكُفتة مخصوص عشان الواد "هشام" اللي كان بيعشقها من إيدِك، استنّي بس لمّا تشوفيه النهاردة، مش هتعرفيه، خس وعمل فورمة بعد ما دخل كُلية التربية الرياضية، واتخرّج منها وبقى كابتن في أكبر جيم في مصر، كُل شوية ينزل صورة ليه على الفيس وهو مبيّن الفورمة وبيستعرض عضلاته، حقّه بصراحة، مش "هشام" بس اللي اتغيّر، كُلّنا اتغيّرنا بشكل أو بآخر، "ياسمين" لسّه جميلة زيّ ما هيَّ، بس جمالها البرئ بقى عملي أكتر، أصلها اشتغلت في بنك أجنبي بعد ما اتخرّجت من تجارة إنجليزي بتقدير كُويس، عشان كده هيئتها اتغيرت، وبقيت بشوف لها صور على الفيس وهيَّ لابسة بدلة نسائية شيك، ومظبطة شعرها كويس، أغلب صورها بتكون في شُغلها، وده خلاني أحس إن الشُغل واخد مُعظم وقتها، خصوصًا إنّها كانت أكتر واحدة بتتحجج بالشُغل لمّا كُنت بحاول أجمّعنا، بيقولوا الشُغل والمسؤولية بيغيّروا، معقولة تكون اتغيّرت؟ مش عارف!
بس اللي أنا واثق منّه إن أكيد "مريم" اتغيّرت كتير عن زمان، "مريم" الدحيحة بقت عازفة معروفة في أوساط الأندر جراوند، تخلّت عن النضّارة الكبيرة واستبدلتهم بعدسات زرقاء، صبغت شعرها أحمر، وكونت فرقة موسيقية صُغيّرة كده، بيعملوا حفلات كتير في

وسط البلد وشارع المُعز، لمّا كُنت بشوف لها إيفنت لحفلة من حفلاتها كان بيبقى في نيتي إني أروح، بس دايمًا كانت بتطلع لي حاجة يوم الحفلة، وأوقات كُنت بكسَل برضو، "نور" اختفت من عالفيس ومبقتش بتفتح خالص، قابلتها صُدفة في الشارع واتصدمت من شكلها اللي اتغيَّر عن زمان كتير، تخنت جدًّا، والشقاوة اللي كانت في يوم بتنُط من عينيها مبقتش موجودة، لفّت شعرها بطرحة خفيفة، وكانت لابسة بلوزة وجيبة مش مُتناسقين مع بعض خالص، وحاوِلت تداري التجاعيد والحبوب اللي ظهروا على وشّها بميك أب زيادة عن الطبيعي، حاولت أداري صدمتي بشكلها وقتها، سلِمت عليها، وعزمتها على التجمع بتاعنا.

"يوسف" كمان اختفى تمامًا، يُعتبر معرفش عنّه حاجة ولا بيعمل إيه في حياته من ساعة ما اتخرّج من آداب، أمّا بالنسبة لــ"مُصطفى" و"شروق"، فَـــ دول أكتر اتنين كُنت بعرف أشوفهم من وقت للتاني، "شروق" اتخرّجت من كُلية الإعلام قسم صحافة، وغيّرت الفُستان البناتي وبقت بتلبس بناطيل جينز واسعة وقُمصان كاروه، قصُرت شعرها، واقتحمت الحياة ومصاعبها بقلمها اللي مش بيسكت عن الحق أبدًا، "مُصطفى" كان معاها في الكُليّة بس قسم علاقات عامة، بعد التخرج اشتغل في شركة مُحترمة، شُغلانة لذيذة ومش بتستهلك كتير من وقته، وده سمح لنا إننا نشوف بعض كُل فترة، وأوقات "شروق" كانت بتنضم لينا، مُعظم كلامنا كان بيبقى عن الشُغل وأحوال البلد، مكُناش بنتكلم عننا إحنا، عن مشاكلنا وأوجاعنا، مابقيناش نعرف نتكلم مع بعض زيّ زمان، برغم إنّي كُنت مُتأكد إن كُل واحد فينا كان معبي، وجُوّاه هموم تهد جبال، عشان كده فكرت إننا نتجمع كُلّنا، على أمل إن وجودنا إحنا التمانية مع بعض هيخلينا نقدر نتكلم، يمكن نقدر نخرج اللي جُوانا، يمكن نلاقي حلول لمشاكلنا، وحتّى لو ملقيناش، نبقى عالأقل اتكلمنا..

بصّيت في ساعة إيدي لقيتها خمسة إلا عشرة، وفي اللحظة دي لقيت جرس الباب بيرن، قلبي دق دقة فرحة، اتحركت بسُرعة ناحية الباب وأنا مستني أشوف مين أول حد جه، فتحت الباب، ولقيتهم "مُصطفى" و"شروق"، زيّ ما توقعت بالظبط، "شروق" زغرت لي وقالت لي:

- "جايين بدري أهو عشان متصدعناش، وسَّع كده خليني أدخُل أسلَّم على ماما، يا أم حاااتم.. انتي فين يا ست انتي؟"

زقّتني ودخلت المطبخ على طول ولا كإني واقف، ضحكت أنا و"مُصطفى" بصوت عالي، وبعدين لقيته بيقول لي:

- "تصدّق بإيه.. والله وحشتني، خُش في لحم أخوك يا فوّاز"

حضنته جامد وبعدين دخلته وقفلت الباب وراه، اتحركنا ناحية الصالون واحنا سامعين صوت "شروق" العالي، وصوت ضحكة ماما في المطبخ، قعدنا أنا و"مُصطفى"، وفضلنا نضحك ونسف على بعض شوية، لحد ما "شروق" طلعت من المطبخ وفي إيديها طبق محشي صُغير، قلعت جزمتها وربَعت على الكُرسي اللي جمبي، وابتدت تاكُل المحشي صُباع ورا التاني، وبعدين قالت وهيَّ بتاكُل:

- "أمّك بتعمل محشي حلو أوي ياض يا حاتم."

- "ياض يا حاتم! أنا نفسي أفهم انتي جرا لك إيه؟ فين شروق البنوتة الهادية الرقيقة اللي مكُناش بنسمع لها حس في الحصّة؟ عملتي فيها إيه انطقي؟"

لقيت "مُصطفى" بيغمز لي وبيقول لي:

- "رقة إيه يابا صلّ ع النبي، الكلام ده كان زمان، مش شايف بتاكُل المحشي إزّاي؟ يا بت بالراحة هتبلعي لسانك!"

- "ملكش فيه يا عم مُصطفى، خليك في حالك بدل ما أقوم أكلك انتَ شخصيًا"

- "اتفضل يا سي حاتم، مش بقول لك كان زمان وجبر!"

ضحكنا في اللحظة اللي رن فيها جرس الباب للمرة التانية، بصّينا إحنا التلاتة على الباب للحظة، وبعدين بصّينا لبعض، وكأننا مش مصدّقين إننا فعلًا هنتجمع كُلنا، مش هنبقى إحنا التلاتة وبس، قُمت عشان أفتح لقيت "شروق" بتشاور بإيدها وبتقوم وهيّ بتقول:

- "خلّيك.. خلّيك، أنا عايزة أنا اللي أفتح وأستقبلهم"

لقيت "مُصطفى" بيضحك وبيقول لها:

- "ما بلاش، هيتسِرعوا لمّا يشوفوا النيولوك اللي انتي عامله ده"

- "بس يالا"

قالت الجُملة الأخيرة وفضلت تتنطط بخفَّة ناحية الباب، وأول ما فتحته عشان تشوف مين، سمعنا صوت صرخة حادة مزدوجة ومُرعبة، مُرعبة لدرجة إنّي اتخضّيت، وماما خرجت من المطبخ عشان تشوف في إيه، لقيت "مُصطفى" بيضحك جامد وبيقول لي:

- "مش قُلت لك هيتسِرعوا.. قابل يا سيدي"

مستوعبتش إلا لمّا لقيت بنت بتنُط في حُضن "شروق"، ولمّا ركّزت في هيئتها، لقيتها "مريم"، واكتشفت إنّهم صوّتوا من الفرحة لمّا شافوا بعض، فجأة لقيت "هشام" بيظهر في الصورة، بجسمه العريض وابتسامته اللي كانت طالعة من القلب، كان بيضحك وهو بيضرب كف على كف على منظر "شروق" و"مريم"، عداهم ودخل، وسلّم على أمّي، وبعدين جه ناحيتنا، فَـ وقفت أنا و"مُصطفى" وخدناه بالحُضن وإحنا لسّه مش مصدقين، "مريم" اتأخرت شوية على الباب مع "شروق" عشان كانت بتسلّم على ماما، وفجأة، لقيت "مريم" بتجري عليّا وهي بتقول بصوت عالي:

- "توما!"

- "توما؟!"

استغربت الاسم وتحركها ناحيتي بالشكل ده، فجأة لقيتها بترمي نفسها في حُضني، كانت أقصر منّي فَـــ اتشعلقت فيا زيّ العيال الصُغيّرة، كُل ده وأنا مش مستوعب اللي هيَّ بتعمله، بصّيت للعيال لقيت "هشام" بيضحك وبيمُط شفُته التحتانية وبيرفع كتفه لفوق وهو مُبتسم، "مُصطفى" كان مستغرب زيّي، و"شروق" كانت بتاكُل محشي عادي..

سابتني أخيرًا وبصّت لي باشتياق حقيقي، دقّقت في ملامحها، كانت عاملة بيرسينج في مناخيرها وحواجبها، وحاطّة روج موف غامق، شعرها اللي كان أحمر في الصور صبغته تاني وبقى أزرق، والعدسات الزرقاء بقت خضراء، كُنت بحاول أطلع من ملامحها صورة "مريم" صاحبتنا ونضّارتها الكبيرة، "مريم" اللي الحبوب كانت مالية وشّها واللي مكانتش بتحُط ذرة ميك اب، لقيتها بتقول لي:

- "وحشتني أوي يا حاتم، بجد.. بجد وحشتني، مجيتش ليه الحفلة اللي فاتت زيّ ما وعدتني؟"

- "ها؟ أصل، أصل.."

- "انتَ لسّه هتقول لِي أصل وفصل.. لأ أنا زعلانة منّك خالص، زعلانة ومش هكلمك تاني و.. إيه ده؟ تيفا! يخرب عقلك!"

بصّت ناحية "مُصطفى" ووجهت له الكلام، وابتدت تتحرك ناحيته عشان تُحضنه، فِي اللحظة اللي "مُصطفى" وقف فيها وحط إيديه الإتنين قُدّامه بطريقة دفاعية، وقال:

- "حبيبة قلبي، واحشاني يا مريم والله، بس والنبي من غير أحضان، أنا مصاحب وصاحبتي لو عرفت هتدبحني!"

- "بقى كده؟ ده حُضن سريع يعني يا تيفا الله"

- "يا مريم والنبي بلاااش"

مدتوش فُرصة يقول حاجة تاني، حضنِته بسُرعة ومعرفش يقاومها، استغربت أكتر ومِلت على "هشام" وقُلت له:

- "هو في إيه؟"

- "علمي علمك يا حاتم يا أخويا، دي فضحتني تحت البيت وإحنا طالعين، شافتني من بعيد وطلعت تجري عليا وهيَّ بتصوت، وحضنتني فــــ نُص الشارع"

- "مريم؟"

- "آه والله، سُبحان مُغيّر الأحوال يا جدع"

بصّيت عليها لقيت "مُصطفى" بيحاول يفلفص منها وهيَّ بتخبطه فِي دراعه وبتلومه عشان مبيسألش، ابتسمت وأنا شايفنا احنا الستّة واقفين فِي الصالة زيّ زمان، وفِي اللحظة دي، رن جرس الباب للمرة التالتة..

سبتهم واتحركت ناحية الباب بسُرعة، فتحته، عشان ألاقي قُدّامي "ياسمين"، كانت لابسة بدلة الشُغل وجزمة بكعب عالي، وكانت شايلة على كتفها شنطة لاب توب، فَـــ توقعت إنّها لسه جاية من الشُغل حالًا، أول ما عيوننا اتقابلوا ابتسمنا لبعض، مدّيت إيدي عشان أسلّم وقُلت لها بنبرة مليانة بهجة:

- "إزيك يا ياسمين.."

- "إزيك انتَ يا حاتم، كويس؟"

- "الحمدلله، لسّه زي ما انتي، زيّ القمر، مفيش فايدة"

ضِحكت برقّة..

- "وانتَ لسه بكاش زيّ ما انتَ، مش هتقول لي اتفضلي ولا إيه؟"

- "لأ إزّاي، اتفضلي طبعًا، العيال هينبسطوا جدًا لمّا يشوفوكِ"

وسّعت لها عشان تُدخل، فـــ دخلت وهيَّ مُبتسمة نفس الابتسامة، وعينيها على العيال، وقبل ما أقفل الباب قالت لي:

- "نور طالعة ورايا على السلم، خلي الباب مفتوح بقى"

سابتني وراحت للعيال عشان تسلّم عليهم، فـَـ اللحظة اللي لقيت فيها حد بيغمّي عينيا وبيقول لي بصوت مسرسع:

- "أنا ميـــــــن؟"

- "نور! والله عرفتِك من صوتِك"

لفّيت عشان أواجهها، وحاولت مبينش المرة دي استغرابي من التغيير اللي حصل لها، الحاجة الوحيدة اللي كانت لسّه حلوة في شكلها كانت ضحكتها، كانت بتعافر عشان تطلعها وهيَّ بتسلم عليا، لإنّها كانت بتنهج من طلوع السلم، افتكرت لمّا كُنا بننزل أنا وهيَّ نصوَّر ورق أو نجيب حاجة ناكُلها وكانت بتسابقني لحد الكُشك، وكانت دايمًا بتكسب، كُل ده راح، العفوية والطاقة والشباب، ومتبقاش منها غير ضحكتها، خبطتني في دراعي بالراحة وقالت لي:

- "عامل إيه يا واد، ليك واحشة والله"

- "والله وانتي واحشاني أكتر يا نور"

"هشام" كان بيسلم على "ياسمين" في اللحظة اللي شاف فيها "نور" وتنَّح، مقدرش يداري دهشته من شكلها اللي اتغير، هيَّ كمان استغربت شكله جدًا والتطور الملحوظ اللي حصل له، كانوا نقيضين لبعض تمامًا، وهُما صُغيّرين وبعد ما كبروا، كُلهم استغربوا لمّا شافوا "نور"، بس "هشام" مقدرش يمسك لسانه فلقيناه فجأة بيقول:

- "نور! إيه ده يابنتي.. إيه اللي جرا لِك؟"

"نور" استقبلت الكلمة وابتسمِت، مرضيتش تبيّن أي رد فعل سيء، "ياسمين" بصّت لـــ"هشام" نظرة عتاب قاسية شوية من غير ما "نور" تاخُد بالها، فَــــ "هشام" حس بسخافة الجُملة اللي قالها وندم عليها، "مُصطفى" حاول يتدارك اللي حصل وقال:

- "إيه يا عم مالها! ماهي زيّ القمر أهي، والله كبرتي وقلوظتي يا نونا، تعرفي إنّك التايب المُفضل بالنسبة لي؟"

لقيناها بتضحك، ضحكتها المرحة اللي اتعوّدنا عليها، وبعدين قالت:

- "طب إيه.. هتيجي تتقدم لي إمتى؟"

راحت "مريم" قايله لها:

- "لأ خُدي بالك ده مصاحب، وصاحبته شكلها كده ممشية كلمتها عليه، سيبك منُه، وحشتيني يا نور أوي!"

- "وانتي أكتر يا مريم، وانتي كمان يا شروق، بس إيه النيولوك الجامد ده، ده أنا معرفتكوش والله"

في اللحظة اللي "نور" كانت بتُحضن فيها "شروق" و"مريم، كُنت باصص أنا على الساعة، لقيتها خمسة ونُص، "يوسف" اتأخر أوي، كُنت خايف لا ميجيش، خاصّة إنّه مأكدش عليّا امبارح، فضلت باصص للساعة لحد ما لقيت "مُصطفى" بيميل عليّا أنا و"هشام" وبيقول لنا:

- "قابل يا عم انت وهو، هيبتدوا يتريقوا علينا من دلوقتي"

- "قصدك عليك انتَ"

- "متقلقش يا هشام الدور هييجي عليك، دي جمعية ودايرة يابا، أنا مش عارف إيه اللي خلاني أقول إنّي مصاحب! أُمّال لو عرفوا إنّها أصغر منّي بأربع سنين هيعملوا إيه؟"

- "نعم؟ هيَّ مين دي اللي أصغر منّك بأربع سنين!"

- "صاحبتي يا هشام، في إيه.. هتتريق انت كمان ولا إيه؟ ما تقول حاجة يا حاتم!"

- "عادي يا هشام مش حوار يعني، مش حاجة جديدة على مُصطفى، ما هو طول عُمره مُنحرف إيه المُشكلة؟"

- "الله! جرى إيه يا ولاد الـ.."

- "هوب هوب! أهو يا ماما اللي بيشتم، مُصطفى مش إحنا والله"

"مُصطفى" اتخض ولف وراه، وملقاش حاجة، روحت مكتّفه أنا و"هشام" فجأة وفضلنا نزغزغه جامد، قعد يصوت زي العيال الصُغيرة، البنات فضلوا يضحكوا، و"شروق" فتحت الكاميرا بتاعتها وبدأت تصوّر وهيَّ هتموت من الضحك، طبعًا هتستغل الفيديو ده عشان تذلّه بيه بعد كده، فضلنا كُلّنا نضحك ونهزر و"مُصطفى" بيحاول يفلفص مننا، لحد ما الجرس رن مرة كمان، مرة أخيرة، فجأة سكتنا كُلّنا وبصّينا للباب، واحنا عارفين مين اللي بيخبَط، "شروق" حطّت الكاميرا على الترابيزة وراحت عشان تفتح، فَــــ شاورت لها بإنّي هفتح أنا، الهدوء خيّم علينا وأنا بتجه ناحية الباب عشان أفتحه، خدت نفس عميق، وفتحت، وطوّلت في النظرة على آخر الوافدين..

-"يوسف!"

نبرة صوتي كانت تشبه لنبرة صوت "هشام" لمّا اتفاجئ بـ"نور"، كُنت موارب الباب حاجة بسيطة فَــــ محدش كان شايفه، روحت فاتح الباب على آخره، عشان يشوفوه معايا..

واتصدموا زيي لمّا شافوه..

عينيه كانوا دبلانين جدًا، وحواليهم هالات سودا كتير، ملامحه باهتة بشكل غريب، دقنه مش مُتناسقة، خس جدًا، بقى جلد على عضم، حسّيت بمرارة ووجع في قلبي بمُجرد ما شُفته، إيه اللي جرا لك يا "يوسف"؟! ده انت كُنت موقف المدرسة كُلها على رجل واحدة، كُنا بنحتار إزاي بتقدر توقع أي بنت بنظرة واحدة من عينيك، راح فين "يوسف" التقيل الراسي؟ راح فين صاحبنا؟ للحظة حسّيت بالغضب منهم، ومن نفسي كمان، عشان بعدنا وسبنا الدُنيا تاخُدنا ونسينا حقوقنا على بعض، فجأة لقيت "يوسف" بيفوّقني من شرودي وبيقول لي بابتسامة مُتكلّفة:

- "إيه يا حاتم.. مفيش إزيّك؟ عامل إيه؟ أي حاجة.. ولا أنا موحشتكش؟"

مردتش، حسّيت إن عيني هتهرب منها دمعة فَــــ اترميت عليه وحضنته بكُل قوتي، ومسحت دمعتي وقُلت له:

- "لو تعرف انتَ قد إيه واحشني أكيد مكُنتش هتقول كده"

- "وانتَ كمان، وانتَ كمان يا حاتم"

- "انتَ كويس؟"

- "أنا بخير طول ما انت بخير، إيه هتفضل موقفني على الباب كده كتير؟ ده أنا جاي من مشوار طويل"

- "لأ طبعًا، اتفضل ده إحنا كُلنا مستنيينك من بدري، يا عيال، يوسف وصل"

وسعت له عشان يُدخل، فَــ ابتسم واتجه ناحيتهم، قفلت الباب، وأنا بسمع كلمات الترحيب والاشتياق بينهم وبين بعض، وبعدين التفت وبصّيت لهم مرة تانية، وقتها حسّيت جُوّايا بشوية خوف، خوف من التغيير اللي حصل لنا، اللي مهما كان حلو أو وحش، إلا إنّه مُخيف، وخطير جدًا، محسّتش بخطورته غير في اللحظة دي، لمّا شُفت الصورة كاملة، لمّا شُفتنا أخيرًا متجمّعين مع بعض..

أمّي خرجت من المطبخ في اللحظة دي عشان تسلم علي "يوسف" و"ياسمين" و"نور"، لقيتها بتسلم من غير ما تبيّن أي مظاهر دهشة أو استغراب من التغيير اللي حصل لهم، بالعكس، كانت بتضحك وبتهزر معاهم وكإنها لسّه شايفاهم امبارح، فضلت تتكلم معاهم كُلّهم شوية، وبعدين وجّهتهم ناحية الصالون ورجعت لي وقالت لي:

- "تعالى ورايا على المطبخ عشان تاخُد صينية العصير، يلّا قوام.. مالك مِبلّم كده ليه؟!"

- "حاضر يا أمّي"

بصّيت عليهم كمان مرة وهُمّا بياخدوا أماكنهم في الصالون زي زمان، اللي لحق قعد على كراسي الانتريه، واللي راح يجيب كُرسي من كراسي السُفرة، كانوا بيضحكوا بصوت عالي من قلبهم، ابتسمت، وبعدين دخلت المطبخ وراء أمّي، لقيتها بتصُب العصير في الكوبايات ومدياني ضهرها، ريحة الأكل كانت تجنن، تعبت نفسها أوي النهاردة علشانا، سندت بضهري على الحيطة وربعت إيدي وأنا مستنيها تخلّص، فجأة لقيتها بتقول:

- "شُفت الواد هشام جسمه بقى عامل إزاي؟"

- "آه، ما أنا غُلبت أقول لك إنّه خس وظبط جسمه وانتي ماكُنتيش بتصدقيني"

- "والله لو كُنت قُلت إيه، ماكُنتش هصدق غير لمّا أشوفه بعيني، ولا البت ياسمين، كبرت واحلوّت وادوّرت، بقت عروسة"

- "ولا مريم، شُفتي مريم بقت عاملة إزاي؟"

- "والنبي قمر، أنا طول عُمري شايفاها حلوة، هيَّ بس النضَّارة اللي كانت لابساها دي هيَّ اللي كانت مخبيّة حلاوتها، ألا هو انتَ قُلت لي مُصطفى شغّال فين دلوقتي؟"

- "بيشتغل علاقات عامّة في شركة كبيرة للتسويق، اشمعنى؟"

- "علاقات آه، أنا قُلت كده برضو، أصل الواد واخد باله من نفسه وشكله، القميص مكوي ولايق على البنطلون، ومظبّط شعره، ودقنه مهندمة كده، أصل الشُغل في العلاقات ده بيحتاج تبقى على سِنجة عشرة على طول، أيوة أمَّال"

- "يوسف هو اللي شكله مش مطمّني يا ماما، مش ده يوسف بتاع زمان، نور كمان اتغيّرت، خدتي بالِك؟ شروق لسانها بقى أطول منها، وياسمين بقت أهدى كتير عن زمان، ماما، هو انتي حسّيتي إنّهم اتغيّروا ولا أنا اللي ببالغ؟"

لقيتها بتسيب اللي في إيدها ولفّت واتجهت ناحيتي، ابتسمت ابتسامتها الجميلة، وحطّت إيدها على خدّي بالراحة، وبعدين قالت:

- "يا حبيبي كُلكوا اتغيرتوا، حتّى انتَ، فيكوا اللي اتغيّر للأحسن، وفيكوا اللي حاله بقى أصعب من زمان، ولسّه هتتغيروا تاني وتالت، مُمكن بُكره تلاقي الحال اتبدّل، اللي كان مكسور يقوم، واللي وصل في يوم لحد السحاب، تلاقيه وقع، التغيير هو الثابت الوحيد في الدُنيا دي يا حاتم، مُهمتكم بقى إنّكم تبقوا سوا على قد ما تقدروا، عشان تسندوا بعض لمّا تُقعوا، وتاخدوا المشورة من بعض لمّا تحتاجوها، حاتم.. سيبك من كُل الشكوك اللي جُواك دي، طمّن قلبك ومتخافش، وافتكر انتَ جمّعتهم النهاردة ليه، اوعى تنسى يا حاتم!"

ابتسمت، مسكت إيدها وطبعت عليها بوسة رقيقة، وبعدين ضميتها في حُضني وقُلت لها:

- "ربنا مايحرمني منك أبدًا يا غالية"

- "ولا يحرمني منّك يا حبيبي، يلّا، خُد صينية العصير واطلع بيها لصحابك، تلاقيهم ريقهم ناشف يا حبّة عيني، وأنا أول ما أخلّص الغدا هنده عليك تيجي تشيل معايا، ماشي؟"

- "ماشي يا ست الكُل"

خدت الصينية وطلعت لهم، حطيتها على الترابيزة وقعدت وسطيهم، وابتديت أراقب انفعالاتهم وردود أفعالهم وكلامهم مع بعض، وابتساماتهم اللي ماكَنتش بتفارق وشوشهم، بصّيت ناحية "ياسمين" في اللحظة اللي مدّت إيدها فيها ومسكت إيد "يوسف"، وضغطت عليها جامد وهيَّ بتقول له:

- "وحشتني جدًا يا يوسف! بقى ينفع متسألش عليا كُل الفترة دي؟ ده أنا خُفت لا يكون جرا لك حاجة"

لاحِظت عيون "نور" وهي مركزة مع "ياسمين" و"يوسف"، كانت مركزة أكتر على مسكة الإيد بينهم، لقيتها بتُضم إيديها الاتنين وكان باين في عينيها التأثر، بالذات لمَّا "يوسف" مد إيده التانية وطبطب بيها على إيد "ياسمين" وقال:

- "أنا كويس يا ياسمين، أعذريني، بقالي فترة مشغول ومش قادر أسأل على حد خالص، قولي لي انتي.. انتي شغَّالة فين دلوقتي؟"

عيني راحت على "هشام"، لقيته بيستعرض عضلاته قُدَام "شروق" وبيقول لها:

- "كُل ده عملته في سنة ونُص بس، آه والله، من غير مُكملات ولا أي حاجة على فكرة"

ردّت عليه بتريقة:

- "لا ماهو واضح مش لازم تحلف"

بص ناحية "نور" وعينه لمعت فجأة، وبعدين مال على "شروق" وقال لها بصوت واطي:

- "بقول لك إيه، ما تقولي لنور تيجي الجيم عندي.. والله هعمل لها نظام تخسيس زي الفُل، هظبّطها وأرجّعها عود قصب زيّ زمان"

- "ما تلم نفسك بقى يا ابني! البت مش طايقاك من ساعة ما جت، عندك كلمة حلوة قولها معندكش يبقى تخرس خالص."

راح "مُصطفى" مايل على "شروق" وهو بيضحك وقال لها:

- "شوف مين اللي بيتكلم؟ طب إيه رأيك تعملي معايا كده.. ولا انتي لسانْك حلو مع كُل الناس وقليلة الذوق معايا أنا بس؟"

- "أنا قليلة الذوق يا واطي!"

فجأة لقيت "مريم" بتشد "مُصطفى" من دراعه وبتقول له:

- "خليك معايا، ها كمّل وبعدين؟"

- "بس يا ستّي، واتقبلت في الانترفيو بعد ما ضحكتهم كُلّهم، وشغّال أهو الله ينوّر بقالي سنتين، قالب لهم الشركة سيرك الحمد لله"

- "يخربيتك! هتفضل طول عُمرك كده مش هتتغيّر، ده أنا حاسّة إنّك لو حضرت لي حفلة وشُفتك قاعد قُدّامي هدُخل في وصلة ضحك ومش هعرف أقف"

- "دي أقل حاجة عندي، قولي لي صحيح، انتي بتعزفي إيه؟"

- "بعزف أكوستيك جيتار، بحاول أعمل توليفة كده بين البلوز والكانتري، ومُعظم الأغاني اللي بغنّيها ببقى أنا اللي عاملة مزّيكتها، استنّى هسمّعك حاجة"

طلّعِت الجيتار من الشنطة، وظبّطِت أوتاره، وبعدين ابتدِت تعزف عليه، اللحن شد انتباه "نور" فـــ التفتت لـــ"مريم" وابتسمت لها، وبعدين رجعِت تكمّل كلامها مع "ياسمين" اللي كانت خلّصت كلام مع "يوسف"، بصّت لها وقالت:

- "أصل هشتغل إيه بشهادة الجامعة يا ياسمين؟ مُدرّسة! صدقيني منفعش، أنا منفعش غير في حاجة واحدة بس، الطبخ.. ده أنا بقى عليا أصناف، تاكلي صوابعِك وراها"

- "أيوة يا حبيبتي بس القعدة في البيت برضو مش حلوة، إحنا لسّه صُغيرين على الكلام ده، وانتي خريجة كُليّة تربية برضو، وألف مكان يتمناكي، يعني أنا مثلًا أول ما اتخرجت قدّمت على شُغلانة في بنك كويس، واتقبلت فيها وبقالي سنتين شغّالة هناك أهو"

- "الله حلو أوي.. انتي خرّيجة تجارة إنجليش صح؟"

- "أيوة، الأولى على دُفعتي كمان، عشان كده لقيت الوظيفة دي بسهولة الحمدلله "

- "ما شاء الله! أنا حقيقي فخورة بيكي يا ياسمين"

ابتسمت أول ما سمعت "نور" بتقول لـ"ياسمين" كده، في الحقيقة أنا اللي كُنت فخور بيهم كُلّهم، وأنا شايفهم بيتكلموا مع بعض زيّ زمان، وكُل واحد فيهم بيحكي للتاني حياته الجديدة اللي بدأها، عينيا فضلت تلف عليهم واحد واحد، لحد ما عيني وقعت على "هشام"، وشُفته بيبُص لي وهو مُبتسم ابتسامة لئيمة، وبعدين لقيته بيقول لي بصوت عالي عشان يجذب انتباههم:

- "إيه يا عم حاتم، عمّال تراقبنا ومُستمتع أوي وساكت انتَ مبتتكلمش، ما تحكي لنا يا سيدي أخبارك إيه؟ وبتعمل إيه في حياتك؟ ولا إحنا مش قد المقام؟"
فجأة كُلّهم سكتوا وبصوا لي وهُما مُبتسمين، "مريم" كمان وقّفت عزف واستنت تسمع ردّي، فَـــ ردّيت عليه وقُلت له بهزار:
- "إيه ده إيه ده! في إيه يا سي هشام؟ لا الكلام ده مش معايا، هتعمل ظابط عليّا؟"
- "أعمل ظابط عليك وعلى أي حد، انطق، بتعمل إيه في حياتك يا مُتّهم؟"
ضحكت غصب عنّي وضحكوا معايا، وبعدين سكت للحظة، وحسّيت في عيونهم شغف إنّهم يعرفوا، فـــ خدت نفس عميق وابتديت أتكلم:
- "مفيش جديد يعني يا جماعة، مُعظمكم عارفين إنّي دخلت معهد سينما قسم سيناريو، لإنّي بحب الكتابة من زمان، كُنت كويس في الدراسة، واتخرجت بتقدير جيّد جدًا، يومها ماما عملت فرح في البيت، عزمت قرايبنا ووزّعت شربات، والزغاريد كانت مالية المكان، والناجح يرفع إيده وبتاع"
- "طب ما حلو ده جدًا، وبعدين؟"
- "ولا قبلين يا هشام، اتخرجت وقعدت في البيت، معرفتش أشتغل في أي حاجة ليها علاقة بمجالي، فَـــ قُلت أنزل أشتغل كول سنتر لحد ما ربنا يكرم بحاجة يعني"
لقيتهم كُلّهم بيبصوا لبعض وبيبصُوا لي، فجأة لقيت "مريم" بتقول لي:
- "بس انتَ كان عندك موهبة عظيمة يا حاتم، وأنا واثقة إنّك طوّرتها الفترة اللي فاتت دي بدراستك في المعهد، ليه تدفنها كده؟"
- "مش بمزاجي يا مريم، الموهبة في البلد دي مش كُل حاجة، الواسطة تغلب، حتّى لو قلمي كويس، حتّى لو أنا اللي أستاهل"
سكتت، معرفتش ترُد، راحت "ياسمين" ماسكة دفّة الحوار وقالت:
- "أكيد ربنا هيكرمك يا حاتم، أنا واثقة من ده، اجتهد انتَ بس واعمل اللي عليك وكُل اللي يجيبه ربنا كويس، قولي طيب، مرتاح في شُغلانة الكول سنتر دي؟"
- "بصراحة يا ياسمين مش مرتاح، مش دُنيتي خالص، أنا عُمري ما تخيلت نفسي شغّال في شركة وفوقيًا مُدير رخم يزعق لي ويتعصب عليّا، ولا بعرف أنافق وأرسم ابتسامة كدابة

قُدام زمايلي طول الوقت، بس هنقول إيه، أدي الله وأدي حكمته، لازم نشتغل ونسعى، وفي النهاية أديها شُغلانة بتجيب لي مصاريفي وخلاص"

"مُصطفى" ابتسم ابتسامة خفيفة، فَــ توقعت إنُه هيقول حاجة يكسر بيها النكد اللي اتقال ده، وفعلًا لقيته بيقول:

- "فاكرين يا جدعان لمّا خلّيت حاتم يكتب لي جواب غرامي عشان أبعته للبنت اللي كُنت مُعجب بيها في تانية ثانوي؟"

ردّت "شروق":

- "أيوة أنا فاكرة، كانت بت ملزقة زيّك، بس مش فاكرة اسمها إيه؟"

راح "هشام" قايل:

- "ورد، كان اسمها ورد، مش كده يا مُصطفى؟"

- "أيواا الله ينوّر عليك يا إتش، كانت ورد وهيّ ورد، مش زيّ ناس!"

قامت "شروق بصّت له وقايله:

- "بتقول حاجة؟"

- "لا أبدًا، أنا قصدي إن الواد حاتم كان بيكتب حلو ما شاء الله، البت وقعت من أول جواب"

ضحكت، وافتكرت الجواب اللي كتبتُه له ساعتها، وكُنت عايز أرُد عليه بس "يوسف" اتكلم أخيرًا وقال بصوت مبحوح:

- "حاتم ماكنش مظبطنا جوابات غرامية بس، فاكرة يا نور مواضيع التعبير اللي كان بيكتبها لينا في حصّة العربي؟"

- "أيوة فاكراها طبعًا، وفاكرة لمّا ميس أحلام شكّت فينا عشان مواضيعنا كانت بتتكتب بنفس الخط"

روحت أنا ضاحِك وقايل:

- "ياااه أنا فاكر اليوم ده كويس، يوميها ذنّبتكوا انتوا الاتنين جنب بعض عشان تعترفوا، وفضلتوا متذنبين لآخر اليوم"

- "كانت ست مُفترية"

ضحكنا كُلّنا واحنا بنفتكر أيام زمان الحلوة، قامت "ياسمين" بصّت لي وقايله:

- "وأنا عُمري ما هنسى إنّك انت اللي حببتني في القراية يا حاتم"

- "أنا! إزّاي؟"

- "إيه ده انتَ ناسي ولا إيه؟ مش فاكر لمّا عملتولي مُفاجأة واحتفلتوا بعيد ميلادي هنا في البيت؟ يوميها انتَ جبت لي أول كتاب أقرؤه في حياتي، رواية يوتوبيا.. لأحمد خالد توفيق"

ابتسمت، وافتكرت الهدية اللي جبتها ليها وكُنت ناسيها، افتكرت إزّاي كُنت لافافها في ورق هدايا أخضر، ورشيت عليها بيرفيوم من بتاع ماما، هزيت راسي وقُلت لها:

- "افتكرت.. عارفة يا ياسمين.. أنا لسّه كُنت بفتكر اليوم ده من شوية، وبالمُناسبة دي بقى، أنا عندي ليكوا مُفاجأة"

- "مُفاجأة إيه؟"

قُمت من مكاني واتحركت ناحية البلكونة بسُرعة، جبت الصورة وخبيتها وراء ضهري، ورجعت للصالون وأنا شايف نظرة الفضول في عيونهم، وبعدين حطّيت الصورة على الترابيزة قُدّامهم، ورجعت قعدت في مكاني، اتخضّوا كُلّهم أول ما شافوها والابتسامة اترسمت على وشوشهم تلقائي، وابتدوا يشاوروا علي الصورة ويتكلموا:

- "إيه ده بُصّي على شكلك يا شروق، كُنتي بنوتة في نفسِك كده"

- "احترم نفسك يا مُصطفى، أنا لسّه بنوتة، الدور والباقي على السخيف اللي كان شبه خلّة السنان ولسّه زيّ ماهو"

- "شُفتي يا نور كُنتِ رُفيعة إزاي؟ أهو انتي بقى لو جيتي عندي الجيم هخليكي أرفع من كده كمان، إيه رأيك؟"

- "لا يا اخويا أنا راضية بحالي كده، ومتخافش عُمري ما هوصل للمرحلة اللي انتَ كُنت فيها دي، ده انت كُنت نُكتة"

- "جميلة يا ياسمين دايمًا، كُنتي بتعرفي تخطفي العيون في أي صورة"

- "ربنا يخليكي يا مريم، انتي كمان كُنتي حلوة في الصورة دي جدًا"

- "بُصوا يوسف كان وسيم إزاي في الصورة يا جماعة، أيوة طبعًا، الدونجوان بتاعنا"

- "يا عم دونجوان إيه بس؟ تعرف إنّي ماكُنتش بحب اللقب ده؟ الدونجوان الحقيقي كان انتَ يا عم حاتم بالكتابات الرومانسية بتاعتك، انتَ اللي مكُنتش بتعرف تسلّك أمورك"

- "لا والله؟ ماشي يا يوسف، سبنا لك انتَ تسليك الأمور يا عم، الله الغني"

ضحكنا وهزرنا وافتكرنا أيام زمان بكُل حاجة حلوة فيها، كيس الشيبسي أبو نُص جنيه، إزازة الفانتا تُفاح أحمر اللي عُمرنا ما دُقنا ولا هندوق في حلاوتها، سبيس تون وبكار ومجلات ميكي اللي كُنّا بنضيّع مصروفنا عليها، قعداتنا بين الحصص لمّا كُنا بنلعب كوتشينة والسلم والتعبان، ورحلات المدرسة اللي كُنا بنطلعها سوا، افتكرنا كمان رخامتنا على المُدرسين، بالذات مستر سيد بتاع الألعاب، اللي كان بيجري ورانا بالخرزانة بتاعته، وكُل مرة كان بيقفش "هشام" عشان كان تخين ومش بيقدر يجري، لمّا كان حد فينا بيُقف على الفصل كُنا بنتكلم ونضحك براحتنا، ونغيظ في بقية العيال اللي كانوا بيشتكونا للميس لمّا تيجي، فَـــ نعمل مؤدّبين وإن العيال ظالمينا، ومعركة الكانتين الجبّارة، اللي كُنا دايمًا بنكسبها بسبب تعاوننا وتكاتُفنا مع بعض، ونُقعد بعدها نقسّم الغنيمة ونوزع الشيبسي والحلويات على بعض، افتكرنا كُل الذكريات الحلوة دي، وبعدين سرحنا وسكتنا لثواني، لحد ما "مريم" قطعت الصمت وقالت:

- "هو إحنا ليه كبرنا؟"

رد "مُصطفى":

- "عشان نشتغل ونتجوّز ونخلف، ونجيب ناس تانية يلاقوا صُحاب زيّنا، ويعملوا ذكريات أحلى وأحلى مع بعض"

روحت أنا ردّيت فجأة:

- "ويبعدوا عن بعض في الآخر!"

سكتوا كُلّهم، وبصّوا لي، واستغربوا من ردّي، بس أنا قررت أكمّل:

- "أنا عارف إن الحياة صعبة والمشاغل بقت كتير، بس أنا كُنت بحتاج لكم في أوقات كتير ومكُنتش بلاقيكم، كان نفسي ألاقي حد منكم أتسند عليه وأشكي له همومي ومشاكلي، بس ملقتش، وعارف إن انتوا أكيد حسّيتوا نفس إحساسي ده على الأقل مرة أو مرتين"

بصّيت لـ"يوسف" فَــ لقيته متأثر بالكلام، وفهمت إنّه أكتر حد فاهمني فيهم، فَـــ كمّلت:

- "وبعدين مينفعش بعد ما كُنا موجودين في حياة بعض بشكل يومي نختفي كده، ومنعرفش حاجة عن بعض خالص، يوسف مثلًا، أنا معرفش حاجة عنَك من أكتر من 3 سنين، وانتي نفس الكلام يا نور، قفلتي الفيس واختفيتي خالص، ده أنا لمّا قابلتِك في الشارع عرفتِك بالعافية، ياسمين كُل ما أكلمها عشان نتقابل تتحجج بالشُغل والمسؤوليات، مبلاقيش غير مُصطفى وساعات شروق، وباقي الناس.. اللي شاركتهم وشاركوني أدق تفاصيل حياتي.. فجأة اختفوا! وبقيت أنا اللي مُطالب إنّي أتقبل الوضع ده."

سكتوا كُلّهم وبصّوا في الأرض، مكانوش لاقيين كلام يقولوه، حسّيت إنّي زودتها وجيت عليهم، فَـــ خففت حدّة صوتي شوية، وقُلت لهم:

- "أنا مش قصدي ألوم ولا أعاتب والله، كُل واحد فينا فيه اللي مكفيه ومش ناقص، أنا بس كُل اللي بطلبه إننا نبقى مُتواجدين في حياة بعض أكتر، حتّى لو هنتقابل كُل شهر مرة، ده إحنا بقالنا نُص ساعة بس قاعدين مع بعض وضحكت معاكم ضحك مضحكتوش من سنين! كُل اللي بتمناه إننا نكرر القعدة دي، ونفتكر أيام زمان، ونحكي مشاكلنا وهمومنا والحاجات اللي بتتعبنا، نفسي.. نفسي أعرف انتوا بتعملوا إيه في حياتكوا.. إيه المشاكل اللي بتواجهكوا؟ مين اترقّى في الشُغل؟ مين سافر ورجع؟ مين حب أو ارتبط أو خطب؟"

بصّوا لبعض وبصّوا لي، كان شكلهم مُقتنعين بكلامي جدًا، وإنّهم فعلًا نفسهم يعملوا ده، كُنت لسّه هكمّل كلامي بس لقيت "نور" بترفع إيدها بتردد وبتقول بصوت واطي:

- "أنا.. أنا اتقرأ فاتحتي"

- "إيـــــــه؟"

قُلناها كُلّنا في نفس واحد من قوة الصدمة، ابتسامتها ابتدت ترتسم بالرّاحة، اتكسفِت وبصّت في الأرض، وخدودها احمرّت في لحظتها من كسوفها، كمّلت بصوت واطي وقالت:

- "أنا آسفة إني مقولتش، متزعلوش منّي، بس الموضوع جه بسُرعة ومقولناش لحد تقريبًا غير قرايبنا وجيراننا وكده، قولنا نعلن وقت الشبكة وكتب الكتاب."

- "مبروك يا نور، ألف مبروك، مش زعلانين يا حبيبتي خالص بالعكس، احنا فرحانين بيكي جدًا والله"

- "الله يبارك فيكي يا مريم عُقبالِك يارب"

توالت التهاني الصادقة على "نور"، وهيَّ فضلت ترُد عليهم بكسوف واحراج، ابتسمت، وحسّيت إن التلج اللي بينا ابتدا يسيح، لحد ما "شروق" بصّت لـ"نور" وقالت لها:

- "احكي لنا عنه"

- "هو.. هو يبقى ابن خالتي، تقدروا تقولوا كده محجوزين لبعض من وإحنا صُغيُرين"

- "اسمه إيه؟"

- "أيمن"

- "بتحبّيه؟"

اتوترت للحظة..

- "آه أكيد.. وبعدين الحُب مش كُل حاجة، أهم حاجة التفاهم والود والراحة والـ..."

- "وانتي مرتاحة معاه؟"

إيدها ارتعشت، وشفايفها كمان..

- "آه.. طبعًا مرتاحة"

- "دي أهم حاجة يا نور"

ابتسمِت بتكلّف وبصّت الناحية التانية، في اللحظة اللي لقيت "ياسمين" بتبتسم فيها وبتقول:

- "طب بمُناسبة الاعترافات دي بقى، أنا كمان هعترف ليكوا اعتراف، أنا.. أنا احتمال أتخطب قُريِّب"

"يوسف" بص ليُها بابتسامة وقال:

- "بجد؟"

- "آه، بصّوا هو أنا لسّه مش مُتأكدة أوي، بس قُلت أقول ليكم"

قام "هشام" سألها:

- "مش مُتأكدة ليه؟"

- "مش عارفة"

- "مرتاحة طيب؟"

- "برضو مش عارفة"

راح "هشام" قايل:

- "هو إيه ده اللي مش عارفة.. مش عارفة؟ أُمّال إحنا اللي هنعرف! لمّا انتي مش عارفة، هتتخطبي له إزاي؟"

- "بُص هو.. هو موضوع معقد أصلًا"

ابتسمت، وسندت بكوعي على رجلي وقُلت لها:

- "طب ما تحكي.."

اتوترِت، ملامِحها اتغيَّرِت وفضلِت تطرقع في صوابعها، وبعدين قالت:

- "لأ.. لأ بلاش، خلّونا نتكلم في حاجة تانية"

رد عليها "يوسف":

- "أنا مع حاتم، انتي شكلك عايزة تحكي، بس مُترددة، احنا صحابك يا ياسمين، مش حد غريب، احكي واحنا أكيد هنفهمك"

- "هدوشكوا معايا على الفاضي أنا مُتأكدة، بلاش يا يوسف"

ردّت "مريم" عشان تشجعها وقالت:

- "مش هتدوشينا ولا حاجة، احنا حابّين نسمعك يا ياسمين، وحابين نساعد لو نقدر"

- "صعب تقدروا"

راح "مُصطفى" قايل:

- "متسبقيش الأحداث، كُل مُشكلة وليها حل، وبعدين هو الصاحب ليه عنده صاحبه إيه غير إنُه يسمعه ويحاول يساعده!"

ابتسمِت، وبصّت في عيوننا كُلّنا، وحسّت بتشجيعنا ليها عشان تتكلم، بصّت لي وهيَّ لسّه مُترددة شوية، وقالت لي:

- "ماكُنتش أعرف إن إحنا اتغيَّرنا أوي كده، إحنا كبرنا ولا اختلفنا ولا إيه؟"

- "اختلفنا، بس لسّه متفقين، ومين عارف.. مش يمكن نلاقي في اختلافنا حل؟"

- "تفتكر؟"

- "خلّينا نُقعد قعدتنا، وبعدين نقرر، احكي، احكي يا ياسمين، وكُلّنا هنسمعك"

ابتسمِت مرة تانية وخدّت نفس عميق، سكتت للحظة، جمّعت فيها أفكارها، وبعدين اعتدلت في جلستها وقالت:

- "طيب، لو هحكي، يبقى لازم أبدأ من الأول خالص، استحملوني بقى، ماشي؟"

قُلنا كُلّنا في صوت واحد:

- "ماشي"

- "الموضوع ابتدا من حوالي 6 شهور، يوم ما روحت الشُغل بدري عن الميعاد، قبل الفرع ما يفتح، ساعتها قعدت في الكافيه اللي جنب البنك وطلبت قهوة، كُنت بقلّب في الموبايل ومُنسجمة معاه جدًا، لحد ما فجأة.."

****


الحكاية الأولى
ياسمين

- - "أنسة ياسمين؟"

- "أيوة؟"

- "الأستاذ اللي قاعد على ترابيزة 7 طلب لحضرتِك البلو بيري كيك دي، اتفضلي"

لقيت الويتر بينزّل الكيكة في اللحظة اللي لفّيت فيها ورايا عشان أشوف مين اللي طلبها، يمكن أكون حد أعرفه ولا حاجة، بصّيت عليه، كان قاعد على الترابيزة وبيبُصّ لي وهو مُبتسم، ابتسامته ساحرة، مقدرش إنكر ده، أشقر، عينيه يجذبوا انتباه أي حد من أول نظرة، ضيقين شوية، حادين، ولونهم أزرق فاتِح، شعره ذهبي مايل للبُني، دقنه محلوقة بالكامل، وتُفاحة آدم بارزة في رقبته، كان لابس بدلة كلاسيك سودة مع كرافتة سماوي، لاحِظت على يمينه موبايل غالي وعلبة سجاير "كابتن بلاك"، وولاعة شيك، رفع فنجان القهوة بإيده الشمال اللي كان لابس فيها ساعة أنيقة جدًا، حياني بفنجان القهوة وكأنّه بيقول لي "في صحّتِك"، وخد رشفة بسيطة وهو لسّه باصص لي، وبعدين نَزل الفنجان وهو لسّه مُبتسم، شكله وطريقته وأداؤه ضايقوني للوهلة الأولى، هو فاكر نفسه مين يعني عشان يعمل كده؟ وبعدين عرف اسمي منين؟ واشمعنى أنا اللي اختارني عشان يعزمني على كيكة الشيكولاتة دي؟! لفّيت وواجهت الويتر اللي كان خلاص نزّل الكيكة وماشي، تعمّدت أعلّي صوتي وأنا بقول له:

- "استنى، خُد الكيكة دي معاك، وتاني مرة لمّا حد يقول لك توصّل لي حاجة متسمعش كلامه، انتَ فاهم؟"

الولد اتكسف جدًا ووشّه احمّر، بص ناحية الراجل اللي خلّاه ينزّل الكيكة وشفايفه ارتعشت، بصّ لي وقال لي:

- "آآآآ.. أنا آسف حضرِتك، أنا.. أنا بس نفّذت اللي اتقال لي"

- "يبقى زيّ ما نفذت كلامه تنفذ كلامي، اتفضل شيلها من قُدامي"

- "حاضر، حاضر يا فندم"

فجأة، لقيت صوت هادي جاي من ورايا بيقول:

- "سيبها يا عبد الرحمن وامشي انتَ"

ماكُنتش محتاجة ألف ورايا عشان أعرف إنّه هو، صوته كان لايق على شكله، مرضتش أَلِف عشان مبينلوش إنّي مُهتمة، سبته لحد ما ظهر في الصورة، بابتسامته الساحرة، والسخيفة في نفس الوقت، رد عليه الويتر بصوت مُرتعش وقال:

- "بس.. بس الآنسة قالت لي أشيلها"

- "لو الآنسة مش مقدّرة قيمة الكيكة يبقى خلاص، هاكُلها أنا يا سيدي، روح انتَ شوف شُغلك، ولو احتاجتك هنده لك، يلّا روح"

الويتر بصّ لي بصّة أخيرة وبعدين خد بعضه ومشي على طول، وسابنا لوحدنا، التفت وبصّ لي، شاور على الكُرسي اللي قُدامي وقال لّي:

- "مُمكن أقعُد؟"

مردّتش عليه، عشان أشوف رد فعله هيكون إيه، لقيته سحب الكُرسي وقعد عليه بمُنتهى البجاحة، ضمّيت حواجبي وقُلت له بلهجة عُدوانّية شوية:

- "أنا مسمحتلكش تُقعد!"

- "ومقولتليش متُقعدش برضو، انتي مردّتيش، وسبتيني أختار بنفسي، فَـــ أنا اخترت أقْعد، وبعدين هُما مش بيقولوا السكوت علامة الرضا؟"

- "أوقات بيكون علامة التجاهل والإحراج، بدل ما نُرد ردود سخيفة تجرح أكتر"

هز راسه بالنفي وهو بيسحب الكيكة ناحيته، وبيمسك الشوكة والسكينة وبيقطع منها حتّة صُغيرة، وبيحُطها في بُقّه وبيمضغها باستمتاع، فضلت بَصّه له باستغراب لحد ما لقيته بيقول فجأة:

- "مش مُقتنع لأ، السكوت دايمًا بيدّي مساحة للطرف الآخر إنّه يختار، يُقعد ولا يمشي، يتبّت أكتر ولا يسيب خالص، وبيحسسه كمان إن الطرف اللي سكت ده مُمكن يتقبل وجوده، خليني أقول إنّي حرّكت فضولِك للدرجة اللي خلّيتك عايزة تشوفي أنا هعمل إيه بعد كده، خطوتي الجاية هتبقى إيه، صح؟"

- "انت فاكر نفسك مين علشان تكلمني كده؟"

- "مبسوط إنّك سألتي، شريف، اسمي شريف، على فكرة، الكيكة طعمها حلو جدًا، ماكُنتش أعرف إنّها هتبقى حلوة كده، فايتِك كتير يا آنسة ياسمين"

خد قطعة كمان من الكيكة وهو بيبُصّ لي بابتسامته الساحرة، والباردة، طريقته كانت صادمة بالنسبة لي، ممكن يكون وقح، بس جريء، كانت في حاجة جُوّايا مبسوطة بطريقته، بس ملامحي كانت بتقول إنّي مُتقززة منّه، سألته بنفس اللهجة العُدوانيّة:

- "مُمكن أعرف حضرتك عرفت اسمي منين؟"

- "خلّيها مُفاجأة، وأتمنى إنّها تبقى مُفاجأة جميلة"

قُمت من مكاني فجأة وعلّيت صوتي على قد ما قدرت وأنا بقول:

- "دي هتبقى مُفاجأة زيّ الزفت عليك وعلى دماغك يا مُتطفل يا قليل الذوق انت! أنا عُمري ما شُفت بجاحة أكتر من كده!"

- "مُتأكدة من كلامِك ده؟"

كان بيبُصّ لي بمُنتهى الهدوء وهو راسم على وشه نفس الابتسامة الساحرة، والسمجة، الناس كُلّها كانت بتتفرج عليه في الكافيه، وهو متهزّش فيه شعره! عصّبني بهدوءه أكتر ما أنا متعصّبة، ردّيت عليه وقُلت له:

- "ماهو انتَ يا عبيط، يا بتستعبط، عيب عليك يا أخي، ده انتَ حتّى شكلك مُحترم، بس نقول إيه، ياما تحت السواهي دواهي، الشكل مُحترم، بس قمّة في قلّة الأدب!"

طلّعت فلوس من شنطتي بسُرعة عشان أحاسب وأمشي، لقيته بيميل عليّا وبيقول لي بمُنتهى الهدوء:

- "طب اسمحي لي أعزمِك على الأقل؟"

كُنت خلاص، بجيب آخري، كرمشت الفلوس في إيدي ورميتها على الترابيزة ومشيت من غير ما أزوّد كلمة واحدة، وسط نظرات الناس وهيّ بتتابعني، كُنت حاسّة إن أنا اللي مُحرجة مش هو، مش عارفة قدر يعملها إزاي دي، فتحت الباب عشان أخرُج في اللحظة اللي سمعته فيها وهو بيقول لي:

- "هنتقابل تاني، قُريِّب جدًا يا آنسة ياسمين"

****

خرجت، وقفت للحظة جمب باب الكافيه، كُنت باخُد نفسي بصعوبة، ومكُنتش قادرة أحدد أنا كُنت حاسّة بإيه بالظبط في وقتها، كان في خليط من المشاعر جُوّايا، ما بين غضب وخوف، صدمة واستغراب، فرحة بسيطة غير مُبررة، وخنقة مش طبيعية، اتحركت بسُرعة ناحية البنك اللي كان بيفتح أبوابه، وقفت على باب البنك وبصّيت بصّة أخيرة على الكافيه، وبعدين دخلت..

أول ما زمايلي شافوني ابتدوا يسلموا ويصبّحوا عليّا، كُنت برُد عليهم بنصف عقل، في منهم اللي لاحظ إنّي مش على طبيعتي وابتدا يسأل، قُلت لهم إنّي تعبانة شوية بس، مكُنتش حابّة أحكي لحد على اللي حصل، قعدت على مكتبي وندهت على عم "رجب" الساعي، وطلبت منّه فنجان قهوة دوبل بدل اللي معرفتش أشربه في الكافيه، رد وقال لي:

- "من عينيا يا آنسة ياسمين، هتطلعي من الاجتماع تلاقيها جاهزة بإذن الله"

- "اجتماع؟ اجتماع إيه يا عم رجب؟"

- "الله، انتي ناسية ولا إيه يا ياسمين يا بنتي؟ مش المُدير قال امبارح إنّه هيعمل اجتماع مُهم لقسم خدمة العُملاء النهاردة الصُبح؟"

- "أيوة صح! ده المفروض ميعاد الاجتماع دلوقتي!"

- "اللي واخِد عقلِك"

اتضايقت، معقول يكون الموقف اللي حصل ده شغلني لدرجة إنّي نسيت الاجتماع؟ حسّيت إنّي اديّت الموضوع أكبر من حجمه، فَــ قررت أشيله من دماغي خالص، قُمت، طلّعت مرايتي من شنطتي وظبّطت مكياجي، خدت نفس عميق واتحركت ناحية أوضة الاجتماعات، دخلت لقيت مُعظم زمايلي قاعدين وواخدين أماكنهم حوالين ترابيزة الاجتماعات، رسمت ابتسامة مُتكلفة على وشي واتحركت ناحية آخر كُرسي في الترابيزة، وقعدت، دقايق وسمعت ضحكة مُدير الفرع جاية من برّه الأوضة، اتعدلنا كُلّنا في جلستنا، في اللحظة اللي دخل فيها وهو لسّه بيضحك، بصّينا له بابتسامة، وفجأة، لمحت حد داخل وراه، لابس بدلة كلاسيك سودة وكرافتة سماوي، أشقر وعيونه زرقاء، ومُبتسم ابتسامة ساحرة، سخيفة، باردة، وسمجة! هو.. تنّحت للحظة، مكُنتش فاهمة! بمُجرد ما المدير وصل عند الترابيزة كُل زمايلي قاموا وقفوا احترامًا ليه، إلا أنا، فضلت متسمّرة في

مكاني ونزل عليّا سهم الله، المدير خد باله من ردة فعلي الغريبة، بس معلّقش، قعدوا هُما الاتنين في مُقدّمة الترابيزة وابتدا المدير كلامه وقال:

- "صباح الخير، طبعًا كُلكوا عارفين إن أستاذ عبد الجواد السوبر فايزر بتاعكم اتنقل لفرع الكوربة، وكان لازم الإدارة تبعت لنا حد سريعًا عشان يشغل المنصب، أنا شددت على إن الشخص اللي هيتولى المنصب ده لازم يكون شاطر وتكن كفاءته عالية، زيّ الأستاذ عبد الجوّاد وأكتر كمان، والإدارة استجابت لطلبي الحمدلله، أحب أقدم لكم أستاذ شريف العيسوي، مُدير خدمة العُملاء الجديد"

هزّ راسه بابتسامة في اللحظة اللي كُلّهم صقفوا له فيها، إلا أنا برضو، مكُنتش لسّه مُستوعبة اللي بيتقال، بصّ لي بعيونه الزرقاء وبعدين اتكلم وقال:

- "مُتشكر جدًا، أنا حقيقي سعيد بتواجدي معاكم، وبإذن الله نقدر نخلق مع بعض بيئة عمل صحيّة عشان نكمّل مسيرة أستاذ عبد الجوّاد، ونرتقي بخدمة العُملاء في الفرع لأعلى مُستوى مُمكن، في الحقيقة أنا يُعتبر عارف مُعظمكم، قبل مجيئي هنا واستلامي للمنصب ألقيت نظرة على ملفاتكم والسير الذاتية بتاعتكم، وانبسطت جدًا باللي شُفته، أنا مُتأكد إننا هننبسط جدًا.. جدًا مع بعض"

ضغط على الكلمة الأخيرة وهو بيبُصّ لي، اتخضيت، بلعت ريقي بصعوبة، المدير بصّ لي هو كمان وشاور عليّا، خُفت أكتر، لقيته بيتكلم وبيقول:

- "ياسمين من أفضل الموظفات عندنا يا شريف، أستاذ عبد الجوّاد كان بيعتبرّها دراعه اليمين، برغم صغر سنّها إلا إنّها قدرت في وقت قُصير تستحوذ على إعجابنا جميعًا، لو احتجت أي حاجة يا شريف تقدر ترجع لها وهيَّ أكيد هتفيدك"

هز راسه وكأنه بيحييني، وبعدين قال بابتسامة ماكرة:

- "فُرصة سعيدة يا آنسة ياسمين"

****

خلصنا الاجتماع وجريت على مكتبي، قلبي كان بيتنفض من كُتر الرُعب، معقولة اللي أنا عملته ده؟ أنا هزقت مُديري! هزقته وشتمته قُدّام كُل الناس اللي كانوا قاعدين في الكافيه! إزاي عملت كده؟ أكيد هيجازيني، مش بعيد يُطردني، بس.. بس أنا ماكُنتش أعرف إنّه المدير الجديد، وبعدين هو كان ينفع اللي هو عمله ده يعني؟ كان مُتوقع منّي إيه غير اللي عملته؟ هو اللي غِلِط، ولو فكّر بس إنُه يجازيني أنا هشتكيه لمُدير الفرع وهعمله مُشكلة و..

- "اتفضلي يا بنتي، القهوة بتاعتِك سُكر زيادة زيّ ما بتحبيها، ومعاها العلبة دي كمان"

بصّيت على العلبة، كان منقوش عليها لوجو الكافيه!

- "إيه العلبة دي يا عم رجب؟ مين باعتها؟"

- "المُدير الجديد ده اللي اسمه.. اسمه.."

- "شريف!"

- "أيوة، وباعت معاها الورقة دي، عن إذنك أنا بقى"

إيدي ارتعشت وأنا بفتح العلبة، ونبضات قلبي زادت بشكل ملحوظ، بصّيت فيها، لقيت الكيكة! نفس نوع الكيكة اللي طلبها لي في الكافيه، ابتسمت، كنت أول مرة أحِس الإحساس ده من فترة كبيرة، فتحت الورقة، وابتديت أقرا اللي مكتوب فيها، كان كاتِب بيقول:

"حابب أعتذر لِك على اللي حصل في الكافيه، كُنت حابب أعرفِك بنفسي خارج إطار العمل، بس الظاهر إن طريقتي كانت بايخة شوية، أرجو إنّك تقبلي اعتذاري وتقبلي الكيكة المرادي، صدقيني طعمها حلو، وعم رجب قال لي إنك طلبتي منُه قهوة، يبقى تاكليها مع القهوة بقى، ماشي؟ هستنى تقولي لي إنّها عجبتك..

مُديرك السخيف

شريف العيسوي"

كُنت مبسوطة وأنا بقرأ كُل كلمة، واترسمت على وشّي ابتسامة هبلة، سرحت للحظة، وبعدين بصّيت حواليا، ملقتش حد شايفني، روحت واخدة قطمة من الكيكة، مع رشفة قهوة، وحسّيت إنّها أطعم كيكة دوقتها في حياتي!

بعدها بنُص ساعة، عم "رجب" دخل على "شريف" في مكتبه عشان يسلمه ورقة مبعوتة منّي، "شريف" شكره واستنّى لحد ما مشي، وبعدين فتح الورقة عشان يلاقيني كاتبه له جُملة واحدة بس..

"عندك حق، الكيكة حلوة، حلوة أوي"..

****

ودي كانت البداية لكُل حاجة حلوة بعد كده، كُنّا بنتقابل كُل يوم الصُبح بدري قبل ما البنك يفتح ونُدخل الكافيه، اللي هزقته فيه أول مرة شُفته فيها، الويتر كان مستغرب التغير اللي حصل لّي، إزاي خرجت من الكافيه وأنا مهزقاه ومبهدلاه قُدّام الناس كُلّها! وتاني يوم دخلت معاه وأنا بهزر وبضحك ولا كأن حاجة حصلت، كان بيبُص لـــ"شريف" بصّة "انتَ إزّاي كده؟"، في الحقيقة أنا نفسي كُنت مستغربة التغيير اللي حصل لي، كان بقالي كتير محسّتش إنّي بنوتة كده، قلبي بيُرقص أول ما بشوفه الصُبح، وبضحك بأعلى صوتي وأنا ويّاه، كان تقيل كده وراسي، وفـــ نفس الوقت دمّه خفيف، أكتر صفتين بحبّهم، فَـــ قدر في وقت قُصيّر جدًا يعلقني بيه، ويحببني فيه، ولإن كُل حاجة بتبان حلوة في الأول، ولإن كُل واحد فينا انبهر بالتاني ومكّنش عارف يتحكم في مشاعره، معدّاش شهرين وقال لي إنّه بيحبّني، اترددت شوية لمّا سمعتها منّه، بس في النهاية قُلت له إنّي بحبّه أنا كمان، وفضلنا عايشين مع بعض جمال مرحلة البدايات لمُدة أربع شهور، بكُل حاجة حلوة فيها، فُسح وخروجات، هدايا، مُكالمات آخر الليل اللي بنقول فيها أي كلام، سرقة النظرات في الشُغل من ورا زمايلنا، كده يعني، قال لي كُل حاجة عنّه، وأنا كمان حكيت له عن أهلي ودراستي وحكيت له عنكم واحد واحد، كُل حاجة كانت حلوة، كُل حاجة كانت بتقول إنّي محظوظة، محظوظة أوي، لحد ما في يوم، من حوالي شهرين بالظبط، حصل منّه موقف غريب، غريب جدًا، ومكُنتش لاقيا له أي تفسير وقتها..!

كُنّا مروّحين سوا بعد الشُغل، ركبنا العربية، شغّل الراديو، وكان عمّال يتكلم ويحكي في حاجات حصلت في الشُغل، وأنا ساكتة، كُنت مبوزة وقالبة وشّي وبَصّة من الشبّاك، مستنياه ياخُد باله إن في حاجة، بس هو فضل يتكلم! لحد ما جبت آخري وبصّيت له وقُلت له:

- "شريف أنا متضايقة!"

بصّ لي باهتمام وقال لي:

- "متضايقة من إيه يا حبيبتي؟ حصل حاجة؟"

- "النهاردة في عميل كلمني بأسلوب مش كويس، هو معلاش صوته بس أسلوبه كان زي الزفت"

- "آه"

- "قال لي إنّي مش فاهمة شُغلي كُويس وقعد يديني مُحاضرة في التفاني في العمل والإخلاص ومش عارفة إيه، مع إنّي والله كُنت بحاول أساعده، بس المُشكلة كانت عنده هو مش عندنا إحنا"

- "مممممم"

- "تخيل إن سلوى خدت بالها وبصّت علينا.. أنا كُنت مُحرجة جدًا، وأكيد مكُنتش أحب حد يشوفني في الموقف ده! وبالذات سلوى، لإنّها أصلًا مبتحبنيش والنفوس ما بينا مش صافية و.. شريف انتَ معايا؟"

- "آه معاكِ يا حبيبتي، وبعد ما علّا صوته انتي عملتي إيه؟"

سكت للحظة، بصّيت له وركزت في عينيه، اللي كانوا مركزين على الطريق، ماكَنش باين في عينيه أي اهتمام، بس قُلت يمكن مخادش باله، فَــ ردّيت عليه وقُلت:

- "شريف يا حبيبي ركّز، بقول لَك معلّاش صوته، هو بس كلمني بأسلوب مش.."

وفي اللحظة دي موبايله رن، أول ما مسك الموبايل وبص فيه عينيه وسعت وابتسم ابتسامته اللي حبّيته بسببها، ورد على طول، من غير حتّى ما يعتذر لي، فهمت من المُكالمة إنّه واحد صاحبه، وإنّهم بقالهم كتير مشافوش بعض، فضل يتكلم رُبع ساعة بحالها، وأنا قاعدة جمبه وضيقتي وخنقتي عمّالين يزيدوا، لحد ما قفل المُكالمة وقال لي:

- "معلش يا حبيبتي، أصل الواد ممدوح ده واحشني جدًا، بقالي سنين مشوفتهوش ابن الإيه"

- "ولا يهمك، المُهم أنا كُنت بقول.."

- "الواد ده طلع أشطر منّي، خد شهادته وخلع برّه البلد واشتغل في شركة انترناشونال، وبيقبض بالدولار، بس أنا مستغرب والله، إيه اللي فكّره بيّا دلوقتي؟ تفتكري عايزني أشتغل معاه؟"

بصّيت له وأنا مصدومة ومتضايقة في نفس الوقت، وقُلت له:

- "معرفش!"

- "عمومًا أنا كده كده هقابله النهارده وهعرف عايز إيه، يلا يا ستّي، حمدلله على السلامة"

مخدتش بالي إننا وصلنا، وصلنا وأنا جُوّايا كلام كتير عايزة أطلّعه، ومعرفتش، بصّيت له باستغراب، فضل باصص لي وهو مش فاهم في إيه، وفجأة فهم، وقام قال لي:

- "أنا آسف جدًا يا حبيبتي، قولي لي بقى، لمّا انتي زعقتي له، هو مردّش عليكي خالص؟"

زعقتله! كُنت هقوله إنّي مزعقتلوش، كُنت هزعقله هو، كُنت هقول له انتَ إزاي مش مركز معايا ولا عارف تسمعني، بس لقيتني بسكُت للحظة، وبعدين بقول له:

- "خلاص يا شريف، مش مُهم، موقف وعدّى"

لاحظ نبرة الحُزن في صوتي، ضم حواجبه ومسك إيدي وقال لي:

- "لأ طبعًا هو إيه اللي مش مُهم؟ احكي لي يا ياسمين في إيه؟"

- "مينفعش أفضل قاعدة معاك في العربية تحت البيت بالشكل ده، الناس تقول علينا إيه؟"

- "طب هقول لِك، اطلعي وغيّري هدومِك كده وريّحي شوية، وأنا هكلّمِك وتحكي لي كُل اللي حصل، ماشي؟"

- "ماشي، يلا، أشوفك بُكرة"

قرب كف إيدي من شفايفه وباسها بالراحة، وقال لي:

- "بحبّك"

- "وأنا كمان بحبّك، يلا سلام بقى"

خرجت من العربية ودخلت عمارتنا، حسّيت وأنا طالعة الأسانسير إن دي أول مرة أقوله "بحبّك" وأنا مستغرباها، بس قُلت عادي، يمكن عشان متنرفزة منّه مش أكتر، دخلت الشقّة، سلّمت على ماما، غيّرت هدومي، استريحت واتغدّيت واتفرجت على التليفزيون، كُل ده، ومكلمنيش زيّ ما قال، لحد ما الساعة ما جات 11 وكُنت خلاص بروح في النوم، قام كلّمني، ردّيت عليه، فضل يكلمني عن صاحبه اللي نزل يقابله، والكلام اللي دار بينهم، وأنا قعدت أسمعه باهتمام، مع إنّي كُنت هموت وأنام، بس أنا اتعوّدت على كده، مينفعش أكون بحب حد ولمّا يحتاج يحكي لي على حاجة مهتمش أسمعه، مهما كانت

تافهه، أمال أبقى بحبّه إزّاي؟ الكلمة رنّت في دماغي فجأة وسرحت للحظة وهو بيتكلم، لحد ما لقيته بيقول لي:

- "بس يا ستّي، ولسّه داخل البيت من شوية أهو، المُهم انتي كويسة؟"

- "كويسة آه، مُجهدة شوية بس"

- "طب خلاص مش هتّقل عليكي أكتر من كده، يلا، هعدّي عليكي الصُبح الساعة 7، تصبحي على خير"

- "وانت من أهله!"

قفلت معاه، وأنا خلاص، مش مستغربة إنه نسي يسألني على اللي حصل النهاردة، لإنّي اتأكدت في اللحظة دي إنّه منسيش لأ! هو أصلًا مسمعنيش..!

من بعدها، ابتدت المواقف تزيد وتكتر بشكل ملحوظ، زيّ مثلًا إنّه كذا مرة ياخُد رأيي في مُشكلة ما في الشُغل، فَـــ أقول له رأيي لحل المُشكلة دي، واللي غالبًا بيكون رأي كويس يعني وهيحل المُشكلة من جذورها، عشان أتفاجئ بعد كده إنّه عمل حاجة مُختلفة خالص، حاجة متُعتبرش حل نهائي للمُشكلة، فكرت هو ليه لمّا بياخُد رأيي مبيناقشنيش فيه ولا بياخُد ويدّي معايا! وكأنّه بياخُد رأيي بس عشان يبين لي إنّه مُهتم، بس هو في الحقيقة، مبيسمعوش! مرة تانية كُنت قايله له إنّي بحب نوع بيرفيوم مُعيّن كده وإنّي مستنية أول الشهر عشان أشتريه، بعدها بأسبوعين لقيته جايب لي البيرفيوم، نفس الماركة، بس نوع مُختلف، استغربت، سألته ليه مجبتش النوع اللي قُلت عليه، ضحك باستخفاف وقال لي إن هو ده النوع اللي قُلت له عليه! وفضل يحلف كمان، وزعل لإنّي ركّزت في تفصيلة زيّ دي وأهملت فكرة إنّه افتكر وجابه أصلًا. عدّى عليا فترة ماما كانت تعبانة وأنا اللي كُنت شايلة البيت كُلّه على كتافي، تنضيف وطبيخ ومُذاكرة لأختي الصُغيرة، ولمّا كُنت بحاول أحكي له أو أفضفض معاه كان بيطلع بألف حجّة وحجّة عشان ميسمعنيش، الأدهى والأمَر من ده كُلّه، إنّي يوم ما ربنا كان بيكرمني وكُنت بقدر أحكي له على حاجة، كان بيقلل من مشاعري جدًا، وبيحكم على تصرفاتي إنّي لسّه صُغيّرة وإنّه مَر بالمواقف دي قبل كده، وبما إنّه أكبر منّي، فَـــ كان دايمًا بيحسسني إنّه فاهم الحاجات دي أكتر منّي وبيحكم عليها بحُكم خبرته ونظرته هو للأمور، كان بيبقى جُوّايا كتير أوي عايزه أحكيه،

بس هو كان على طول بيسبق الأحداث وبيطلع استنتاجات وأحكام قبل ما يسمعني للآخر، فَــ بالتالي، ماكُنتش بكمل، كُنت بسكُت، وكُنت بحس إنِّي بتقّل عليه بكلامي..!

استمر الحال على كده شهرين، بشوف منّه حاجات حلوة كتير، بس مبحكيش، ومش عارفة أحكي، كُنت فاهمة إنِّي هقدر أتقبل الموضوع، أو إنّه مثلًا مُمكن يتغيّر، بس مهما سرحت بتوقعاتي، عُمري ما كُنت هتوقع اللي حصل منّه النهاردة..!

****

النهاردة مروحناش الكافيه الصُبح، فَـــ أصر إننا نُقعد فيه شوية بعد الشُغل، قُلت له إنّي مش هطوّل علشان عندي ميعاد مُهم الساعة 5، قال لي طيّب، ومهتمّش يعرف أنا رايحة فين، قعدنا وطلب لنفسه قهوة، وبعدين سألني قهوتي إيه؟ بقالنا 6 شهور مع بعض وبنيجي الكافيه ده كُل يوم وبرضو مش بيهتم يفتكر بشرب قهوتي إيه، ده عم "رجب" الساعي حفظ طلبي من أول مرة! المرة دي تعمّدت أقول قُدّامه إنّي هاخُدها سادة، هز راسه وبلغ الويتر الطلب، بصّيت في عينيه، كان فعلًا مش عارف إنّي بشربها زيادة! فضلنا قاعدين بنتكلم في الشُغل، وكان باين عليه إنّه متوتر، لحد ما لقيته فجأة بيقول لي بدون أي مُقدّمات:

- "ياسمين! أنا.. أنا عايز أجي أتقدم لِك!"

- "إيه؟"

صدمني بالجُملة اللي قالها، متوقعتهاش، على الأقل متوقعتهاش دلوقتي خالص، لقيته بيكمّل:

- "أنا خلاص يا ياسمين، اتأكدت من مشاعري ناحيتِك، أنا بحبّك، بحبّك جدًا كمان، انتي فيكي كُل حاجة اتمنيتها في شريكة حياتي، ومُتأكد إنّي مش هلاقي حد زيّك أبدًا، قولتي إيه؟"

اتكسفت ووشّي احمّر، مكُنتش عارفة أرُد أقول إيه؟ الويتر أنقذني وجه عشان ينزّل القهوة، بصّيت على القهوة، وبعدين بصّيت على الويتر وقريت اسمه اللي كان مكتوب على التيشيرت بتاعه، "عبد الرحمن"، كان هو هو نفس الويتر اللي أحرجته قبل كده أول يوم شُفت "شريف" فيه، اليوم اللي "شريف" جاب لي فيه الـ..

فجأة!

جات لي فكرة، فكرة هبلة شوية، بس سيطرت على تفكيري في لحظتها، مسكت إيد "شريف" قبل الويتر ما يمشي وابتسمت وقُلت له:

- "فاكر يا حبيبي يوم ما اتقابلنا؟ لمّا جبت لي كيكة من هنا عشان أشربها مع القهوة بتاعتي؟"

- "إلّا فاكر طبعًا، ودي حاجة تتنسي؟"

ابتسمت بلؤم، وقُلت له:

- "مُمكن تُطلبها لي؟"

سكت للحظة، وابتدت معالم التوتر تبان على ملامحه، ابتسم بتكلّف، وبعدين قال لي بصوت مُرتعش:

-"آه طبّعا، طبّعا"

فتح المينو وبص فيه، فضل ينتقل بنظره في صفحة الــ Dessert، لحد ما في الآخر ابتسم ابتسامة واحد واثق من نفسه، وبص للويتر وقال له:

- "تشوكليت كيك.. واحدة لو سمحت"

الويتر ضم حواجبه واستغرب، وبعدين بصّ لي، ابتسمت وهزّيت له راسي، فَــ راح عشان يجهّز الطلب، فضل "شريف" يزن عشان يسمع منّي جواب، وأنا فضلت ألِف وأدور عليه، لحد ما الويتر جه ونزّل الكيكة، فضلت باصة للكيكة وبصّه له، يمكن ياخُد باله، بس هو تركيزه كان في حاجة تانية خالص، قُلت له:

- "هيَّ دي الكيكة اللي انتَ جبتها لي يومها، مش كده؟"

- "آه، انتي ناسية ولا إيه؟"

- "لأ فاكرة، كُنت بتأكد بس، بُص يا شريف، أنا شايفة إن احنا لسَه معرفناش بعض أوي، 6 شهور برضو مش فترة طويلة، مينفعش ناخُد قرار زيّ ده بُناء على فترة قُصيرة زي دي"

- "معرفناش بعض أوي؟ ياسمين انتي تقريبًا عرفتي كُل حاجة عنّي، وأنا كمان عرفت كُل حاجة عنُك!"

بصّيت للكيكة والقهوة السادة وضحكت غصب عنّي، مقدرتش أمسك نفسي، لاحِظت إنّه اتضايق من ضحكتي وكان ابتدا يتعصب، فَـــ لحقته بسُرعة وقُلت له:

- "خلاص.. خلاص متضايقش، طيب على الأقل إدّيني فُرصة أفكّر، أخُد رأي ماما وصُحابي مثلًا؟"

- "صُحابِك؟ صُحابِك مين؟"

- "صُحاب المدرسة، ما هو ده الميعاد اللي قُلت لك عليه، يلا اشرب قهوتك بسُرعة عشان توصلني، مش عايزة أتأخر عليهم، وأنا كمان هاكُل الكيكة أهو"

- "طب مش هتشربي قهوتِك؟"

- "لأ"

- "ليه؟"

- "أصلي مبشربهاش سادة"

ابتسم باستغراب، ابتسامته اللي مبقتش بتبهرني خلاص، وبعدين قال لي:

-"أُمّال طلبتيها سادة ليه؟"

ابتسمت باستخفاف أنا كمان، وقُلت له:

- "نسيت، إلا قول لي صحيح، انتَ فاكر أسامي صُحابي؟ كُنت قُلت لك عليهم قبل كده"

ضحك وقال:

- "أسامي صحابك! ليه يا بنتي هو أنا عقلي دفتر؟"

ضحكت أنا كمان وقُلت له:

- "على رأيك"

خدت قطمة من الكيكة وبعدين قُلت له:

- "على فكرة يا شريف"

- "إيه؟"

- "كان عندك حق! الكيكة حلوة! حلوة أوي!"

****

-"بس، ده كُل اللي حصل، من ساعة ما قابلته، لحد ما جيت لكم النهاردة"

قالت الجُملة الأخيرة وبصّت لي وهيَّ مُبتسمة، وكأنّها بتُشكرني إنّي خليتها تتكلم، فجأة لقيت "نور" بتقول لها:

- "تفتكري هو بينسى بطبيعته ولّا الموضوع مُقتصر عليكي بس؟"

- "مش عارفة يا نور، بجد مش عارفة"

"هشام" مصمص شفايفه بتحسّر وقال:

- "يا بنتي بلاش مش عارفة دي، نور قصدها يعني في الشُغل وكده، بتلاحظي إنّه بينسى كتير ولا دايمًا مركّز؟"

- "شُغله!.. ده مش بيهتم بحاجة قد ما بيهتم بشُغله، أمّال انتوا فاكرين قدر يوصل للمنصب اللي هو فيه دلوقتي ده إزاي؟"

ردّت "شروق" بعصبية:

- "يعني دي طبيعته مبيعرفش يسمع ولا يهتم! أنا مش فاهمة الرجّالة عايزة مننا إيه، نُقعد احنا نسمعهم ونناديهم ونطبطب عليهم، وهُمّا ولا هنا، دماغهم في حتّة تانية خالص، ميعرفوش معنى كلمة اهتمام!"

فجأة لقيت ملامح "مُصطفى" اتغيّرت، بص لـــ"شروق" وقال لّها بجدّية غريبة:

- "والله! مش يمكن انتوا اللي مش حاسّين بينا ومبتقدروش ظروفنا؟ هيّ المُشكلة لازم تبقى عندنا إحنا وخلاص!"

- "نعم.. قصدك إيه إن شاء الله؟!"

بصّ لي، لقاني باصص له ومسّتني إجابته، سكت للحظة وبعدين قال بصوت مهموم:

- "لا ولا حاجة، متشغليش بالِك"

كُنت عايز أقول له حاجة، بس لقيت "مريم"، بتبُص لـــ"ياسمين" وبتقول لها:

- "بصراحة يا ياسمين أنا شايفة إنّك مُمكن تكوني مُتجنية عليه شوية، يعني، مُقارنة بالحاجات الحلوة اللي فيه معتقدش إن المُشكلة دي مُشكلة كبيرة يعني"

"شروق" ردّت وقالت:

- "إزّاي يعني؟! بتقول لِك مبيسمعهاش، مبيسمعهاش يا مريم ولا بيهتم بيها! ولا بيشاركها تفاصيلها الصُغيّرة! أمّال مُرتبطين ببعض ليه عايزة أفهم؟"

- "أنا مقولتش إنّها مش مُشكلة يا شروق، وعارفة إن الموضوع ده بالنسبة لينا كبنات مُهم جدًا وبيفرق معانا، أنا بس قصدي إنّها مش مُشكلة كبيرة للدرجة اللي تخلي ياسمين تُرفض عرض شريف بسببها، ده رأيي يعني"

ردّت "ياسمين" فجأة:

- "عندِك حق يا مريم، بس أنا برضو.."

بصّت لـــ"هشام" قبل ما تكمّل جُملتها في اللحظة اللي ضحك فيها وقال لّها:

- "قوليها متخافيش، بس برضو مش عارفة"

ابتسمِت، وبعدين قالت:

- "أصلي بجد مش عارفة يا هشام"

ردّت "نور":

- "طب قولي لنا حاسّة بإيه طيب؟"

- "حاسّة.. حاسّة إنّي مش مرتاحة! مش عارفة ليه بالظبط؟ شريف شخص كُويس، جدًا يعني، مُحترم وطيّب وابن ناس، مُستقبله مُمتاز وجاهز، ومُستعد يتقدم لي من بُكرة، شريف فيه حاجات كتير حلوة، أهمها إنّه إنسان صادق وعينه مش زايغة، ودي حاجة نادر تلاقيها في الرجالة، وبعدين إحنا بينا مواقف كتير حلوة، شريف بيقدم لي حاجات كتير جدًا، بس.."

- "بس معرفش يقدم لِك أكتر حاجة انتي محتاجاها بجد"

علّق "يوسف" على كلامها بصوت مبحوح، عينيها جت في عينه، وحسّت في اللحظة دي وكأنّه قال اللي هيَّ مش عارفة تقوله، هزّت راسها وردّت عليه وقالت:

-"بالظبط، بالظبط يا يوسف، أنا.. أنا محتاجة حد يسمعني ويهتم بيّا، حد أتصل بيه الساعة 3 الفجر عشان أقول له إنّي قُمت من النوم مخضوضة، وشُفت كابوس، فَـــ يهدّيني ويطمّني، ويسمعني! حد يسمع تفاصيل يومي التافهة اللي ملهاش أي تلاتين لازمة، يسمعها باهتمام ويتفاعل معاها، حد يبُص في عينيا وأنا بتكلم وفجأة ألاقيه بيقول

لِي بحبّك! من غير أي مُناسبة، تعرفوا.. أنا كُنت مُترددة أحكي لكم، مع إنّي بجد كان نفسي حد يسمعني."

استغربت كلامها جدًا، فَـــ سألتها:

- "ليه يا ياسمين؟"

- "خُفت، خُفت يا حاتم، خُفت لا انتوا كمان متسمعونيش أو تقاطعوني، خُفت لا تحسسوني إنّي تافهه وبدقق في حاجات أتفه، من كُتر ما حسسني إن مشاكلي تافهه بقيت بخاف أحكيها لحد، وكإنّي.... وكإنّي مش من حقّي أتكلم!"

"مُصطفى" كان متأثر جدًا بالكلام، فجأة لقيناه بيوجه كلامه لـــ"ياسمين" وبيقول لها:

- "صدقيني أنا فاهمِك جدًا يا ياسمين، وشايف إن عندِك حق كمان، بس صدّقيني، أوقات قلّة الاهتمام بتكون غصب عننا، أوقات بنبقى عايزين نسأل ونهتم طول الوقت، بس ظروفنا بتمنعنا، عارفة.. أسوأ حاجة في الدُنيا لمّا تبقي مُرتبطة بحد ميقدرش ظروفِك، ويلومِك على تقصيرِك وقلّة اهتمامِك وهو عارف إن دي حاجة غصب عنّك، حد بيضغط عليكِي طول الوقت.. حد.."

فجأة سكت لمّا لقانا كُلّنا اهتمينا، روحت سألته:

- "إيه يا ابني سكت ليه؟"

- "مفيش.. مفيش، خلّينا في موضوع ياسمين الأول، إحنا لسّه موصلناش لحل"

ردّت "ياسمين":

- "بس أنا عايزة أسمعك، وبعدين مش يمكن ألاقي حل لمُشكلتي لمّا تحكي مُشكلتك؟"

- "لأ.. صعب"

فجأة لقيت "هشام" بيقول له:

- "ما تنطق بقى يا ابني احنا هنتحايل عليك ولا إيه؟"

- "إيه يا عم بالراحة علينا مش كده"

ابتسمت وبعدين قُلت له:

- "يلا يا مُصطفى ده بقى مطلب جماهيري خلاص، كمّل يا سيدي، كُنت بتقول حد مبيقدرش الظروف، حد بيضغط عليك، إيه تاني؟"

بلع ريقه، وبصّ لينا كُلّنا، لقانا كُلّنا مُتحمسين عشان نسمعه، فَــــ اتشجّع وقال:

- "حد قاسي!"

****


الحكاية الثانية
مصطفى

نفّضت القميص، ظبطت شعري، اتطمّنت على الهدية في إيدي، وبعدين خبّطت على الجرس بالراحة، سمعت صوت خطوات بتقرّب لحد ما الباب اتفتح..

" -إيه يا مُصطفى اتأخرت ليه؟ كُنّا هنطفي الشمع من غيرك"!

" -أنا أتأخر براحتي ولامؤاخذة، وسعي كده يا ماما وسعي، سلامو عليكوا جميعًا، منوّرين يا شباب"

" -منوّرين إيه يا ابني إحنا بقالنا ساعة مستنيينك! هو انتَ مش هتبطل العادة اللي فيك دي أبدًا؟"

ردّيت بهزار:

" -لا بقولكوا إيه، كُل واحد يخلّي لسانه جُوّه بُقّه، آه، أنا مش جاي أتهزأ هنا، محدش يقدر يهزأني غير صاحبة العيد ميلاد، ربة الصون والعفاف، الآنسة رشا"

لقيت "رشا" بترُد عليّا وبتقول لي:

" -انت حيوان على فكرة"!

" -إحم"!

ضحكوا كُلّهم، لسّه فاكر اليوم ده كأنّه امبارح، كان عيد ميلاد "رشا"، زميلتي في الكُليّة، شلّة الكُليّة كُلّها كانت متجمّعة اليوم ده في بيتها، من سنتين بالظبط، كُنت في سنة رابعة وقتها، وكُنت يدوبك لسّه متعرف عليهم السنة دي بعد ما قعدت 3 سنين في الكُليّة من غير صُحاب، حبّوني لإنّي كُنت بضحك وبهزر مُعظم الوقت، وقرروا يضمّوني ليهم، كانوا لُطاف، بس مش أوي برضو، بس يُعتبر ماكنش عندي اختيار تاني، بصراحة مكُنتش حابب أفضل من غير صحاب كده، وأفضل أحضر المُحاضرات لوحدي، وأتمشّى في الجامعة لوحدي، حاجة آخر سخافة يعني، ماكُنتش أعرف في الجامعة كُلّها غير "شروق"، بس مكُنّاش بنتقابل كتير عشان كُنّا في أقسام مُختلفة عن بعض، فَـــ قررت أنضم للشلّة دي، وبقينا بنحضر سوا، وبنخلّص ونطلع ناكُل مع بعض في أي حتّة، كانوا ونس برضو، معدّاش وقت طويل واتدبست أول تدبيسة، عيد ميلاد "رشا"، عزمتنا عليه عندها في البيت، فَـــ ظبّطت نفسي ولبست الحتّة اللي على الحبل، واشتريت لها هديّة حلوة، تعمّدت أتأخر كعادتي، بس في النهاية كُنت موجود، لاحِظت وجود ناس معرفهاش برّه شلّتنا، تقريبًا أصحاب "رشا" من برّه الكُليّة، المُهم، بعد ما "رشا" هزقتني وضحكنا كُلّنا مِلت عليها وقدّمت لها الهديّة وقُلت لها:

" -كُل سنة وانتي طيّبة يا ستّي، وربنا يجعلها آخر الأحزان إن شاء الله"

" -أحزان إيه يا واد انت؟ هو في أفراح أحلى من كده؟"

" -لأ طبعًا أحزان، مش كبرتي سنة؟ يعني اتقدمتي خطوة في طريق العنوسة يا رشا، أصل انتي محدّش هيبُصّ لك اسمعي منّي"

ضربتني في كتفي جامد، وبعدين قالت لي:

" -يا ابني بطّل قلّة ذوق بقى، هتفضحني قُدّام صحابي"
" -إلا بالحق، مين الإخوة؟"
" -صحاب المدرسة وجيراني وقرايبي، استنّى لمّا أعرّفك على آية بنت عمّي، يا آية، هيّ آية راحت فين؟"
" -خُدي هنا بس آية إيه وبتاع إيه! هو أنا جاي علشانِك ولا علشان"..
فجأة، شُفتها خارجة من الحمّام وبتبُص ناحيتي، عيونها كانت واسعة، تشبه لعيون الغزلان، أول ما عيني جت في عينها حسّيت إن نظرتها اخترقتني، لأ، أسرتني! كانت لابسة فُستان سماوي قُصيّر وجميل، شعرها كان بُنّي فاتح نفس درجة لون عينيها، وشفايفها كانوا حلوين جدًا، بشرتها صافية وملامحها طفولية بشكل يخطف القلب، قرّبت منا وفي كُل خطوة كانت بتقرّب فيها كان قلبي بيدُق أسرع، لحد ما وصلت عندنا وقالت لـــ"رشا" بصوت عذب:
" -معلش يا حبيبتي كُنت بظبّط الميك أب بتاعي، كُنتي عايزة حاجة؟"
" -كُنت عايزة أعرّفك على تيفا، أو مُصطفى، الكوميديان بتاعنا"
مدّيت إيدي بكياسة عشان أسلّم عليها، بصّت لإيدي الممدودة للحظة، وبعديت سلّمت، ابتسمت لها وقُلت :
" -إزيّك يا آية، مبسوط إنّي شوفتِك النهاردة"
سحبت إيدها بسُرعة ومظهرش عليها أي رد فعل، ولا ابتسمت حتّى، وبعدين قالت:
" -مُتشكرة، يلا يا رشا عشان نطفي الشمع بقى، أنا اتأخرت ولازم أمشي"
" -ماشي يا آية، يلا يا جماعة كُلّه ييجي حوالين التورتة"
لفّينا حوالين التورتة، وقفلنا النور، غنّينا سنة حلوة يا جميل ويلّا حالًا بالًا وطفينا الشمع، كُل ده وأنا عيني منزلتش من عليها، كانت حلوة وأمورة جدًا، بس دي مكانتش أول مرة أشوف بنت حلوة، البنات الحلوة في إعلام قد كده، بس البنت دي كان فيها حاجة مُختلفة، براءة غير طبيعية، مع سِنّة غموض كده تخليك عايز تعرفها أكتر، بمُجرد ما طفينا الشمع لقيتها بتُحضن "رشا" وبتبوسها وبتقول لها إنّها لازم تمشي، فَـــ "رشا" قالت لها تستنّى عشان تشوف لو حد منا مروّح ياخُدها في سكّته، سابتها واتجهت ناحية واحد صاحبنا، روحت متحرك ناحيتها بسُرعة وقطعت عليها الطريق، شدّيتها من إيدها بالراحة وقُلت لها:
" -عظيم بيمين ما حد مروّحها غيري، انتي عبيطة ولا إيه؟"
" -نعم يا أخويا؟ تروّح مين؟ انت لسّه واصِل"!
" -مش جيت وعملت الواجب! وغنّينا وطفّينا الشمع! خلاص سيبيني أشوف مصلحتي بقى! قُلتي لي ساكنة فين؟"
فكّت إيدي من إيدها وبصّت لي وقالت:

" -ساكنة في المعادي، شارع تسعة، أنا مش عارفة ليه مش مرتاحة لك"!
" -أنا.. ده أنا غلبان، ده أنا أغلب واحد في العيال دي، يلّا، روحي قولي لها تيفا اللي هيوصلِك، وأنا هخلع من العيال وهقول لهم أي حاجة"
" -ماشي، بس خِف على البت شوية هه دي مش قدّك"
ابتسمت بسُخرية وقُلت:
" -طبعًا يا بنتي، أنا محدّش قدّي أصلًا"
" -هو ده اللي غلبان؟ لا يا خفيف أنا مش قصدي كده أنا قصدي إنّها مش قدّك بجد"!
" -يعني إيه؟"
" -آية في ثانوية عامّة يا مُصطفى، يعني أصغر مننا بأربع سنين"!

****

"ياريت سنّك يزيد سنتين
عشان سنّك كده صغيّر..
يزيد لكن في تكوينِك
مفيش ولا حاجة تتغيَر
قوّامِك هو هو يكون..
ولونِك يبقى نفس اللون..
عيونِك لسّه بتفتّح
ومن دلوقتي بتحيّر"

عمرو دياب قرر يغنّي الأغنية دي بالذات في راديو العربية واحنا مروّحين، كُنت كُل شوية ببُص عليها غصب عنّي وأنا سايق، لحد ما خدت بالها وبصّت لي وهيَّ مُحرجة، غيّرت الأغنية بسُرعة وركّزت في الطريق، ماكُنتش لسّه قادر أستوعب إنّها صُغيّرة أوي كده، ملامحها أكبر من سنّها بكتير، ده إيه الجيل العجيب ده! حاوِلت أفتح معاها كلام بشتّى الطُرق، بس معرفتش، مكُنتش فاهم مالي، متلخبط أوي كده ليه؟ فضلت أفكر في حاجة أقولها أكسر بيها الصمت ده، لحد ما فاجئتني هيَّ ولقيتها بتقول لي:

" -انت قُلت لي عندك كام سنة يا مُصطفى؟"

سكت للحظة على ما استوعبت إن هيَّ اللي فتحت كلام مش أنا، عيبة في حقّي والله، ردّيت وقُلت:

- "23"

" -قد رشا يعني"

" -آه، بس مش في غباء رشا أكيد"

ابتسمت بسُخرية كعادتي، وبصّيت لها، لقيتها بتبُصّ لي باستغراب، وفجأة قالت لي:

" -هو انت حد قال لك إنك قليل الذوق قبل كده؟"

" -آه، كتير، ليه؟"

ابتسمِت، ابتسامتها كانت جميلة فعلًا، ودّت وشّها الناحية التانية، فَـ قررت أسألها أنا المرة دي:

" -إيه أخبار الثانوية معاكي؟"

" -تمام ماشي الحال، أوقات بحس إن عليّا ضغط وكده، بس بتأقلم يعني"

" -وعايزة تخُشي إيه بعد ما تخلّصي؟"

" -أي حاجة والله، مش فارقة معايا أوي"

" -فعلًا؟"

" -أها، أصلًا أنا مش حابّة أشتغل بعد الجامعة، عايزة أتجوّز وأقعُد في البيت، أصل أنا وحيدة بابا وماما، بابا طيّار وبيسافر كتير، وماما فرنساوية، بابا اتعرّف عليها في رحلة من

رحلاته وحبُها، وقرروا يتجوّزوا، وبعدين جابوني بقى، مش حارمنني من حاجة من وأنا صُغيرة، كبرت ولقيت كُل الدلع اللي أي حد يحلم بيه، عشان كده تلاقيني مش فارق معايا الشُغل وكده، على إيه أتمرمط وأتبهدل في شُغل لمّا مُمكن أقعد في البيت زيّ ماما! وأخُد بالي من نفسي وجوزي وولادي".

" -أنا كُنت فاكر الموضوع ده مُقتصر على الستّات المصريات بس"

" -لأ صدقني في أجانب كتير كده، بيحبّوا الدلع"

" -عين العقل والله "

سكت للحظة، وبعدين لقيتها بتسألني:

" -وانت بقى.. احكي لي عنّك شوية"

فرحت جدًا من جُوّايا إنّها سألت، خدت نفس عميق، وابتديت أحكي لها:

" -أنا يا ستّي حد عادي جدًا، عايش مع والدتي وأختي الصُغيّرة في بيت في حدايق القُبّة، والدي مسافر من زمان، بيشتغل مُدرّس إنجليزي، وعنده بيزنس صُغيّر كده على قدّه، وقُليّل ما بيقدر ينزل مصر ويزورنا لظروف شُغله، بس الحمدلله بيبعت لنا مبلغ كويس بيغطّي مصاريف البيت ومصاريفي أنا وسُهيلة أختي، أمّي ربنا يدّيها الصحّة قامت بدورها على أكمل وجه، كرّست حياتها كُلّها لتربيتنا وتعليمنا، عارفة.. يوم ما روحت قُلت لها إنّي اتقبلت في إعلام كانت الفرحة مش سايعاها، حقيقي كنت أول مرة أشوفها فرحانة كده، يومها خدتني في حُضنها وقالت لي ربنا يا ابني يدّيك خيرها ويكفيك شرّها، بُكرة تتخرج منها وأشوفك مُذيع في التليفزيون قد الدُنيا، مكانتش تعرف إنّي هدخُل قسم علاقات مش إذاعة"

كانت بتسمعني باهتمام، جذبت انتباهها بالكامِل، لقيتها بتعقّب على كلامي وبتقول:

" -طب وباباك؟ مش ناوي ينزل مصر ويعيش معاكم؟"

" -ناوي وقُريّب جدًا كمان، هو قال لي إنّي بمُجرد ما أتخرج وأشتغل هيسوّي معاشه هناك وهيصفّي شُغله كُلّه، وهينزل مصر على طول، أصل هو حلمه ومُنى عينه يجوّزني بدري ويفرح بيا"

رميت الكلمة عشان أشوف رد فعلها، لقيتها اتكسفت ووشّها احمر، وبعدين قالت بصوت مُرتعش:

" -وياترى انت مُرتبط أصلًا ولا لأ؟"

عملت نفسي مسمعتش السؤال، هدّيت السُرعة وابتسمت ابتسامة خفيفة وقُلت لها:

" -حمدلله على السلامة"

بصّت على يمينها واكتشفت إننا وصلنا تحت عمارتها، بالظبط زيّ ما وصفتها لي، بصّت لي وقالت لي:

" -معقولة وصلنا بسُرعة كده؟"

" -الوقت الحلو بيعدّي بسُرعة، معروفة"

ابتسمِت، سكتت للحظة وبعدين قالت:

" -أنا مُتشكرة أوي، تعبتك معايا"

" -مفيش تعب ولا حاجة"

" -إن شاء الله نتقابل تاني؟"

" -ده أكيد إن شاء الله"

" -ماشي، تصبح على خير"

فتحِت باب العربية ونزلِت من غير ما تسمع ردّي، وبمُجرد ما قفلته ندهت عليها:

" -آية"!

" -أيوة؟"

" -مش مُرتبط على فكرة"

ابتسمِت..

" -ماشي على فكرة"

" -هو أنا قُلت لِك إنّك حلوة؟"

ابتسمِت تاني..

" -ميرسي"

" -أنا مقولتش على فكرة، أنا سألت بس، يلّا.. وانتي من أهله"

اتحركت بالعربية قبل ما أسمع ردّها، وفضلت مراقبها في المراية وهيَ لسّه واقفة ومذهولة، بس مبعدتش أوي، اتطّمنت إنها طلعت عمارتها الأول، وبعدين مشيت، كُنت مُتأكد إنّي سبت انطباع كويس عندها، بس الشيء اللي ماكُنتش متوقعه على الإطلاق، إنّي أتعلّق بيها بسُرعة كده!..

****

تاني يوم خلّيت "رشا" تبعت لي جدول الدروس بتاعها وعناوين السناتر، عرفت مواعيدها وفوّت يومين كده عشان مبقاش رخم، وفي اليوم التالِت روحت لها الدرس، كُنت واقف مستنيها برّه السنتر وقلبي كان بيدُق زيّ العيال الصُغيّرة، خرجِت مع صحابها فَـــ شاورت لها من بعيد، اتفاجئت بيّا، ابتسمِت، وحضنِت كشكولها برقّة غير مُفتعلة، واتحركِت ناحيتي، طبعًا صحابها فضلوا يضحكوا ويتوشوشوا وهُمّا بيبصّوا علينا، مهتمتش بنظراتهم لإنّي كُنت مركّز معاها هيّ وبس، فرحتها كانت باينة في عينيها، واشتياقي ليها كان باين في عينيا، سلّمت، ورخمت عليها كعادتي، وبعدين ركبت معايا العربية وروحنا قعدنا في كافيه قُريّب، فضلنا نتكلم ونضحك ولا كأننا نعرف بعض من زمان، وبمرور الوقت بقينا بننزل كتير، اكتشفت إننا نشبه لبعض جدًا، واهتماماتنا تقريبًا واحدة، ذوقنا في الموسيقى، الأفلام اللي بنحبّها، حتّى الأكل، الموضوع كان لذيذ ومُمتع جدًا، شيء جميل لمّا تلاقي حد انتَ مش مُطالب تتصنع قُدّامه أو تبيّن شخصية غير شخصيتك، شيء عظيم لمّا تلاقي حد بيشاركك نفس الحاجات اللي انتَ بتحبّها بنفس درجة الشغف اللي عندك، كُل ده اكتشفته فيها على مدار خمس شهور، مرحلة الاستهبال زيّ ما بنحب نسمّيها دلوقتي، مكُنتش حابب أعترف لها إنّي بحبها وقتها لسببين، الأول إنّي كُنت محتاج أتأكد من مشاعري ناحيتها ومن مشاعرها ناحيتي كمان، والتاني عشان ماكُنتش عايزها تتعلق بيّا أوي ويحصل حاجة ونسيب بعض فجأة، فَـــ تتكسر وتتأذي بسببي، خصوصًا إنها كانت في ثانوية عامّة يعني، وحاجة زيّ دي كانت مُمكن تدمرها، فضّلت إننا نفضل نستهبل كده لحد ما تخلص، وفي الفترة دي وقفت جمبها جدًا، كانت أدبي زيّي، فَـ كُنت بذاكر لها الحاجات اللي مكانتش بتفهمها في علم النفس والتاريخ، أوقات كانت بتُحبط وبتحس إنّها مش قادرة تكمّل، كُنت بدعمها بكُل اللي كُنت بقدر عليه، بالكلام أوقات، بإنّي أطمنها وأهوّن عليها، وبالأفعال أوقات تانية، كُنت باخُد عربيتي من حدايق القُبّة لحد بيتها في المعادي وهيّ معايا على الخط بتشكي وبتعيّط، وكُنت بجيب لها ورد والأكل اللي بتحبّه، أقفل معاها الخط، وأتسحّب من ورا البوّاب وأطلع السلّم، كُنت هتقفش كذا مرة بس ربنا ستر يعني، وبعدين أسيب الحاجة على باب شقّتها، وأنزل وأقّف جنب العربية وأرجع أكلمها، وأقول لها تفتح الباب، فرحتها وقتها كانت بتبقى بالدُنيا وما فيها، كانت بتاخُد الهدايا وتجري على البلكونة وتشوفني واقف، فَـــ أقول لها إنّي ماكنش ينفع أسيبها تنام زعلانة، طبعًا كُنت برخم عليها شوية، هيّ كانت بتحب رخامتي، بس في النهاية كُنت بقول لها إنّي مُستعد أعمل كده كُل يوم عشان بس ألمح نظرة الفرحة اللي في عينيها دي، مش عارف الحقيقة كُنت إزاي بقدر أمنع نفسي من إنّي أقول لها "بحبّك" في اللحظة دي، هيّ كمان، كانت بتمسك نفسها بالعافية من إنها تقولها، خصوصًا لمّا كُنّا بنقعد سوا على الكورنيش في ليلة شتا صافية، ونغنّي بصوت عالي، ونراقب كُل موجة وهيّ بتتكسر على الشط، ونبُص على القمر اللي كان بيغمرنا بنوره، كُل حاجة كانت بتقول إننا مُرتبطين،

حتّي البنت بيّاعة الورد اللي كانت بتيجي ترخم علينا وتقول "نفُعني بأي حاجة يارب تتجوّزها"، وقتها "آية" كانت بتتكسف جدًا، وأنا كُنت بشتري الوردة من البنت وأقولها "ماشي يا ستّي، بس إحنا مش مُرتبطين على فكرة"، فَـــ كانت بترُد وتقول "ياخويا كُلكوا بتقولوا كده"، وتمشي، ونُقعد إحنا نضحك من قلبنا، ونبُص لبعض بصّات ليها معنى، إن.. ماذا لو ارتبطنا بجد، إحساسنا هيبقى واصِل لفين؟ معدّاش وقت طويل وفعلًا حصل، يوم ما أنا اتخرجت من الكُليّة كان يوم نتيجة الثانوية بتاعتها، وكُنّا قاعدين مع بعض في كافيه وبنعافر مع موقع النتيجة عشان تظهر، كانت هتموت من القلق، وأنا كمان، حرفيًا مكُنتش عارف أتلم على أعصابي عشانها، لحد ما الموقع رضي علينا وفتح، وعرفنا إنها نجحت وجابت مجموع عالي كمان، وقتها، مقدرتش أمنع نفسي من إنّي أخُدها في حُضني وسط كُل الناس اللي كانوا قاعدين في الكافيه، دموعي نزلت غصب عنّي وأنا بقول لها.. "بحبّك"، وهيَ ردّت بحُضن تاني أجمل من الأول، وبعدين قالت، "وأنا كمان بموت فيك"، كانت لحظة تتسجل في سجل العُشّاق للأبد، من بعدها وأنا حاططها قُدّامي غاية وهدف، كُنت لسّه متخرّج من الكُليّة، وبابا وعدني إنّه قبل ما يسوّي معاشه وينزل هيشوف ليا شُغلانة كويّسة بمرتب مُحترم عنده في الخليج، تخيّلت إنّي مُمكن أتقدم وأخطُبها أول ما بابا يرجع، وأسافر أشتغل سنة أو سنتين بالكتير، وبعدين أنزل ونتجوز، وأخُدها معايا، ونعيش مع بعض أحلى حياة مُمكنة، شاركتها أحلامي ومُخططاتي وقُلت لها إنّي هتقدم لها قُريّب، وهيَ كانت مستنياني، كان بس كُل اللي فاضل إن بابا يرجع، بابا يرجع بس وكُل حاجة كانت هتبقى تمام وزيّ الفُل..

بس بابا ماكنش عامل حسابه إنّه مش هيرجع!..

****

" -

مساء الخير، حضرتك مُصطفى محمود أبو الخير، نجل الأستاذ محمود أبو الخير مش كده؟"
"-أيوة يا فندم، أي خدمة؟"
"-أنا الأستاذ لُطفي عبد المقصود، زميل والدك من زمان، في الحقيقة أنا كُنت ناوي أبلغ حضرتك عن طريق التليفون، بس فضّلت أجي بنفسي عشان لو احتاجتوا منّي أي حاجة أقدر أقدّمها"
"-تبلغني بإيه حضرتك"!
"-في الحقيقة.. هو الأستاذ محمود يعني"..
"-ماله بابا يا أستاذ؟ جراله حاجة؟ أرجوك طمّني"
"-البقاء لله يا مُصطفى، شد حيلك يا ابني"
ماما ظهرت في اللحظة اللي كان بيقول لي فيها شد حيلك، سمعت صرختها قبل ما أستوعب اللي اتقال، صرخة طويلة عميقة اقتلعت قلبي من جذوره، أغمى عليها بعدها ووقعت منّي على الأرض، راحت في غيبوبة، استمرت شهر كامل، شهر عدّى عليّا كأنّه كابوس، بابا قبل ما يموت خسر فلوسه في مشروع كبير كان داخل فيه بتحويشة العُمر كُلّها، وللأسف مسابلناش أي حاجة أنا وأختي خالص، الهم كان راكبني من كُل ناحية، من أول ما استلمت جُثمان أبويا ودفنته بإيدي، لمّا كُنت راسم وش الراجل اللي لازم يستحمل عشان أهله، ولمّا كُنت واقف لوحدي باخُد عزاه من غير ما أبيّن أي حُزن عشان محدش يواسيني أو يرمي لي كلمة كده ولا كده، ولمّا كُنت باخُد سُهيْلة أختي في حُضني وبحاول أهديها، وبضطر أمسك نفسي إنّي معيّطش قُدّامها عشان متتعبش زيادة، ده غير أمّي اللي فضلت في المُستشفى شهر، الرُعب كان مسيطر عليّا وكُنت خايف لا يحصل لها حاجة هيَّ كمان، ساعتها كُنت هتكسر، هتكسر بجد، تعرفوا.. محدش من قرايبنا وقف معانا في محنتنا دي، لا أعمامنا ولا حد، ولا حتّى شلّة الجامعة، كلموني يعزوني وخلاص، طبعًا انتوا كُنتوا مشغولين وفي ناس منكم معرفتش أصلًا، مفيش غير "حاتم" و"شروق" اللي وقفوا جمبي.. مؤقتًا، وبعدين مرضتش أتقّل عليهم وقُلت لهم إنّي بقيت كويس خلاص، بس أنا ماكُنتش كويس، كُنت لوحدي، حرفيًا كُنت شايل الهم ده كُلّه لوحدي، حتّى "آية"، ماكنتش موجودة!..
قبل الحادثة بيومين بالظبط "آية" كانت مُضطرة تسافر مع مامتها باريس، كانت قالت لي إنّها بتسافر كُل سنة في الأجازة وبتُقعد شهر مع عيلتها وكده، وطبعًا لمّا حصل اللي حصل معرفتش ترجع، أصل هتقول لمامتها إيه؟ أنا لازم أرجع عشان "مُصطفى" باباه مات! ومامته في غيبوبة.. وهو محتاج لي! طب كانت هتقول لها "مُصطفى" مين؟ مقدرتش تواجه مامتها لإنها كانت خايفة تواجهها قبل ما أخُد خطوة رسمية، خصوصًا إن باباها كان صعب جدًا، فَـــ كانت بتكلمني في التليفون كُل يوم بليل تطمّن وخلاص، بس بما إن

الموضوع كان غصب عنها مقدرتش ألومها طبعًا، بالعكس أنا قدّرت ده جدًا برغم إنّي كُنت محتاج لها جدًا في الوقت ده، وبرغم إنّي كُنت ساعات بتضايق لمّا بشوفها منزّلة صور على انستجرام وهيّ بتضحك ومبسوطة، لمّا كُنت بشوف الصور كُنت بحس بشوية زعل للحظة، اللي هو إزاي انتي قادرة تنبسطي وتفرحي وتستمتعي بوقتِك كده وانتي عارفة إنّي بَعدّي بأصعب وقت في حياتي؟ وبعدين كُنت بفوق فجأة وأقول لنفسي إيه يا ابني اللي انتَ بتقوله ده؟! إيه الأنانية دي؟ ما تسيبها تفرح وتنبسط! هيَّ لازم يعني تنكّد على نفسها في أجازتها عشان خاطر سيادتك؟ حقيقي كُنت مُتفهِّم عدم وجودها لأقصى حد، ولمّا رجعت من السفر كانت خلاص ماما فاقت ورجعت البيت، والدُنيا ابتدت تتظبط شوية، اتقابلنا، بتقول معرفتنيش، شكلي كان متغيّر وكُنت شايل هموم الدُنيا على كتفي، زنّت عليّا كتير عشان أحكي لها وأفضفض معاها، بس أنا كُنت خلاص مش قادر أتكلم، في حاجات عشان تحصل لازم تحصل في وقتها، تأجيلها بيموتها، ولو اتعملت بعد كده بتكون ماسخة وملهاش طعم، ده كان إحساسي وقتها، حاولت تضحكني، تناغشني، تتدلّع عليّا، مقدرتش أرُد عليها بأكتر من ابتسامة، كانت ابتسامة صادقة طالعة من القلب، بس هيَّ مفهمتش كده، هيّ فهمت إن أنا اتغيّرت، وإنّها مش هتقدر ترجعني "مُصطفى" بتاع زمان..

طبيعي أتغيّر، إذا كان كُل حاجة خلاص اتغيرت، أحلامي اللي كُنت راسمها وسارح في سماها خلاص اتهدّت، دلوقتي أنا بقيت مسؤول عن أمّي وأختي مسؤولية كاملة، وعن "آية" كمان، "آية" اللي كُنت واعدها قبل وفاة أبويا إنّي هتقدم لها قُريّب عشان علاقتنا تبقى في النور، كُل حاجة دلوقتي بقت أصعب، فُرصة السفر بقت شبه معدومة، وبقيت مُطالب إنّي أنزل أدوّر على شُغل عشان أقدر أصرف على نفسي وعلى أمّي وأختي، بعد ما بابا خسر كُل فلوسه ومسابلناش حاجة خالص، ده غير إنّي كُنت محتاج أحوّش كمان عشان أقدر أتقدّم لــ"آية" في أسرع وقت، لفّيت على أصحاب الشركات والوكالات المُختلفة، بس أنا كُنت لسّه متخرّج ومعنديش أي خبرة، تعبت جدًا وكُنت قرّبت أيأس، كُنت خلاص هروح أقدّم في أي شركة اتصالات زيّ "حاتم"، لحد ما لقيت أستاذ "لُطفي" زميل بابا بيكلمني وبيقول لي إنّه وجد لي شُغلانة كويسة في شركة ميديا مُحترمة، وقال لي إن الانترفيو بتاعهم صعب جدًا، بس هو كان واثق فيّا، شكرته واتكلت على الله ورُحت الانترفيو، وزيّ ما كُنت بحكي لـ"مريم" من شوية، قلبت لهم الانترفيو، وضحكتهم كُلّهم، في النهاية اقتنعوا إنّي شخص كرييتف ودماغي كويسة، فَـــ اتعينت، وكُنت فاكر إن مشاكلي كُلّها اتحلّت بما إنّي اتعينت في شركة مُحترمة بمُرتب مُحترم، بس الحقيقة إن دي كانت بداية مشاكلي الحقيقية، مع "آية!.."

"-وحشتني"

"-وانتي كمان، وحشتيني جدًا"
"-مش باين"
استغربت إجابتها، ضمّيت حواجبي وسألتها:
"-قصدِك إيه؟"
"-مَفيش"
"-هو إيه اللي مَفيش يا آية اتكلمي أرجوكِ أنا تعبان ومش حمل مناهدة"
"-أهو شوف بتتكلم إزاي؟ هو انت مش ملاحظ إن مُعاملتك اتغيَّرت معايا 180 درجة يا مُصطفى؟"
ابتديت أتضايق..
"-180 درجة؟"
"-أيوة طبعًا! مبقتش بتسأل ولا بتهتم زيّ الأول! بقيت بستنّاك تخلّص شُغلك كُل يوم بليل عشان أكلمك وأحكي لك تفاصيل يومي وفي الآخر بحسّك مش سامعني أصلًا! وكإني بكلّم روحي"!
اتضايقت أكتر، افتكرت لمّا كُنت برجع كُل يوم من الشُغل تعبان وجايب آخري، وهموت وأنام، بس كُنت برُد عليها برضو عشان أسمعها، عشان محسسهاش إنّي مش موجود، ومع ذلك بتقول كده!
"-هو ده اللي انتي شايفاه بس؟ مش شايفة حاجة تانية؟"
"-أنا مبقتش شايفة حاجة منك يا مُصطفى! لإنّي مش بشوفك أصلًا، مش شايفة غير صاحباتي المُرتبطين وعلاقاتهم باللي بيحبُوهم عاملة إزاي، دايمًا معاهم، دايمًا موجودين، ومُعظمهم بيشتغلوا على فكرة"!
اتعصبت فجأة وعليت صوتي:
"-مُعظمهم بيشتغلوا 12 ساعة ومسؤولين عن أمهاتهم واخواتهم الصُغيرين؟ مُعظمهم معندهمش أب يشيل عنهم المسؤولية شوية؟ ولا متدلعين ولسّه بياخدوا المصروف من بابا وماما جمب مُرتبهم؟ ماهو لو كده يبقى طبيعي جدًا يهتموا ويسألوا ويبقوا موجودين! ويصرفوا فلوسهم كُلّها على الهدايا والخروجات والأكل، وصَحباتك ينزلوا الصور وانتي تتفرجي وتقولي الله! انتوا إزاي كده؟ مش كده؟"
بان على ملامحها الخوف من ردّة فعلي الغير مُتوقعة منّي إطلاقًا، بصّت حواليها لقت الناس الناس بتبُص علينا في الكافيه، فَـــ اتكسفِت، حسّيت إنّي زوّدتها شوية، حاولت أهدّي نفسي، شربت شوية مايّة، خدّت نفس عميق، مدّيت إيدي ومسكت إيدها، وبعدين بصّيت في عينيها وقُلت لها:
"-آية، أنا بعمل كُل اللي بعمله ده علشانِك، عشان أقدر أتقدم لِك في أسرع وقت، وأقدر أعيشِك في مُستوى زيّ اللي انتي عايشة فيه وأحسن كمان، وده مش هيحصل بسهولة،

وأكيد مش هقدر أعمله من غير وجودِك جمبي، يا حبيبتي احنا بنمُر بمرحلة صعبة في حياتنا، ولازم نبقى مع بعض ونستحمل بعض عشان نقدر نعدّي منها على خير، تمام؟"
سكتت، كان باين في عينيها عدم الاقتناع، كُنت هقول حاجة بس لقيتها بتبتسم بعفوية وبتقول:
"-تمام، تمام يا مُصطفى"
طبعًا كُنت عارف إنه مش تمام ولا حاجة، كانت أول مرة تكدب عليّا، وبدل ما ألاقي منها تصديق على كلامي كان بيحصل العكس، كانت بتبعد، بتبعد بشكل تدريجي، خصوصًا لمّا دخلت الجامعة واتعرفت على شلّة صُحاب هناك، وبقت بتقضّي مُعظم وقتها معاهم، في الأول كُنت مبسوط إنها أخيرًا لقت حاجة تشغل نفسها بيها، بس الموضوع اتطوّر لدرجة إنّها بقت قُليّل ما بتُخرج معايا يوم أجازتي، كانت بتُخرج معاهم هُمّا، ده غير إنّ الشلّة ماكنتش بنات بس، كان معاهم ولاد، وكذا مرة تحكي لي عن موقف حصل بينها وبين ولد منهم وأنا أتضايق وأقفش! اللي هو هزارِك يكون بحدود يعني، فَـــ ألاقيها بتضايق إن أنا اتضايقت، وترمي لي كلمة صعبة زيّ إنّه "على الأقل هُمّا موجودين، انتَ فين بقى؟" كلامها كان جارِح جدًا، فَـــ كُنت بفضل واخد موقف يومين على أمل إنّها تيجي وتعتذر على طريقتها، بس ده ماكنش بيحصل، وفي النهاية لمّا كُنت بحس إنّها وحشتني وإنّي مخنوق من ضغط الشُغل وعلى آخري وعايز أكلمها عشان أفضفض معاها، ألاقيها بتلوم عليّا إنّي مكلمتهاش كُل ده، فَـــ أقول لنفسي معلش، خليها عليّا المرة دي، وأصالحها، وبمُجرد ما كُنت بصالحها كانت بتتكلم عنها هيَّ، عن صحابها واللي بتعمله ويّا صحابها، ومُغامراتهم في الجامعة، كانت بتُقعد ترغي المُكالمة كُلّها، وفي آخر المُكالمة كانت بتفتكر بقى تسألني عامل إيه؟ كُنت ببص في الساعة ألاقي الوقت متأخر، وأكتشف إنّي لازم أنام عشان أصحى بدري وأروح الشُغل، فَـــ أقول لها إنّي كويس، وإنّي تعبان ولازم أنام، وأقفل، طبعًا هيَّ كانت بتترجم اللي بعمله إنّه عدم اهتمام، في حين إن أنا أصلًا هموت وأحكي لها وأفضفض معاها، بس كُنت باجي على نفسي وأقول مش مُهم، بُكرة لمّا نتجوّز هحكي لها كُل اللي في قلبي، ومش هخبّي عنها حاجة أبدًا، كُنت بقول الكلام ده لنفسي وأنا مش مصدقه أوي، مكدبش عليكوا، إحساسي بيها غصب عنّي ابتدا يقل لإنّي مبقتش أحس إنّها حاسّة بيّا، بقيت بحس طول الوقت إنّها بتلومني وبتعاتبني، وبتقارن نفسها بصاحبتها اللي ارتبطت والتانية اللي اتخطبت، وده مش عارف جاب لها إيه وده عملّها إيه، مبقتش قادرة تحس بيّا ولا تحس باللي بعمله علشانها، أنا بتعذّب، حرفيًا بتعذّب عشان أجمَع فلوس الشقة والشبكة والمهر وكُل الحاجات دي، وهيَّ، ولا هنا! ولا كإنّي بعمل حاجة، فَـــ طبيعي إحساسي بيها يبتدي يقل، فضلنا على الوضع ده شهور، شهور والمسافة بيننا عمّالة تزيد أكتر وأكتر، وأنا بمنّي نفسي إن كُل حاجة هتتصلح قُريّب، لحد ما من كام يوم لقيتها بتكلمني وأنا في الشُغل وبتقول لي إنّها عايزة تقابلني ضروري، كان

صوتها متوتر وقلقان، استأذنت من مُديري ساعة ورُحت أقابلها، كُنت خايف لا يكون حصلها حاجة، وصلت، لقيتها كويسة ومفيهاش حاجة، سألتها في إيه؟ طلبت منّي أقعد، فَــ قعدت، وبعد تردد كبير من ناحيتها، لقيتها بتقول لي، "مُصطفى، أنا متقدم لي عريس، ومُضطرة أوافق عليه".

****

-"

عارفين العريس طلع مين؟"
كُلّنا في صوت واحد قُلنا:
"-مين؟"
"-واحد صاحبها من شلّة الجامعة"!
"مريم" ردّت وقالت:
"-الواطية"
رميت لها نظرة عتاب، مش وقته يعني يا "مريم" عشان تقول لي كده، بصّت لي وحسّت إنّها اتسرّعت فَـــ بصّت لــــ"مُصطفى" وقالت له:
"-أنا آسفة يا مُصطفى مش قصدي"
"-ولا يهمك يا مريم"
بصّيت له وأنا متأثر بقصّته، وقُلت له:
"-طب وبعدين يا مُصطفى؟ عملت إيه انت؟"
"-مَفيش يا حاتم، سمعتها، سمعتها كويس من غير ما أبدي أي رد فعل، قالت لي إنّها مش عارفة تُرفض المرة دي لإنّها دايمًا بتحكي لمامتها وباباها عن صحابها بتوع الجامعة، وقالت لي كمان إنُه بيحبّها من زمان، من أيام ما كان معاها في دروس الثانوية العامّة، ده غير إنّه جاهز طبعًا، من عيلة مستريحة شوية، فَـــ معندهُمش مُشكلة في موضوع الفلوس ده خالص، وقالت كمان إنّه ماقلّهاش أصلًا، وإنّه انتهز فُرصة إن باباها موجود في مصر وراح قابله من وراها، عشان يبقى دخل البيت من بابه وكده"
كان باين على "ياسمين" إنّها متعصّبة منها، ردّت بنرفزة وقالت:
"-لأ عدّاه العيب والله، تلاقيها بتضحك عليك يا ابني، وبتقول لك كده وهيّ مظبّطة معاه كُل حاجة أصلًا"
لاحِظت إن "شروق" أستفزت من الكلام، ردّت عليها وقالت:
"-متظلميهاش يا ياسمين، ما يمكن يكون ماقلّهاش فعلًا"
"-وحتّى لو ماقلّهاش، ده ميدّيهاش الحق إنّها تتخلّى عن مُصطفى بالسهولة دي، مش بعد كُل اللي عمله واستحمله علشانها"!
"شروق" سكتت ومعرفتش ترد، قام "مُصطفى" رادد وقايل:
"-هيّ لسّه متخلتش أوي يعني"
رد "هشام:"
"-يعني إيه؟"!
"-هيَّ قالت لي إنّها عايزاني أنا، وبتحبّني أنا، بس لو أنا كُنت فعلًا بحبّها وعايزها.. يبقى لازم أتقدم دلوقتي، وإن دي الحاجة الوحيدة اللي هتثبت لها إن أنا لسّه عايزها، ولسّه موجود في حياتها، غُلبت أشرح لها إنّي مينفعش أتقدم وأنا مش جاهز، وبعدين ده أسوأ

وقت مُمكن أتقدم لها فيه، هروح أتقدم وأنا لسّه مكملتش حق مُقدّم الشقّة وفي حد تاني متقدِّم وجاهز بالشقّة والعربية والمهر والشبكة وكُل حاجة؟ أنا لو من أبوها هرفضني من قبل ما أقابلني أصلًا"

ردّت "نور:"

"-طب ما تتقدم وخلاص يا مُصطفى.. مش هتخسر حاجة يعني، مش يمكن لمّا تتقدّم تلاقي الأمور متسهلة؟"

"-تفتكري مفكّرتش في كده؟! فكّرت طبعًا، بس العقل والمنطق بيقول مينفعش تتقدم لواحدة بنت ذوات غير وانتَ جاهز من مجاميعه، وبعدين.. وبعدين أنا حاسس إنُها بتلوي دراعي، يا نور بتقول لي يا تيجي تتقدّم دلوقتي، يا هبقى لراجل غيرك"!

"هشام" رد بعصبية:

"-لأ طبعًا متروحش تتقدم ولا حاجة! ده إيه لعب العيال ده، الجواز مسؤولية ومسؤولية كبيرة كمان، وبعدين هيَّ عشان تجيب رجلك تروح تقول لك إنُها متقدم لها عريس من العيال اللي انتَ مش بتطيقها؟ وكمان بتقول لك هتوافق عليه؟ أعذرني يا مُصطفى بس دي قذارة منها"

ردّت "نور" على كلام "هشام" وقالت له:

"-مش يمكن تكون بتقول كده بس عشان تحمسه ييجي يُخطبها ومفيش عريس ولا حاجة"!

"-يا سلام؟! ده كده أسوأ وألعن كمان، يعني هيَّ عارفة إيه أكتر حاجة بتضايقه وبتلعب عليها بالمنظر ده؟! لأ دي كده تبقى"..

قاطعته بسُرعة:

"-خلاص يا هشام في إيه، اهدى"!

بصّ لي واتنّهد بغضب، وبعدين سكت، "مريم" مالِت على "مُصطفى" ومسكت إيده عشان تواسيه، قام "مُصطفى" ابتسم لها بتكلف في اللحظة اللي "يوسف" قال لّه فيها:

"-طب.. هتعمل إيه يا مُصطفى؟ ناوي على إيه؟"

"-مش عارف، حقيقي مش عارف، المفروض أرُد عليها النهاردة وأقول لها قراري، قراري اللي لسّه مأخدتوش، الموضوع مؤذي جدًا يا جماعة، ومُجرد التفكير فيه بيرهقني، أنا حقيقي حبّيتها وعشت معاها تفاصيل كتير جدًا حلوة، بس حاليًا بقيت بفكّر في حاجة واحدة، هل فعلًا هيَّ دي البنت اللي هبقى عايز أكمّل معاها بقية حياتي؟ وهل هقدر أكمّل معاها فعلًا بدماغها دي؟ هيَّ اتعوّدت إنّها تشوفني مُبهج ومنوّر ومُحفز وداعم ليها، بس مقدرتش تتقبل حُزني وروحي اللي اتطفت ومبقتش منوَّرة زي زمان، مقدرتش تتحمل الهالات السودا والعيون الكئيبة اللي بحاول أخبيهم عن كُل الناس، بس ببقى عايز أبينهم قُدّامها هيَّ لإنُها أكتر حد المفروض أبقى على طبيعتي معاه، أكتر حد المفروض

يتقبلني زيّ ما أنا، هيَّ مش قادرة تفهم إنّي مُمكن جدًا أحزن وأتعب بسبب المسؤوليات اللي زادت عليا، وإنّي مُعرض لاضطرابات نفسية زي باقي الناس، وإنّي مُمكن أقع في أي وقت، مش قادرة تفهم إنّي محتاجها تقوّمني لمّا أقع، تحفزني لمّا أستسلم، ولمّا أتطفي تنورني من جديد، هيَّ إزاي مش فاهمة إن كُل التعب اللي أنا فيه ده أصلًا علشانها؟ هيّ.. هيّ إزاي مش حاسّة بيّا"!

ردّت "شروق" فجأة:

"-سامحني يا مُصطفى بس أنا شايفة إنها عندها جُزء من الحق، التغيير اللي حصل لك، ماكنش سهل عليها إنها تتقبله، انتَ بالنسبة ليها مبقتش موجود، مش نفس الشخص اللي هيَّ عرفته، فَـــ هي ليها حق إنها"..

قاطعها "هشام" فجأة وقال بطريقة هجومية شوية:

"-وسّعوا يا جماعة للفيمينست بتاعتنا عشان تاخُد راحتها في الكلام! الله يخليكي يا شروق بطلي تهري في حاجة انتي معشتيهاش، الواد مش ناقص كلامك ده دلوقتي"!

"-مين قال لك إن أنا معشتهاش؟"

قالتها "شروق" بصوت مكتوم، فَـــ التفتنا ليها كُلّنا ولقيناها بتدمّع! "مُصطفى" بصّ ليها وهو متفاجئ ومذهول، متفاجئ لإنّه أول مرة يشوفها بتدمّع، ومذهول لإنّها قالت الجُملة الأخيرة دي، سكتت للحظة ومسحت دموعها، وبعدين وجّهت كلامها لـ"مُصطفى" وقالت:

"-أنا حاسّة بيك يا مُصطفى، وحاسّة بكُل كلمة قُلتها، أنا بس مش قادرة محُطّش نفسي مكانها، يمكن لإنّي إلى حد ما فعلًا مكانها"

اتصدمنا كُلّنا، بس "مُصطفى" كان أكتر واحد اتصدم فينا، رد وقال لها:

"-إيه؟! شروق انتي مُرتبطة؟"

"-حاجة زيّ كده"

"-ومتقوليليش؟"

"-صدّقني يا مُصطفى محدّش يعرف غيري أنا وهو"

"-حد أعرفه؟ أكيد حد أعرفه"!

"-تعرفه آه، حكيت لك عنّه مرة قبل كده"

اتدخّلت في الحوار وقُلت لها:

"-وليه بتقولي إنّك إلى حد ما مكان آية؟"!

"-يمكن لإنّي اتحطّيت في الموقف ده كتير معاه"

"-موقف إيه بالظبط؟"

سكتت، خدّت نفس عميق وطلّعته بالراحة، وبعدين قالت:

"-إنّي أكون مستنية منّه فعل مُعيّن، وهو ميعملوش"



الحكاية الثالثة

شروق

-"لو سمحت.. هو الأتوبيس ده بيعدّي على الجامعة؟"
-"آه يا أبلة اركبي"
طلعت سلم الأتوبيس وأنا بحاول مفكرش كتير في كلمة "أبلة" اللي الكُمسري قالها دي، قطعت تذكرة ووقفت على جمب، شوية والأتوبيس ابتدا يتزحم، رجّالة كُبار والستّات بتوع المصالح الحكومية، بيّاعين نعناع، وشباب جامعة زيّي، حطّيت السمّاعات في ودني وعشت مع المزّيكا والأتوبيس بيتحرك بينا وبيهزّنا يمين وشمال، لحد ما فجأة، حسّيت بحد بيحسس بإيده على ضهري، اتخضّيت للحظة وبصّيت ورايا بسُرعة، كان راجل أربعيني أصلع، عنده شنب كثيف، أطول مني بكتير وجسمه قد جسمي مرتين على الأقل، أول ما لقّيت له شال إيده على طول وبص الناحية التانية، بصّيت قُدّامي وشلت السماعات من وداني، قلبي كان بيدُق بسُرعة جنونية، كُنت خايفة، بس حاولت مبينش ده، شوية والأتوبيس اتهز تاني، فَـــ لقيت نفس الراجل بيخبط فيا مع هزّة الأتوبيس، الدم غلي في عروقي وخُفت أكتر، اتحركت ورُحت وقفت في مكان تاني بعيد عنّه، مَعدّاش دقيقتين ولقيته ورايا، وأول ما ابتدا يمد إيده لقّيت وزقّيته بكُل قوّتي، وبرغم كده متهزّش ولا اتحرك من مكانه بسبب ضخامة جسمه، زعقت فيه بصوت عالي وقُلت له:
-"ابعد إيدك دي عنّي يا حيوان يا زبالة!"
-"في إيه يا بت هو أنا جيت جمبِك؟"
صوته خوّفني أكتر ما أنا خايفة، بس حاولت أفضل محافظة على جمود ملامحي، ردّيت وقُلت:
-"انت عمّال تتمسح فيّا من ساعة ما ركبت، وأتحرك بعيد عنّك تيجي ورايا برضو!"
-"وأنا هتمسح فيكي ليه يا أختي؟ من جمالِك يعني؟ ده انتي شبه وش رجلي"
سمعت حد بيضحك في آخر الأتوبيس، بس ملتفتش ليه، كمّلت كلامي وقُلت له:
-"بقولك إيه.. والله لو ما بعدت عنّي لهمسح بكرامتك الأرض يا زبالة يا ابن الزبالة"
-"تمسحي الأرض بكرامتي أنا؟ طب وربنا لأوريكي"
مسك إيدي جامد والشرار كان بيتطاير من عينيه، مكُنتش خايفة لأ، أنا كُنت مرعوبة، غمّضت عيني في اللحظة اللي سمعت فيها صوت ضربة شديدة وحد بيتوجّع، فلت إيدي من إيده وأنا بفتّح عيني، بصّيت على شمالي لقيته بيتهبد بجسمه على أرضية الأتوبيس، وبيُغمى عليه، مفهمتش!
بصّيت على يميني، وشُفته، شاب في سنّي تقريبًا، أو أكبر شوية، طويل، رُفيّع، شعره كيرلي، ولابس نضّارة نظر كبيرة، كان بيتنفس بصعوبة وهو بيبُص على الحيوان اللي كان بيتحرش بيّا وهو واقع على الأرض، وكأنّه مش مصدّق إنّه عمل كده فعلًا وقدر يهزم الوحش ده بضربة واحدة، فضل يضم إيده ويفتحها كذا مرة من كُتر ما كانت بتوجعه، الناس كانت

بتراقب الموقف وهيَّ متنحة! ومحدش منهم اتجرأ إنُه يتكلم أو يفتح بُقُه، أنا نفسي كُنت مصدومة، بُصّ لي، وكان عايز يقول لي حاجة، بس صوت السوّاق منعه إنّه يتكلم لمّا نده بصوت عالي وقال:

-"الأبله اللي عايزة الجامعة تقرّب على الباب كده"

فضلت بَصّه له للحظة، وبعدين بصّيت للحيوان اللي اتحرش بيّا، لقيته ابتدا يفوق، خُفت وجريت بسُرعة ناحية الباب، الأتوبيس كان مهدّي فَــ نطيت منه وكُنت هقع على وشّي، حطّيت السمّاعات في ودني وعلّيت الصوت على الآخر، عدّيت الطريق بسُرعة من غير ما أبُص على العربيات، وفضلت أمد من غير ما أبُص ورايا، حاولت أهدّي قلبي اللي كان بيسابق الريح، فضلت أقول لنفسي "اهدي، اهدي يا شروق، موقف وعدّى، والحمد لله محصلش حاجة يعنـــــ.."

فجأة! حسّيت بحاجة بتمسكني من معصم إيدي! اترعبت وصرخت صرخة مكتومة وأنا بلف علشان أواجه اللي عمل كده، لقيته هو، مش المُتحرش لأ، الشاب اللي ضربه، ساب إيدي فجأة وقال حاجة مسمعتهاش، شلت السمّاعات بعصبية واضحة عشان أسمعه، لقيته بيقول لي:

-"أنا آسف ماكنش قصدي أخُضّك، انتي.. انتي كويسة؟!"

-"وانت مالك كويسة ولا مش كويسة؟ خليك في حالك يا أستاذ، وبعدين انت نازل ورايا ليه حضرتك انت تعرفني؟!"

-"أنا مقصدتش حاجة والله أنا بس.."

-"ابعد عنّي وإلا والله.."

-"إيهٌ؟ هتمسحي بكرامتي الأرض برضو؟"

-"تحب تجرب؟"

بص حواليه لقى الناس ابتدت تبُصّ لنا، ابتسم ابتسامة واحد مُحرج، حط إيده قُدّامه وكأنّه بيعتذر وبعدين قال:

-"لا وعلى إيه، أنا آسف مرة تانية، وصدقيني مش هزعجِك تاني، عن إذنِك"

قال الجُملة الأخيرة واتحرك بعيد عنّي، بصّيت له لثواني وبعدين لفّيت ومشيت في اتجاه الجامعة، حسّيت إنِّي قسيت عليه وجرحته، بس قُلت لنفسي إنّه يستاهل، هو في حد يخُض حد كده؟ بس لأ برضو ماكنش ينفع أرمي الكلمتين دول، ده الوحيد اللي دافع عنّي يعني، مشاعري كانت متلخبطة، ما بين خوف وغضب وندم على اللي عملته معاه، كُنت محتاجة أتكلم مع حد، دخلت الجامعة وكلّمت "مُصطفى" عشان أشوفه فين، لقيته في الكُليّة لسّه مخلص مُحاضرة، واتفقنا نتقابل عند كافيه تايم أوت اللي جمب الكُليّة، علشان أحكي له اللي حصل..!

-"طب والله أنا ما شُفت في غباءِك! في حد يعمل كده برضو؟"

-"جرى إيه يا حيوان انت؟ هو أنا بحكي لك عشان تهزقني؟ أنا عارفة إنّي اتنيّلت غلطت، بس متسوقش فيها يعني"
-"أصل بصراحة أنا حطّيت نفسي مكانه، الواد زمانه اتقهر يا عيني، صحيح، خيرٍ تعمل شرٍ تلقى"
ضمّيت حواجبي بأسى حقيقي، وبعدين قُلت له:
-"ح، أنا أكيد وجعته، وهو ميستحقش اللي عملته فيه ده"
سكتنا للحظة، كُنت ببُص فيها لـــ"مُصطفى" وأنا بفكّر أقوله إيه، لحد ما الكلام خرج منّي لوحده:
-"تعرف؟! دي أول مرة حد يعمل معايا كده، أول مرة أحس إنّي مش لوحدي، ومش مُضطرة أتصرف بنفسي، مش محتاجة أعلّي صوتي وأزعق وأخُد حقّي بدراعي، اللحظة اللي المُتحرش ده مسك إيدي فيها وكان هيضربني كانت لحظة مُرعبة، وكإنّي، وكإنّي كُنت واقفة على حافة جبل عالي، وفقدت توازني ووقعت، وحسّيت بجسمي وهو في الهوا، غمّضت عيني وأنا على يقين إنّي خلاص، هموت، وفجأة، حسّيت بإيد بتمسك فيّا جامد وأنا في الهوا، إيد منعتني من الوقوع وأنقذتني بعد ما فقدت الأمل تمامًا، بُص أنا مش عارفة انت فاهمني ولا لأ، بس أنا لمّا فتّحت عيني واستنتجت إنّه دافع عنّي، ومنع عنّي الأذى، حسّيت.. حسّيت إنّي مش مُضطرة أخاف حسّيت بأمان لحظي عُمري ما حسّيته قبل كده، فاهمني؟"
-"يا سيدي يا سيدي، معقول الكلام ده طالع منّك انتي؟"
ابتسمت بمرارة، وبعدين قُلت:
-"طبيعي تستغرب، وده لإنّك مشوفتش منّي غير جانِب واحد بس، شروق، البنت المسترجلة، المُتمردة، اللي لسانها أطول منها، طول عُمري أخت الولاد، في المدرسة، وفي الجامعة، طول عُمري بحُط حدود بيني وبين أي ولد مهما كان هو مين، واللي كان يفكّر بس يعدّي الحدود دي كُنت ببهدله، كان بيندم على اليوم اللي فكّر فيه ياخُد خطوة زيّ دي"
-"انتي هتقولي لي؟ ده أنا شاهِد على كُل ضحاياكِ، وعُمري ما قدرت أفهم انتي بتعملي كده ليه؟"
-"علشان مش عايزة أي حد والسلام يا مُصطفى، عارف.. وأنا بصُدّهم كُنت بتمنى لو حد فيهم يقدر يتقبل الصد ده ويفضل مكمّل، حد يحسسني إنّي مُميّزة، وإنّي أستاهل إنّه يحارب علشان يوصل لي، حد يعمل المُستحيل علشاني، ويثبت لي إنّه بيحبّني بالأفعال مش بس بالكلام، من الآخر، عايزة واحد يبقى أرجل منّي!"
فجأة لقيت "مُصطفى" بيبتسم بسُخرية، فَـــ توقعت إنّه هيقول تعليق سخيف من بتوعه، وفعلًا لقيته بيقول لي:

-"لأ صعب يا شروق بصراحة، ده انتي أرجل منّي أنا شخصيًا"
الكلمة وجعتني، وجعتني جدًا، بس مبينتش ده، ضحكت ضحكة مُفتعلة وبعدين قُلت له:
-"فِي دي بقى معاك حق، أنا فعلًا أرجل منّك"
"مُصطفى" حس إنّه اتمادى شوية، فَـــ حاول يلطّف الجو وقال:
-"بس مين عارف يعني، مُمكن تلاقيه"
-"لا لا صعب، وحتّى لو حصل ولقيته، أكيد هرمي له كلمتين دبش من بتوعي وهطفَّشه بطريقتي دي، أكيد هخاف وهحُط بيني وبينه ألف حاجز، وهو هيستسلم ومش هيستحمل، زيّه زيّ غيره، حتّى لو لقيت الشخص الصح يا مُصطفى، هضيّعه من إيدي"
سكت ومردّش، فجأة حسّيت إنّي مكانش المفروض أقول كُل الكلام ده، هزّيت إيدي وقُلت له:
-"فُكك فُكك، قول لِي انتَ.. انتَ وراك إيه دلوقتي؟"
بصّ لي للحظة، وحسّيت إنّه ابتدا يفهمني، طلّع فلوس من جيبه عشان يحاسب على القهوة اللي شربناها، وبعدين قام من مكانه وقال لِي:
-"ورايا مُحاضرة، هخلصها وأكلمِك، هتبقي موجودة؟"
-"احتمال آه"
-"ماشي"
سابني واتحرك خطوتين، وفجأة وقف، لف وبصّ لي، وبعدين نده عليّا وقال:
-"شروق"
-"إيه؟"
-"لو لقيتي الشخص الصح وضيّعتيه من إيدِك، أكيد هيبقى فِي فُرصة تانية، لو هو فعلًا الشخص الصح يبقى لازم القدر يجمعكم تاني، وصدقيني، مهما عملتي، مش هتقدري تمنعي ده من إنّه يحصل"
كان بيتكلم بجد، من المرّات القُليلة اللي شُفت فيها "مُصطفى" بيتكلم بجد كده، مدّانيش فُرصة أرُد عليه، سابني ومشي، وفضلت أنا قاعدة فِي مكاني، بفكّر فِي جُملته الأخيرة..
عدّى أسبوع من ساعة اللي حصل، كُنت خلاص قرّبت أنسى الموضوع كُلّه، بس قررت إنّي أبطل أركب أتوبيسات خالص، وبقيت بركب ميكروباصات أفضل، وكُنت مُعظم الأوقات باخد الكُرسيين اللي جمب السوّاق وبدفع أجرة زيادة، بس فِي اليوم ده ملحقتش الكُرسيين دول، فَـــ قعدت فِي الكنبة اللي ورا السوّاق على طول، وقعدت جنبي ست كبيرة، حطّيت السمّاعات فِي ودني كالعادة، لحد ما الميكروباص وقف والست اللي جمبي نزلت، وكان فِي حد بيستعد عشان يركب مكانها، ركّزت فِي ملامحه وركّز فِي ملامحي، واتخضّينا إحنا الاتنين، كان هو! بشعره الكيرلي وجسمه الرُفيّع وعينيه التايهين ونضّارته الكبيرة، فضل

واقف على الباب وهو باصص لي ومش عارف يركب ولا لأ، لحد ما السوّاق اتكلم وقال، "ما تخلص يا أستاذ هتركب ولا إيه؟"، اتردد لحظة وكان هيرجع لورا ويقفل الباب، بس في النهاية لقيته بيركب فعلًا، وبيُقعد جمبي.
كُنت مُحرجة جدًا في اللحظة دي، بصّيت من الشبّاك عشان ميحصلش بينا أي احتكاك، فضلت مستنيّة إنّه يرخم عليّا أو يعمل أي تصرف يضايقني، بس مفيش حاجة من دي حصلت، كُنت عايزة أبُص ناحيته جدًا، بس كُنت مكسوفة، فَـــ اكتفيت بإنّي طفيت الأغاني من غير ما أشيل السمّاعات، عشان أبقى مركزة مع أي حركة مُمكن يعملها وفي نفس الوقت أبان إنّي مش مُهتمة، عدّى حوالي خمس دقايق وأنا على الوضعية دي، ومحصلش منّه أي حاجة، ده حتّى مخبطش فيّا أو لمسني بقصد أو من غير قصد، الفضول كان أقوى منّي، مقدرتش أمسك نفسي فَـــ لفّيت دماغي بالراحة وبصّيت عليه بطرف عيني، لقيته ضامم رُكبه وقاعد قاعدة مش مُريحة، عشان يسيب بيني وبينه مسافة وميخبطش فيّا، كان حاطط إيده على رُكبه وماسِك موبايله وكان لابس سمّاعات زيّي وباصص الناحية التانية، اتأملته للحظة لمّا لقيت موبايله بينوّر لوحده، فَـــ أخدت بالي إنّه مش مشغّل حاجة، أو كان مشغّل وقفل الأغنية، زيّي، ابتسمت غصب عنّي، وفضلت بَصّه له شوية، وفجأة كده وبدون مُقدّمات لقيتني بقول له:
-"لو سمحت"
إيده ارتعشت وهو ماسِك الموبايل، بس عمل نفسه مسمعنيش، مقدرتش أمنع نفسي من إنّي أضحك، استغرب طبعًا من ضحكتي، لف دماغه وبص قُدّامه وكأنّه بيتابع الطريق، على أمل إنّه يلمحني بطرف عينه ويعرف بضحك على إيه، بس أنا طبعًا كُنت ببُصّ له بطريقة مُباشرة، فَـــ اتكسف ورجع بص الناحية التانية، روحت رفعت إيدي للحظة في الهوا، كُنت مُترددة جدًا، بس في النهاية لقيتني بخبّط على كتفه بالراحة، التفت ناحيتي، بصّ لي وهو عامل نفسه عبيط، وبعدين شال السمّاعات عشان يسمعني، خدت نفس عميق وابتسمت وقُلت له:
-"بتسمع إيه؟"
-"نعم!"
استغرب سؤالي طبعًا، فَـــ كررته مرة تانية بنفس الابتسامة، سكت للحظة، وبعدين قال بجدّية واضحة:
-"مش فاهم، بتسألي ليه؟ هو احنا نعرف بعض؟"
ضحكت تاني، وبعدين قُلت:
-"لأ حلوة"
-"هيّ إيه دي اللي حلوة؟!"
-"بُص، من غير لف ودوران، أنا كُنت عايزة أقول لك إنّي.. كُنت عايزة أقول لك أنا آسفة"

-"آسفة على إيه؟"
-"متستعبطش!"
بصّ لي وهو مستغرب بجاحتي جدًا! مفيش فايدة فيًا برضو، مهما حصل هفضل دبش!
اتضايقت إنّي رميت له الكلمة دي فَـــ حاولت ألحق الدُنيا بسُرعة وقُلت له:
-"آسفة عشان عاملتك بشكل مش كويس آخر مرة، مكانش المفروض أقول اللي قُلته ساعتها، متزعلش منّي يعني"
-"آه، افتكرت، لمّا كُنتي عايزة تمسحي بكرامتي الأرض مش كده؟"
-"أيوة، عامة انت مش مُضطر تقبل اعتذاري، بس كان لازم أعتذر لك برضو"
قُلت الجُملة الأخيرة وحسّيت بشوية غضب، لإنّي أول مرة أتحط في الموقف ده، أول مرة أعتذر لحد، بصّيت الناحية التانية وفضلت أفكّر في إنّي مكانش المفروض أعتذر أصلًا، ماكُنتش حابّة أبان ضعيفة قُدّامه بالشكل ده، كُنت عايزة أسحب كُل كلمة قُلتها في اللحظة اللي لقيته بيقول لي فيها بصوت هادي:
-"مش زعلان منّك على فكرة"
ولقيت فجأة الغضب اللي كُنت حسّاه بيختفي تمامًا، وكأنّه ماكنش موجود من الأساس، بصّيت له وأنا مستغربة، فَـــ كمّل وقال:
-"أنا مقدّر جدًا الحالة اللي كُنتي فيها وقتها، وأي بنت لو في مكانِك كانت هتتصرف تصرف شبه ده، الموقف كُلّه صعب جدًا على أي بنت، حتّى لو.. حتّى لو كانت بنت شُجاعة وجريئة زيّك"
ابتسمت بلُطف، وقُلت له:
-"مُتشكرة"
-"العفو، أنا بس كُنت عايز أتطمن عليكي، مكانش قصدي أخوّفِك أو أزعجِك"
-"أنا فاهمة"
ابتسم هو كمان، كان هيقول حاجة بس سكت، فَــ قُلت له:
-"كُنت هتقول إيه؟"
-"لا لا مفيش"
-"يا عم قول بس، مبعُضش متخافش"
-"كُنت هسألِك انتي في كُليّة إيه؟"
-"بس كده.. في إعلام يا سيدي، قسم صحافة، وهتخرج السنة دي، وانتَ بقى؟"
-"أنا مُعيد في كُلية تجارة"

اتصدمت لمّا قال مُعيد، ردّيت وقُلت:
-"بجد؟"

-"آه"

-"مش باين عليك خالص، شكلك صُغيَّر"

-"أيوة كُل الناس بتقول لي كده، مش عارف دي ميزة ولا عيب بصراحة"

-"لأ ميزة أكيد"

اتكسفت بعد ما قُلت له كده، فَـــ سكت وابتسم، وبعدين قال لي:

-"معرفتش اسمِك"

-"شروق"

-"وأنا طارق"

-"عاشت الأسامي يا عم طارق، قصدي.. يا دكتور طارق"

ضحك على طريقتي الساخرة، وبعدين خد باله إننا قرّبنا من الجامعة، فَـــ وجّه كلامه للسوّاق وقال له:

-"الجامعة معاك يا اسطى الله يخليك"

-"من عينيا يا دكتور طارق"

بصّينا وإحنا مستغربين! لقيناه بيبُصّ لنا في المرايا وبيضحك، فَـــ فهمنا إنّه كان مركّز معانا كُل ده وسامع إحنا بنقول إيه، ضحكنا معاه بعفوية، وبعدين بصّيت لــــ"طارق"، اللي كان بيهزر مع السوّاق، في اللحظة دي، حسّيت بكذا إحساس مع بعض، حسّيت إنّي مبسوطة ومكسوفة ومرتاحة ومتلخبطة، مش بس كده، سرحت للحظة وفكّرت إن دي أول مرة في حياتي أحس فيها بأمان وأنا راكبة جمب ولد في المواصلات، وافتكرت الكلام اللي "مُصطفى" قاله، إنّي لو لقيت الشخص الصح أكيد القدر هيبعت لي فُرصة تانية، فكّرت في كُل ده في اللحظة اللي بصّ لي فيها فجأة وخد باله إنّي ببص له، لحقت نفسي بسُرعة وسألته:

-"مش هتقول لي كُنت بتسمع إيه بقى؟"

-"كُنت بسمع فيروز، أغنية من ألبومها الجديد"

-"اسمها إيه؟"

سكت لحظة وبصّ لي بابتسامة جميلة جدًا، وبعدين قال:

-"اسمها.... راح نرجع نتلاقى"

....

وماكُنتش أعرف إن اللُقا هيكون جميل بالشكل ده! يومها روّحت البيت ورميت نفسي على السرير وأنا في مُنتهى السعادة، كُنت حاسة إنّي بنّوتة في ثانوي وقلبي بيدُق لأول مرة، كُنت حاسّة إنّي بحب بجد، إحساس عُمري ما جربته بالقوة دي، فتحت موبايلي وجبت رقمه، وفضلت بَصّه له لحد ما حفظته، مفهمتش أنا إزاي اديّت له رقمي بالسهولة دي أول ما طلبه، بس أهو اللي حصل، فضلت بَبص للرقم لحد ما لقيته بيتصل فجأة، إيدي ارتعشت والموبايل وقع مني على السرير، دقّات قلبي فضلت تزيد ومكُنتش عارفة أتحكم في أعصابي، قُلت لنفسي إيه يا "شروق" مالِك؟ في إيه؟ معقولة ولد يعمل فيكي كده؟ ماكُنتش مصدّقة اللي بيحصل لي، مكُنتش مصدقة إنّي متلخبطة بالشكل ده لمُجرد إنّه بيتصل بيّا، حاولت أهدّي نفسي، مسكت الموبايل، وردّيت عليه، وحسّيت إن قلبي بيُرقص على نغمة صوته وهو بيقول "ألو"، كان بيطّمن إنّي روّحت، وإنّي كويسة، وقال لي إنّه حقيقي مبسوط بالصُدفة اللي جمعتنا، قُلت له بصوت واطي "وأنا كمان"، بس من جُوّايا، كُنت بقولها بصوت عالي، مليان بهجة، طلب منّي إننا نظبُط مواعيدنا عشان نروح الجامعة كُل يوم مع بعض، سكت شوية، وبعدين قُلت له بمُنتهى الثقة "ماشي معنديش مانع"، ضحك من قلبه على جُملتي الأخيرة، لو في حاجة مُمكن تبقى أجمل من صوته التقيل الهادي، هتبقى ضحكته، وفعلًا حصل، اتقابلنا تاني يوم، وبقينا بنتقابل كُل يوم بعدها، وإحنا رايحين الجامعة، واحنا مروّحين منها، وبمرور الوقت بقينا بنتقابل في الفواصل اللي بين المُحاضرات وبعضها، وبقينا بنتقابل برّه الجامعة كمان في الأجازات، وابتدت العلاقة بيننا تتوطّد أكتر وأكتر، عارفين لمّا تبقوا راسمين في خيالكم سيناريو لفيلم رومانسي متكتبش قبل كده، وتتمنوا تعيشوه بكُل تفاصيله، وفجأة تبتدوا تشوفوه بيتحقق قُدّامكم؟ ده بالظبط اللي كُنت حاسّاه وقتها، "طارق" كان بطل الفيلم اللي عشت بحلم بيه ورافضة أصدّق إنّه مُمكن يبقى حقيقة في يوم، كان طيّب، وحنيّن، وشهم، وهادي لأبعد حد، كان مُثقف جدًا ودماغه توزن بلد، وكُنّا بنتناقش في كُل حاجة تقريبًا، الأوضاع الاقتصادية، آخر الأخبار العلمية، السينما والأدب والمسرح، حتّى الرياضة، كلامنا مع بعض مكانش بينتهي، وعُمري ما حسّيت إنّي زهقانة وأنا بكلمه، وبمرور الوقت لقيت نفسي بحكي له عن كُل الجوانب المُظلمة في حياتي، علاقتي بأهلي السيئة، إحساسي إنّي مش واثقة من نفسي طول الوقت، لدرجة إنّي في مرة قُلت له إنّي بحس إنّي مش حلوة! معرفش الكلمة طلعت منّي إزاي، معرفش إزاي قدرت أقوله على أكتر حاجة بتحسسني بالنقص بمُنتهى البساطة كده؟ لقيته فجأة بيمسك إيدي وكانت أول مرة يمسك إيدي من يوم ما شُفته في الأتوبيس، إيدي ارتعشت في إيديه، للحظة حسّيت بسخونة رهيبة ووشّي احمّر، ماكُنتش أعرف إن وشّي بيحمّر وبيبان عليّا الخجل زي بقية البنات، معرفتش ده غير وقتها، مكُنتش قادرة حتّي أبُص في عينيه، ساعتها سحبت إيدي من إيده في اللحظة اللي لقيته بيقول لي فيها، "عارفة.. انتي أجمل بنت أنا شُفتها في حياتي"، قلبي وقف

للحظة من قوة الصدمة، اتثبّت في مكاني ومقدرتش أتحرك، بصّيت في عينيه، كانوا صادقين جدًا، دققت أكتر، وحسّيت.. حسّيت إنّي شايفة نفسي في عيونه، ولأول مرة في حياتي أحس إنّي حلوة في عيون حد، لأول مرة أحس إنّي بنت، ينفع تتحب وتتشاف جميلة، كُنت خلاص بنهار قُدّامه، مكُنتش هستحمل أي كلمة تانية مُمكن يقولها، فضلت قاعدة ساكتة لحد ما قام عشان كان وراه مُحاضرة، حطّيت إيدي على وشّي، وقُمت بعده بشوية، وجريت، لقيت نفسي بجري بأقصى سُرعة عندي، ومهتمتش بالناس اللي كانت بتبُص عليّا وأنا بجري زيّ الهبلة كده في الجامعة، كُنت بجري وأنا بضحك من أعماق قلبي، ودموع الفرحة كانت مغرقة عيوني، وقلبي كان بيُرقص، فضلت أجري لحد ما جبت آخري، فجأة وقفت وأنا مش قادرة أخُد نَفَسي، وقفت وبصّيت للدُنيا حواليا، كُل حاجة كانت جميلة، المباني والزرع والشجر، السما كانت صافية ووشوش الناس كانت مُبهجة، حسّيت إنّي شايفة الحياة بشكل مُختلف، كُل حاجة بقت أجمل في عينيّا بمُجرد ما حسّيت إنّي بحب، وإن اللي بحبّه شايفني أحلى بنت في الدُنيا، ومن بعدها، كُنت كُل ما أقول له على حاجة حلوة، كان يقول لي إنّي أحلى منها..

يمكن معترفليش إنّه بيحبّني، بس كُل حاجة كان بيقولها أو بيعملها كانت بتقول كده، وأنا كمان مقدرتش أعترف له إنّي بحبّه، لإن حاجة زي دي كانت صعبة عليّا أوي إنّي أقولها، بس بدأت أبيّن له إحساسي ناحيته بأفعالي، اللي اختلفت تمامًا عن الأول، اهتمامي بيه زاد عن الطبيعي، بقيت بستقبل منّه كلام حلو كتير جدًا ومش بصُدّه، مع إن ده عكس طبيعتي يعني، من الآخر، "طارق" هو الوحيد اللي قدر يطلّع البنوتة اللي جُوّايا، اللي كُنت مخبّياها عن كُل الناس، بس مقدرتش أخبّيها عنّه هو، البنّوتة اللي بتعرف تسأل عليه وتهتم بأدق تفاصيله، صحي إمتى، فطر إيه، جدول مُحاضراته ومواعيد شُغله، كُنت سند ودعم كبير جدًا ليه، وهو اللي ساعدني أكون كده، "طارق" شخص طموح جدًا، نفسه يبقى حاجة كبيرة في المجال الأكاديمي، فَـــ كُنت دايمًا بدعمه وبقوله إنّه يقدر يحقق كُل اللي بيحلم بيه، فضلنا على الوضع ده سنتين، وقفت جنبه وهو بيحَضر الماجستير بتاعه، سِهر وتِعب كتير جدًا، أوقات كان بيحس باليأس وإنّه مش هيقدر يكمّل، وأوقات تانية كان بيفكر يسيب التدريس خالص ويتجه لمجال تاني، كُنت دايمًا موجودة في الأوقات دي، بفوّقه وبمنعه من إنّه ياخُد أي خطوة تُضره أو تنهي مُستقبله، كُنت مؤمنة بيه ومصدّقة إنّه يقدر يوصل لكُل اللي بيحلم بيه، لحد ما فعلًا نجح، وحصل على الماجستير مع مرتبة الشرف الأولى، كُنت حاضرة المُناقشة يومها معاه، وكُنت فخورة بيه لأبعد حد، الفرحة ماكنتش سايعاني وأنا شايفاه بيستلم الشهادة اللي تعبنا فيها مع بعض، وخدت من وقتنا ومجهودنا أيام وشهور، يومها قال لي إنّه ماكنش هيوصل لأي حاجة لو ماكُنتش معاه، كُنت مبسوطة وقتها جدًا، حقيقي كُنت مبسوطة، يمكن لإنّه حسّسني بقيمتي وقيمة

وجودي في حياته، بس ماكُنتش أعرف إن بعد اليوم ده بفترة بسيطة، هبدأ أحس بعدم وجوده هو في حياتي! والفيلم الرومانسي الجميل اللي كُنت عايشاه، هيقلب نكد..

....

معدّاش وقت طويل وبدأت ألاحظ إنّه مبيهتمش ببعض التفاصيل البسيطة، تفاصيل مُمكن ناس كتير تعتبرُها تافهة أو مش مُهمّة، بس هيَّ بالنسبة لي كانت أهميتها كبيرة جدًا، وكانت بتضايقني، تعرفوا.. تعرفوا إنّي عُمر ما حد جاب لي ورد قبل كده، كان نفسي مثلًا إنّه يهاديني بوردة ولو مرة واحدة، كُنّا بنتمشّى كتير مع بعض على الكورنيش وبنقابل بيّاعين ورد كتير، وكُنت كُل مرة ببُص لبيّاعين الورد ونفسي تشتاق لوردة، وردة واحدة بس منّه، كُل مرة كُنت بتعشّم وبقول هيوّقف الراجل ويشتري لي منّه وردة ويقدّمها لي، فَـــ أخُدها منّه وأتكسف، وأبتسم برقّة، وأفضل شايلاها معايا لحد البيت، وأحُطها في مايّه وأفضل أبص لها، بس ده ماكنش بيحصل، أوقات كتير كُنّا بنُدخل سينما مع بعض، في كُل مرة كُنت ببقى حابّة أدخُل معاه فيلم رومانسي، بس هو كان دايمًا بيختار فيلم مُختلف، أكشن أو رُعب أو خيال علمي، كان نفسي في مرة يشوف بوستر لفيلم رومانسي ويقول لي نُدخله سوا، وقتها قُلت مش مُشكلة، يمكن مبيحبش الأفلام الرومانسية، بس.. بس أنا كمان مبحبّش أفلام الأكشن مثلًا، وبدخُلها معاه عشان خاطره، فيها إيه لو مرة يُدخل معايا فيلم أنا بحبّه؟ قُلت لنفسي مش لازم تيجي منّه، في مرة هقول له على فيلم رومانسي حلو وهنُدخله سوا، وفعلًا حصل، ووافق ودخلنا الفيلم، معدّاش نُص ساعة بالظبط وجات له مُكالمة مُهمّة في الشُغل وطلع برّه عشان يُرد، وقعد ساعة إلا ربع بيتكلم برّه! وطبعًا فاته مُعظم أحداث الفيلم، كُنت متضايقة جدًا، لإنّي يوم ما جيت على نفسي وقُلت له إنّي عايزاه يُدخل الفيلم معايا برضو مشافهوش، وطبعًا مقدرتش أستمتع بوقتي معاه زيّ ما كُنت متعشّمة، خلصنا الفيلم ووصلني البيت، قُلت يمكن بعد كده ياخُد باله إنّي بحب النوعية دي من الأفلام وإنّي حابّة أدخلها معاه، معاه هو بس، بس ده محصلش برضو، عارفة هتقولوا إيه، حاجات بسيطة أوي متعكّرش صفو العلاقة الجميلة اللي بيننا، أنا كمان قُلت كده في الأول، لحد ما بدأت تحصل حاجات أكبر من كده، فاكرين إيه اللي خلاني أعجب بـ"طارق" من الأساس؟ شهامته وجدعنته معايا، وفكرة وقوفه جمبي في أكتر وقت كُنت محتاجة فيه حد معايا، بمرور الوقت ابتديت أخُد بالي إن الموضوع ده مبقاش بيفرق معاه زي الأول، بيكون موجود في الأوقات العادية أو الطبيعية، بيوصلني مثلًا وأنا قادرة أروّح لوحدي عادي، بس لمّا كُنت بحس إنّي تعبانة ومحتاجة حد يروّح معايا ماكُنتش بلاقيه، كان دايمًا بيبقى وراه حاجة، شُغل أو ماتش كورة مُهم أو قعدة مع صحابه، كُنت بكلّمه وكان بيبقى باين على صوتي إنّي تعبانة، وماكنش بياخُد باله، أو يمكن كان بياخد باله وبيُقصد ميبينش، بقول كده لإنّي في مرة كُنت تعبانة جدًا والوقت اتأخر وجيت على نفسي وقُلت له إنّي تعبانة، فَـــ لقيته سكت شوية كده وبعدين قال لي.. "ألف سلامة، ابقي طمّنيني لمّا توصلي"..!

شوية، شوية ابتديت أحس إن كلامه الحلو بيقل، واهتمامه كمان، ابتديت أخاف! خصوصًا إنّه من الأساس مقاليش إنه بيحبّني! كُل حاجة بيننا بتقول إننا بنحب بعض آه، بس لسّه

محدّش صرّح للتاني خالص، ابتديت أفكّر إن احنا بقالنا سنتين وشوية مع بعض، وهو مفكرش يقول لي، مفكرش ياخُد خطوة رسمي، مفكرش حتّى يحسسني إن الموضوع في دماغه وإنّه بيسعى عشان يجيب شقّة أو يجهّز لجوازه، مش لازم يقول لجوازنا، بس يقول أي حاجة، أي حاجة تطمّني، الخوف ابتدا يتسرسب جُوايا وأنا بفكّر في كُل الأفكار دي، لحد ما "طارق" قرر إنّه ينهي مخاوفي دي كُلّها، وقرر يرجع يطمّني تاني، بمُكالمة واحدة بس منّه..

المُكالمة كانت من أسبوع بالظبط، لسّه فاكرة تفاصيلها كُلّها، كلّمني وأنا في الشُغل، قال لي إنّه عايز يقابلني ضروري، وإنّه محضّر لي مُفاجأة، مفاجأة عظيمة، نبرة صوته كانت مليانة حماس، وتوتر، وحُب، افتكرت بداياتنا مع بعض لمّا إحساسه ناحيتي كان لسّه جديد، اتلخبطت جدًا، سألته "مُفاجأة إيه بس؟!"، قال لي إنّه مينفعش يقول في التليفون، واتفقنا نتقابل في الكافيه اللي بنروحه سوا، سألني قُدّامي قد إيه؟ قُلت له إنّي هخلص في ميعادي، مع إنّي في الحقيقة كان مُمكن أمشي في وقتها عادي وأبقى عنده بعد رُبع ساعة، بس قُلت له كده عشان ماكنش ينفع يشوفني بالبنطلون الجينز والقميص والكاب، لو اللي في دماغي صح، لو هو فعلًا ناوي يقولها، يبقى لازم أجهّز نفسي، حطّيت إيدي على قلبي، حسّيت إنّه هينُط من بين ضلوعي من كُتر الخوف، والفرحة، قُمت بسُرعة ونزلت من غير حتّى ما أبلغهم في الشُغل إنّي ماشية، روّحت البيت، فتحت دولابي، وحاولت أدوّر في هدومي على حاجة تليق على المُناسبة دي، بس للأسف هدومي كُلّها كانت عُبارة عن بناطيل وتيشيرتات وقُمصان، أحبطت جدًا وكُنت هعيّط، لحد ما لمحت بطرف عيني في آخر زاوية في الدولاب كيس نايلون كبير، محطوط جُواه فُستان أزرق، الفُستان اللي جبته من كام سنة عشان أحضر بيه فرح واحدة قريبتنا، وفي الآخر مروحتش الفرح وملبستوش، وبعد كده اعتزلت الأفراح تمامًا، طلّعته من الدولاب وشلت الكيس من عليه وأنا بدعي إنّه يبقى لسّه على مقاسي، اكتشفت إنّي مش نحس للدرجة دي، وطلع على مقاسي فعلًا، كان حلو عليّا أوي، اتسحّبت لأوضة ماما وسرقت منها علبة الميك اب بتاعتها ورجعت أوضتي تاني، وقعدت أكتر من ساعة بجهز، كانت أول مرة في حياتي أحُط ميك اب! أول مرة أفرد شعري من أيام ما كُنت في ثانوي، أول مرة أبقى بنت! من جوه ومن برّه، فضل يرن عليّا وأنا كُنت بكنسل عليه، لحد ما في الآخر جهزت، وكُلّه بقى تمام، بصّيت لنفسي في المرايا، اتأملت شكلي للحظة، كُنت مبسوطة أوي، كُنت حاسّة إنّي هطير، خدت بعضي ونزلت بسُرعة قبل ما حد في البيت يشوفني ويعلّق على هيئتي، طلعت على أول الشارع ووقفت تاكسي ووصفت له عنوان الكافيه، وأول ما التاكسي اتحرّك بيّا، ابتديت أتخيّل كُل حاجة، ردّة فعله لمّا يشوفني، ارتباكه، لخبطته، طريقته في الكلام، تخيّلت إنّه مُمكن ينزل على رُكبه ويكون متفق مع إدارة الكافيه، ويشغلوا أغنية رومانسية بقى وكده، بس حسّيت إنّي أفورت شوية، فُقت من شرودي والسوّاق بيقول لي إننا وصلنا، اتخضّيت،

ونبضات قلبي فضلت تزيد، مكُنتش عايزة أنزل، لأ.. كُنت عايزة بصراحة، حاسبت السوّاق ونزلت وأنا مرعوبة، فضلت واقفة قُدّام الكافيه شوية، غمّضت عيني، وبعدين خدت نفس عميق، وطلّعته بالراحة، ودخلت الكافيه..

....

كان قاعد في ترابيزة في نُص الكافيه بالظبط، وكان لابس قميص حلو أوي، وكان حالق دقنه، ومقصّر شعره، وكان ماسك في إيده علبة قطيفة زرقاء.. لون فُستاني، كان بيقلبها في إيده في اللحظة اللي سمع فيها خطواتي وأنا بقرّب منّه، التفت ليّا، وفضل باصص لي وهو مصدوم، ابتدت الابتسامة ترسم على شفايفه بالراحة وهو شايفني بتجه ناحيته، ابتسامة حُب! مقدرتش أمنع ابتسامتي أنا كمان، كُنت حاسَة إن كُل خطوة بقربها منّه كان قلبي بيدُق قُصادها ألف دقّة، لحد ما وصلت له، واستنيته يتكلم، طبعًا هو كان متلخبط زيّ ما كُنت مُتوقعة، وفجأة افتكر إنّه ماسك العلبة في إيده وإنّي مش المفروض أشوفها دلوقتي، فَـــ حطّها في جيب الجاكتة، وبعدين قال لي:

-"انتي إزاي حلوة كده؟"

وكأنّه أول مرة يقولها، اتكسفت ووشّي احمر برضو، ردّيت بثقة وقُلت:

-"طول عُمري حلوة يا أستاذ، مش كده ولا إيه؟"

-"طبعًا، مقدرش أقول غير كده"

-"قول لي إيه العلبة اللي انتَ حطّيتها في جيبك دي؟!"

ابتدا يتوتر..

-"لأ دي.. دي مش وقتها دلوقتي خالص، المُهم قولي لي، انتي روحتي لهم الشُغل كده؟"

ابتديت أتوتر..

-"ها؟!.. آه، أصل.... أصلنا كُنّا عاملين عيد ميلاد لواحدة صاحبتنا في الجورنال، وكُلّهم كانوا جايين بفساتين وبدل، فَـــ ماكنش ينفع أجي بلبس الشُغل يعني"

كان باين عليّا إنّي بحوّر، بس هو عمل نفسه مصدّقني، هز راسه وشاور لي عشان نُقعد، وفعلًا قعدنا، طلب لي أوريو ميلك شيك، أكتر مشروب بحبّه وهو عارف ده، فضل يدردش معايا في الشُغل والبيت وكده لحد ما الويتر جه ونزل المشروب، شربت شوية، وأنا ببص عليه وبراقب انفعالاته، كان فعلًا متوتر، بس كان باين عليه إنّه مبسوط، مبسوط جدًا كمان، مقدرتش أستحمل أكتر من كده، واجهته بابتسامة وقُلت له:

-"خير يا سي طارق، مُفاجأة إيه اللي محضرها لي؟"

إيده ارتعشت وابتديت أحس بالحماس في عينيه، رد وقال لي:

-"بُصّي، في الأول أنا عايزك تستحمليني عشان أنا متوتر ومش عارف أتكلم أوي"

-"متخافش، هستحملك"

-"طيب، بُصّي يا شروق، احنا نعرف بعض بقالنا سنتين و3 شهور تقريبًا، الفترة دي كانت أجمل وأعظم فترة عدّت عليّا في حياتي، عُمري ما كُنت أتخيّل إنّي أوصل لكُل اللي وصلت له ده من نجاحات وامتيازات في الفترة القُصيّرة دي، الترقية، الماجستير ومرتبة الشرف، حتّى التفاصيل البسيطة اللي كانت بتجمعنا، كانت بتوصلني لأقصى درجات السعادة، كُل

ده، كُل الجمال اللي أنا عشته الفترة دي كان بسببِك يا شروق، انتي السبب في كُل حاجة حلوة في حياتي"

سكت للحظة، الدموع ابتدت تتكوّن في عينيا، فجأة لقيته بيكمّل وبيقول:

-"بس برغم كُل ده، مكانش ينفع أجي أقول لِك اللي أنا ناوي أقوله دلوقتي ده غير وأنا مُتأكد، مُتأكد من كُل حاجة، لإن زيّ ما انتي عارفة، القرارات المصيرية اللي زي دي بتكون محتاجة تفكير كتير، وتخطيط عظيم، عشان منندمش على حاجة، عشان نحس إن كُل حاجة معمول حسابها، فَهماني؟"

-"فَهماك"

نبضات قلبي فضلت تتسارع ودموعي ابتدت تنزل وأنا بسمعه، لاحظ دموعي فَــ ابتسم ومسك إيدي، وبعدين قال:

-"بس واضح إنّك كُنتي عارفة، عمومًا.. أنا جاي النهاردة عشان أقول لك إنّي خلاص اتأكدت وعرفت، وأقدر أقول لِك دلوقتي من غير ما أكون خايف، أقدر أقول لِك.."

-"ها..؟"

كُنت خلاص حاسّة إنّي هيُغمى عليّا من فرط السعادة، بصّ لي وهو مُبتسم، ودموعه ابتدت تتكوّن في عيونه هو كمان، مد إيده في جيب الجاكتة وطلّع ظرف أحمر جميل، حطّه قُدّامي وقال بصوته الهادي اللي بعشقه:

-"أنا اتقبلت في منحة للدكتوراة في ألمانيا، وبإذن الله هسافر كمان أسبوع"

....

إيدي ارتعشت في إيده فجأة، فضلت متنّحة للحظة وأنا مش مستوعبة اللي هو قاله، قُلت بصوت مبحوح:
-"إيه؟"
رد بصوت مليان فرحة:
-"أنا لحد دلوقتي مش مصدَق نفسي برضو، انتي مُتخيّلة يا شروق أنا بقولِك إيه؟ أنا هسافر أحضّر دكتوراة في إدارة الأعمال في أعرق جامعة في ألمانيا، أهم حلم في حياتي اتحوّل لحقيقة، أخيرًا هسافر، أخيرًا هقدر أحقق أكبر إنجاز أكاديمي في قايمة أهدافي"
ملامحي ابتدت تتغيّر بالراحة، الابتسامة اختفت من على وشّي، ودموع الفرحة اللي كانت بتنزل من شوية، اتحوّلت لدموع قهرة، وقلبي اللي كان بيسابق الزمن، ابتدت نبضاته تهدى، ومع كُل نبضة كُنت بحس بوجع، وجع رهيب مش مفهوم، سحبت إيدي من إيده فجأة، وفضلت ببص له وأنا مش قادرة أنطق، لاحظ التغير اللي على ملامحي، ولاحظ إنّي مفرحتلوش، فَـــ ابتسم وقال:
-"أنا آسف يا شروق إنّي مقولتلكيش من الأول، بس زي ما قُلت لِك من شوية، ماكنش ينفع أقول لِك غير لمّا أتأكد من إنّي اتقبلت فعلًا، أرجوكي متزعليش منّي"
مد إيده في جيبه وطلّع العلبة القطيفة، فتحها، وطلّع منها سلسلة فضّة، والدلاية بتاعتها حرف T، قدّمها ليا وقال لي:
-"أنا عُمري ما كُنت هوصل لأي حاجة من غيرِك يا شروق، عشان كده قررت أقابلِك النهاردة، عشان أقول لِك على الخبر، وعشان أشكُرِك على كُل حاجة عملتيها علشاني في يوم، السلسلة دي أنا جايبها لِك وعايزِك تلبسيها حوالين رقبتِك ومتقلعيهاش أبدًا، عشان كُل ما تبصّي عليها تفتكريني"
-"فعلًا!"
استغرب ردّي، ضم حواجبه وقال لي:
-"فعلًا إيه؟!"
ابتسمت بسُخرية وقلت له:
-"هيّ دي المُفاجأة اللي انتَ محضرها ليا؟!"
استغرب ردّي أكتر، بصّ لي وقال:
-"إيه يا شروق في إيه؟ أنا ليه حاسس إنّك مش مبسوطة؟ دي أكتر حاجة كان نفسي فيها في حياتي."
-"طب وأنا.. أنا إيه؟"
-"يعني إيه؟"
-"أنا إيه في حياتك يا طارق؟"

فجأة، ابتدا يفهم أنا بلمّح لإيه، اتلخبط وملامحه اتغيّرت، ابتسم ابتسامة متوترة وبعدين قال لي:
-"شروق إحنا قضّينا وقت لطيف جدًا مع بعض، بس أنا.."
-"انت إيه؟"
سَكت لمّا لقى دموعي بتنزل منّي زيّ المطر، مكانش عارف يرُد، فجأة لقيت نفسي بقول له بصوت مكتوم من العياط:

-"مبتحبّنيش؟"
-"أنا.. أنا مقولتش كده، بس أنا مش بفكّر في الارتباط دلوقتي خالص يا شروق، الموضوع مش في تفكيري نهائي، أهم حاجة عندي حاليًا دراستي وشُغلي ومُستقبلي، وبعد كده.."
-"وبعد كده.. تيجي أي حاجة تانية، أي حاجة زيي كده، مش كده؟"
-"شروق أرجوكي اهدي، متكبّريش الموضوع!"
كُنت خلاص بجيب آخري، فجأة لقيت نفسي بغمّض عينيًا، وبمسح دموعي، وبتمالك أعصابي، بصّيت له وقُلت له:
-"صح، أنا بكبّر الموضوع"
-"مش قصدي، بس أنا جاي عشان أقول لِك إنّي مسافر كمان أسبوع، مينفعش أمشي وإحنا متخانقين أو في بيننا مشاكل كده، مش بعد كُل اللي مرينا بيه سوا"
ركّزت في كلامه، وافتكرت كُل اللي مرّينا بيه سوا، كُل حاجة عدّت قُدّام عينيا بسُرعة البرق، ابتسمت بمرارة وقُلت له:
-"عندك حق"
-"يعني.. يعني إحنا تمام؟"

****

سكت للحظة، وبصّيت لكوباية العصير اللي قُدّامي، مسكتها وشربت منها شوية عشان أهدّي أعصابي، خدت نفس عميق، وبعدين بصّيت له، ابتسمت، ورُحت دالقة بقية العصير في وشّه وعلى هدومه، رجع لورا من قوّة الصدمة وكان هيتقلب بالكُرسي، الناس كُلّها فضلت تبُص علينا، وهو فضل يبُص عليّا وهو مش مصدّق اللي أنا عملته، قُمت من مكاني ومسكت شنطتي، بصّيت له بصّة أخيرة وقبل ما أمشي قُلت له:
-"كده إحنا تمام"

دخلنا في حالة صمت بعد ما "شروق" قالت جُملتها الأخيرة وخلصت حكايتها، مقدرتش تمسك دموعها قُدّامنا، "مُصطفى" كان بيبُصّ لها بتأثر حقيقي غير مُفتعل، "مريم" و"ياسمين" خبّوا وشوشهم عشان متشوفهُمش وهُمّا بيدمّعوا، "نور" قامت من مكانها وقعدت بين "هشام" و"شروق" وخدت "شروق" في حُضنها، فجأة لقينا دموعها اتحولت لسيل من العياط، كانت بتعيّط بحُرقة حقيقية، كُلّنا كُنّا متأثرين ومش عارفين نقول إيه، حتّى "هشام"، ندم على الكلام اللي قاله وحس إنّه جرحها وأهانها جدًا، حاول يتكلم بس الكلمات خرجت منّه مش مفهومة، حاول يعتذر، بس أكيد الاعتذار ماكنش هيبقى كفاية..

-"شروق أنا.. أنا آسف، بجد آسف، أنا ماكُنتش أعرف إنّك...."

-"إنّي مُمكن أحب وأتحب، مش كده؟"

قالت الجُملة الأخيرة بصوت مكتوم من العياط، "نور" حاولت تهدّيها في اللحظة اللي "يوسف" اتكلم فيها وقال:

-"لا يا شروق، هشام مش قصده كده خالص، صدقيني إحنا حاسّين بيكي جدًا"

-"حاسّين بيّا؟ انتَ مصدق اللي بتقوله ده؟ انتَ متعرفش يعني إيه بنت مش حلوة! فَـــ متقوليش أنا حاسس بيكي، انتَ متعرفش أنا حاسّة بإيه، انتَ متعرفش أي حاجة خالص!"

"شروق" انفجرت في "يوسف" من غير ما تحس، حسّيت إنّه اتضايق فَـــ حطّيت إيدي على كتفه، وبصّيت له بصّة معناها إنّها أكيد مش قصدها، هز راسه ومردّش، راحت "نور" قايله بصوت واطي:

-"يا حبيبتي متقوليش كده، انتي زيّ القمر، وانتي قُلتي إنّه كان شايفِك أحلى بنت في الدُنيا"

-"كان كلام.. كلام وبس، كلام عشان أتعلّق بيه وأحبّه، وأفضل واقفة جمبه ومسيبوش، أنا.. أنا لحد دلوقتي مش قادرة أحدد هو حبّني ولا لأ!"

فجأة لقيت "يوسف" بيتنهد بعدم ارتياح، ملامحه كانت متغيّرة بشكل واضح، كان بيبُص لـــ"شروق" بأسى، وكان باين عليه إنّه عايز يقول لها حاجة، بس لسانه مَكانش مطاوعه، كُنت هَمَيل عليه وأسأله "مالك؟!" بس لقيت "مُصطفى" بيوجه كلامه لـــ"شروق" وبيقول لها بنبرة حزينة:

-"سامحيني يا شروق، تقدري تسامحيني؟"

مسحت دموعها وبصّت له بابتسامة مُفتعلة، وقالت له:

-"أسامحك على إيه يا أهبل انتَ؟!"

-"على كُل حاجة قُلتها وعملتها مُمكن تكون جرحِتك، أنا.. أنا ماكُنتش أعرف!"

-"وأنا مش بحكي لك عشان تغيّر مُعاملتك معايا يا مُصطفى، أنا حكيت عشان حسّيت إنّي محتاجة أحكي، كفاية إنّك كُنت دايمًا موجود، ووقت ما كُنت بحتاجك كُنت دايمًا بلاقيك، صدقني دي حاجة كبيرة أوي.. أوي عندي"

ابتسم، ابتسامة مُختلطة بنظرة وجع، في اللحظة اللي "ياسمين" قالت فيها:

-"وبعدين يا شروق.. عملتي إيه بعد كده؟"

اعتدلت "شروق" في جلستها، وابتسمت لـــ"نور" اللي كانت بتعيّط في حُضنها من لحظات، سكتت شوية وبصّت في الأرض، وبعدين ردّت على "ياسمين" وقالت:

-"من وقتها وهو بيحاول يكلمني وأنا مبرُدّش عليه، جالي الشُغل كذا مرة ورفضت أقابله، لحد ما لقيته بعت لي رسالة النهاردة، بيقول لي فيها إن طيارته بُكره الساعة 10 الصُبح، وإنّه عايز يشوفني قبل ما يسافر، لمّا مردّتش بعت رسالة تانية، قال لي إنه آسف، وإنّه مش مسامح نفسه على اللي عمله فيّا، وإنّه لو لف الدُنيا كُلّها مش هيلاقي حد يحبّه قدّي، ابتسمت بسُخرية وأنا بقرأ الرسالة، ووقتها بس خدت بالي إنّه دايمًا كان بيتكلم عنّه هو، وعلى أي حاجة كُنت بعملها له، وقوفي جمبه، واهتمامي بيه، وإخلاصي في حُبّي ليه، بس عُمره ما اتكلم عنّي أنا، وعن الحاجات اللي كُنت بتمنّى يحققها لي، لإنّه ببساطة ماكنش شايفها، ومَكانش شايفني، أنا.. أنا مش عارفة أعمل إيه؟ أنا محبّتش في الدُنيا حد قد ما حبّيته، وفي نفس الوقت حاسّة إنّه محبّنيش! عقلي بيقول لي مرُدّش عليه ومروحش أشوفه، بس قلبي بيقول لي روحي، وسامحيه، وصدّقيه واستنّيه كمان لحد ما يرجع، وفجأة ألاقيني بقول لنفسي لأ، اوعي.. اوعي تضعفي، افتكري حجم الألم اللي سببه ليكي، افتكري إنّه شخص اعتمادي، اعتمد عليكي في تحقيق أهدافه وأحلامه، ومقدرش يحقق لِك ولو جُزء بسيط من احتياجاتِك اللي كُنتِ بتحلمي بيها، وكُل الكلام الحلو اللي كان بيقوله ليكي كان بيقوله إرضاءً لغروره هو، عشان يحس بإنّه عمل اللي عليه، وإنّه حسّسك بقيمتِك عنده، بس في الحقيقة هو شخص أناني، مش شايف غير نفسه وبس، ومبيحبّش غير نفسه وبس. "

-"كفاية يا شروق"

اتجهت الأنظار كُلّها ناحية "يوسف"، اللي خرجت منّه الجُملة الأخيرة بصوت مكسور، بصّينا كلنا لقيناه على شفا لحظات من الانهيار، شفايفه كانت بتترعش، عينيه بتبُص لـــ"شروق" باستجداء حقيقي إنها تبطّل كلام، فجأة ملامحه ابتدت تتغيّر، وحس إنّه ندم على اللي قاله، وعلى اللي ظهر منّه، ابتدا يبُصّ لينا وهو مكسوف من نفسه، ولقيناه بيقوم مرة واحدة وهو بيقول:

-"أنا لازم أمشي!"

اتحرّك ناحية الباب قبل ما يسمع رد أي حد فينا، اتفاجئنا كُلّنا، قُمت وراه بسُرعة ولحقته عند الباب، مسكت دراعه بالراحة ولفّيت وواجهته:

-"في إيه يا يوسف؟"
-"أرجوك يا حاتم سيبني أمشي، أنا ماكنش ينفع أجي أصلًا، مش هقدر أسمع حاجة تاني، مش هقدر"
-"يا ابني في إيه متقلقنيش عليك أكتر من كده! إيه اللي حصل لّك؟ مين اللي عمل فيك كده؟"
سكت ومردّش، حاول يفتح الباب عشان يُخرج، لقاني بسحبه من دراعه ناحية الصالة مرة تانية وأنا بقول له:
-"انسى، مش هنسيبك تنزل وانتَ في الحالة دي يا يوسف"
-"يا حاتم لو سمحت.."
-"بلا حاتم بلا زفت، هو أنا بشوفك كُل يوم؟ ده أنا ما صدقت عرفت أوصلك، عايز تمشي وتختفي تاني يا يوسف؟ عايز توجع قلبنا عليك أكتر ما أهو موجوع؟"
صوتي ابتدا يبقى عالي واحنا في مُنتصف المسافة بين الباب والصالة، سكت وبصَ لي بعيونه الدبلانين، حسّيت إنّي قسيت عليه، خففت حدّة صوتي وقُلت له:
-"استهدى بالله يا يوسف كده.. تعالى، اسمع الكلام وتعالى نُقعد، وصدقني كُل حاجة هتبقى تمام، مش انت بتثق فيّا؟ مش بتثق في حاتم صاحبك برضو!"
غمّض عينيه واتنهد ببُطء، وهز راسه بالراحة، ابتسمت، وشدّيت على إيده واحنا راجعين للصالة تاني، كُلّهم كانوا بيبصوا له بحُزن وعيونهم كانت مليانة فضول، رميت لهم نظرة ليها معنى، فَـ ابتدوا يداروا نظراتهم ليه ويبُصّوا لبعض، قعد مكانه، سند بكوعه على رُكبه، وغطّى وشّه بكفوف إيديه، فضل على الوضع ده لحظات وأنا واقف جمبه، وبعدين اتحركت ناحية الترابيزة وخدت كوباية العصير بتاعته، حطّيت إيدي على كتفه فَـــ بَصّ لي، قدّمت له كوباية العصير وأنا بتسم له، وبعدين خدها منّي، وابتدا يشرب منها، رجعت قعدت مكاني لمّا لقيته اعتدل في جلسته وابتدا يهدا، فضلنا ساكتين شوية لحد ما "مُصطفى" حاول يفُك الجو شوية وقال:
-"إيه يا جماعة أنا برفُس من الجوع، ما تقومي يا شروق، اتلحلحي كده وقومي ساعدي طنط ولا حاجة، ولا انتي مش فالحة غير في العياط وبس؟"
"شروق" ابتسمت له بسُخرية، ومسحت دموعها وبعدين قالت بهزار:
-"يا سلام! ومتقومش ليه انت يا اخويا؟ ولا إحنا مكتوب علينا نخدمكوا ونطبخلكوا ونعملكوا كُل حاجة وانتوا تفضلوا قاعدين زيّ خيبتها كده!"
-"الله! وليه الغلط ده طيب؟"
فجأة لقينا "ياسمين" بتبتسم وبتقول:
-"خلاص خلاص متتخانقوش، أنا اللي هقوم"

"ياسمين" قامت ودخلت المطبخ، في اللحظة اللي لقينا "يوسف" فيها بيتنهد بعدم ارتياح، "مُصطفى" اتضّايق للحظة عشان مُحاولته لتلطيف الجو مجاتش بفايدة أوي يعني، فضلنا ساكتين شوية، وبعدين لقينا "شروق" بتبُص لـــ"يوسف" وبتقول:

-"أنا.. أنا آسفة يا يوسف"

-"آسفة على إيه؟"

-"مش عارفة، بس أكيد كلامي فكّرك بحاجة وهو اللي خلاك توصل للحالة دي"

ابتسم بمرارة، وقال:

-"كلامِك أخف بكتير من الكلام اللي بقوله لنفسي كُل دقيقة وبعذّبها بيه، بس تقدري تقولي كده إنّي اتعوّدت أسمع الكلام ده منّي، بس متعوّدتش أسمعه من حد تاني"

"نور" بصّت لـــ"يوسف" وقالت له بحنان حقيقي:

-"مالك يا يوسف؟ فيك إيه؟"

"يوسف" مبصّش ليها، أول ما سمع صوتها غمّض عينيه للحظة وبعدين فتّحهم، مال لحد الترابيزة وحط عليها كوباية العصير وظبط جلسته تاني، خد نفس عميق وخرّجه بهدوء، وبعدين بص لـــ"شروق" وقال لها بصوت مبحوح:

-"طبعًا انتي فاكراني هقول لِك إن كلامِك غلط، وإنّك ظالماه والمفروض تروحي تودّعيه في المطار، وتستنّيه كمان لحد ما يخلص رسالته، بس أنا مش هقول لِك كده، لإنّي شايف إن كلامِك كُلّه صح، أقول لِك أنا شايف إيه كمان.. شايف إن طارق محبّكيش، طارق حب وجودِك في حياته وبس"

"شروق" بصّت له باهتمام واستغراب، وبعدين قالت له:

-"إيه اللي خلّاك تقول كده؟!"

ابتسم بمرارة، وسكت للحظة، وبعدين قال:

-"حد فيكم سمع عن الـــ fake date قبل كده؟"

****





الحكاية الرابعة

يوسف

الساعة عدّت 12..

بيقولوا كُل الأفكار السيئة بتيجي للواحد بعد الساعة 12 بليل، الأفكار الإجرامية، مُحاولات الانتحار، فكرة الوجود والعدم.. والتفكير في الارتباط..

الدُنيا كانت هادية، إلا من صوت عقرب الثواني في ساعة إيدي على المكتب، ضلمة من كل حتة، إلا نور الموبايل اللي كُنت فاتحه وباصص فيه، كُنت ممدد على سريري وبقلّب في الفيسبوك بلا هدف أو غاية، بحاول أقتل الوقت مش أكتر، وكُنت قافل الماسنجر عشان ميبانش لحد إنّي موجود، إحساس غريب كان بيراودني وقتها، إحساس بالوحدة، الوحدة اللي أنا مختارها بـــإرادتي، وفي نفس الوقت مش قادر أستحملها، نفسي.. نفسي حد يُدخل يكلمني دلوقتي حالًا، يسأل عنّي، ويحسّسني إنّي مُهم بالنسبة له، وفي نفس الوقت، واثق إنّي مش هرُد عليه لو عمل كده، هقرأ الرسالة من برّه، وبرضو هختار أفضل لوحدي، شيء غريب مش كده؟ منين مش عايز تبقى لوحدك، ومنين بتتجاهل أي حد بيسأل عنّك بالشكل ده؟ شيء صعب أي حد يفهمه، لازم تكون مرّيت بـــإحساس الفقد قبل كده عشان تفهم أنا بعمل كده ليه، إحساس الفقد اللي بيخليك طول الوقت خايف من التجرُبة، وخايف من المُحاولة، وفي نفس الوقت، خايف تقضّي اللي باقي من عُمرك لوحدك..

فجأة، وأنا بقلّب على الفيس، لفت نظري بوست غريب شوية، لبنت أول مرة أشوفها عندي، معرفش عملت لها أدد امتى، اعتدلت في جلستي على السرير وأنا بقرأ البوست بتركيز شديد، كانت كاتبة بتقول:

"عارفين نفسي في إيه؟ نفسي أنزل أقابل حد معرفوش، نُقعد مع بعض في أي حتّة ونفضل نرغي، أحكي له عن كُل حاجة في حياتي، كُل المشاكل والمواجع، وأسمعه، أسمعه باهتمام حقيقي، وأعيش معاه مشاكله كإنّي طرف فيها، مش لازم يبقى عندنا حلول، كفاية نسمع بعض، نعيّط مع بعض، وبعدين نقوم نعمل أي حاجة نكسر بيها النكد ده، نُدخل سينما أو مسرح، نروح ملاهي، نعمل أي حاجة مجنونة نفضل فاكرينها على طول، وفي آخر اليوم، بعد ما يروّحني، وبعد ما يقول لي إنّه حقيقي استمتع بوقته معايا، نودّع بعض،

ونمسح أرقام بعض، وكُل واحد فينا يعمل للتاني Block، ويمشي.. يمشي بعد ما نوعد بعض إننا منتقابلش تاني، ومنشوفش بعض تاني، مهما حصل..

وتنتهي الحدّوتة على كده، تنتهي من قبل ما تبدأ"..

قرأت البوست كذا مرة، وبعدين تابعت التعليقات، لقيت في ولاد كتير بيُطلبوا إنهم يقابلوها فعلًا، فتحت البروفايل بتاعها، وأول حاجة لفتت انتباهي فيه كانت صورتها، يمكن قبل اسمها كمان، وقتها بس فهمت ليه كُل الولاد دول دخلوا علّقوا عندها بالسُرعة دي، كانت جميلة جدًا، جمالها صعب يختلف عليه اتنين، وشّها دائري، وبشرتها صافية تمامًا، عيونها واسعة ولونهم فيروزي مايل للأخضر، كانت بتضحك في الصورة ضحكة جميلة جدًا، كشفت عن أسنان تشبه لصفوف اللولي، وشفايف طبيعية مُكتنزة، شعرها كان بُنّي فاتح، طويل وناعم، نازل لحد كتفها اللي كانت كاشفة جُزء منّه في الصورة، مكانتش حاطّة نُقطة ميكاب، وجمالها ساعدها على إنّها تاخُد قرار زيّ ده من غير ما تقلق أو تخاف، قلّبت في باقي الصور، وملقتش أي اختلاف عن أول صورة، نفس درجة الجمال، خرجت برّه، وخدت بالي من اسمها لأول مرة، "ندى خالد"، قرأته بصوت عالي من غير ما أخُد بالي، وابتديت أقلّب في باقية المعلومات على البروفايل بتاعها، خرّيجة سياسة واقتصاد، يعني مكانتش معايا في الكُليّة، وكانت في مدرسة غير مدرستنا كمان، وماكنش في بيننا ولا صديق مُشترك واحد!

رجعت أتابع التعليقات على البوست بتاعها مرة تانية، لقيتها زادت بشكل ملحوظ، مُعظم التعليقات من ولاد يبدو عليهم إنهم عايزين يجروا ناعم معاها، مش مُجرد ينزلوا معاها يوم وخلاص، في الحقيقة فكرتها عجبتني، وحسّيت إنّي هرتاح جدًا لو نفّذتها، وفكرت أدخُل أكلمها، وأقول لها إنّي عايز أنزل معاها، بس خُفت، خُفت لا يكون حد سبقني ودخل قال لُها، وهيّ وافقت، أو إنّها تتجاهلني مثلًا زيّ ما تجاهلت كُل اللي دخلوا علّقوا عندها دول، حسّيت إنّي مُمكن أحرج نفسي، خاصّة إنّها متعرفنيش، فَـ مُمكن تعتبرني عيّل مُراهق عايز يفتح معاها سكّة زيّهم، وبعدين.. وبعدين هيّ أصلًا مُمكن تكون كاتبة البوست للتسلية أو لجذب الانتباه مش أكتر، ومش هتنزل مع حد في الآخر، قُلت لنفسي بلاش، بلاش تحط نفسك في موقف مُحرج زيّ ده، نام يا "يوسف"، نام

وشيل الموضوع من دماغك، خرجت برّه صفحتها وقفلت الموبايل خالص، حطّيته جمبي وغمّضت عيني، وحاولت أنام، بس بمُجرد ما غمّضت عيني شُفت صورتها مرسومة قُدّامي، تخيّلت الصورة وهيّ بتُنبض بالحياة، تخيّلت عينيها وهي بتغمّضهم وتفتّحهم، خصلات شعرها وهيَّ بتُقع على عينيها، وإزاي بترفعهم بأطراف صوابعها، ضحكتها، تخيّلت صوت ضحكتها وقلبي رقص مع إيقاعه، ابتسمت غصب عنّي، فتّحت عيني فجأة ومسكت الموبايل تاني، نبضات قلبي ابتدت تزيد، فتحت الفيسبوك ودخلت على صفحتها، قطرات العرق ابتدت تنزل على جبيني، قررت أبعت لها.. قررت أكلّمها! كُنت عارف إنّه قرار سريع ومُتهوّر، بس مقدرتش أمنع نفسي من إنّي أعمله، دُست على زُرار "إنشاء رسالة جديدة"، وابتديت أكتب بإيدين مُرتعشة من فرط التوتر:

-"مساء الخير، البوست الأخير ليكي عجبني جدًا، الفكرة حلوة فعلًا، وحاسس إنّها مُمكن تفرق معايا، قولي لي، وافقتي تنزلي مع حد ولا لسّه؟"

بعت الرسالة، وبمُجرد ما بعتّها ابتديت ألوم نفسي، إيه اللي أنا عملته ده! للدرجة دي أنا بائس! معقول أكون وصلت للمرحلة دي؟ أكيد هتفهمني غلط! هتحرجني زي ما أكيد أحرجت غيري، ليه مفيش أوبشن يخليني أمسح الرسالة؟! الله يخربيت الفيسبوك واللي بيعمله فينا.. لأ أنا مش هستنّى لحد ما تحرجني، مش هتحط في الموقف ده، أنا هقفل الفيس خالص، يومين أو تلاتة، أو أسبوع، لحد ما أنسى الموضوع، قررت إنّي هعمل كده فعلًا، ولسّه هقفل، لقيتها بترُد على الرسالة، قلبي دق دقّة خوف، كُنت محتار، أقفل ولا أشوف بعتت إيه، الفضول كان هيموّتني، فضلت قاعد في مكاني دقيقة كاملة مش عارف أعمل إيه، لحد ما في الآخر فتحت الرسالة وأنا كاتم نَفَسي من كُتر ما كُنت قلقان، لقيتها باعتة بتقول:

-"مساء النور، هو أنا لسّه موافقتش أنزل مع حد، مش عارفة، حاسّة إنّي اتسرّعت، ماكنش المفروض أكتب البوست ده"

قرأت الرسالة كذا مرة، حسّيت إنها بتحرجني بالذوق، ماكُنتش عارف أرُد أقول إيه، قفلت الموبايل ومردّتش، كُنت حاسس بالإحراج والإحباط، لقيتها بتبعت رسالة، فتحتها بسُرعة وقرأتها:

-"سكت ليه؟"

-"مش عارف أقول إيه!"

سكتنا احنا الاتنين شوية، بعدين بَعت وقُلت:

-"أنا آسف"

-"على إيه؟"

-"إنّي كلّمتِك وانتي متعرفنيش"

-"لأ عادي متتأسفش، هيّ الفكرة بس إنّي.."

-"خايفة؟"

-"خايفة، خايفة أتفهم غلط!"

-"فاهمِك.."

بعت آخر كلمة وسكت للحظة، وبعدين قُلت:

-"أنا كمان كُنت خايف أبعت لِك لا تفهميني غلط"

-"إزّاي؟"

-"يعني، تفهمي مثلًا إنّي.. عايز أخُد خطوة معاكي، أو عايز يحصل بيننا حاجة"

-"وانت مش عايز ده؟"

-"لأ.. لأ والله"

-"طب.. عايز تنزل معايا ليه؟"

سكت، وطوّلت في سكوتي، الإجابة كانت على لساني بس إيدي اترددت تكتبها، ماكُنتش عارف هتفهمني ولا لأ، لاحظِت إن سكوتي طوّل فَـــ بعتت وقالت:

-"قول.. متخافش"

-"عايز.."

-"أيوة؟"

كتبت الكلمة، وبعتُها..

-"عايز أرتاح!"

سكتت، وهيّ اللي طوّلت في سكوتها المرة دي، حسّيت إنّي اتماديت في كلامي معاها، ماكنش المفروض أقول كُل الكلام ده، ماكنش المفروض أتكلّم من أصله، كتبت وقُلت إنّي آسف، آسف على إزعاجها وآسف على كلامي اللي أكيد مفهمتهوش، كتبت وقُلت إنّي مش هضايقها تاني، واترجيتها تعتبر اللي حصل ده وكأنّه محصلش، كتبت كُل ده، وقبل ما أبعت بلحظة واحدة، لقيتها باعتة وبتقول:

-"فاضي بُكرة؟

قلبي اتنفض! ماكُنتش مصدّق إنّها قالت كده فعلًا، لقيت نفسي ببتسم غصب عنّي وأنا بقرا الجُملة مرة واتنين وتلاتة، لحد ما في النهاية بعت وقُلت:

-"فاضي"

-"تعرف كافيه أورلاندو اللي في المُهندسين؟"

-"أعرفه.."

-"تمام، أنا أجازة بُكره من الشُغل فَـ هبقى فاضية طول اليوم، إيه رأيك ناخُد اليوم من أوله؟ نتقابل الساعة 1 كويس؟"

-"كويس جدًا"

-"خلاص متفقين، هستنّاك بقى، متتأخرش!"

-"مش هتأخر"

-"ماشي، يلّا.. تصبح على خير يا يوسف"

-"وانتي من أهله"

فضلت متنّح شوية وأنا مش مصدّق إن ده حصل فعلًا، وبعدين لقيتني برمي الموبايل في الهوا فجأة، وقُمت اتنطت عالسرير زي المجانين، فضلت أعمل أصوات غريبة وحركات أغرب بإيديا، كُنت مبسوط بجد! إحساس بقالي كتير مجربتوش، هديت وقعدت مكاني، فتحت الموبايل وجبت المُحادثة من أولها، وفضلت أقراها تاني، كُنت مُبتسم ابتسامة

بلهاء، بس كانت صادقة جدًا، جبت صفحتها مرة تانية، لقيتها مسحت البوست خالص، وكإنُها بتقول لي إنُها خلاص، اكتفت بكلامي معاها، ومش محتاجة تسمع من حد تاني..

....

صحيت تاني يوم قبل الميعاد بساعتين، قُمت من على السرير بسُرعة، كُنت حاسس بنشاط غريب، وكُنت مُتحمس جدًا، دخلت الحمّام وهنّدمت دقني، وخدت دُش ساقع عشان أفوق، عملت لنفسي وجبة سريعة، وبعدين دخلت أوضتي، وابتديت أختار الهدوم اللي هنزل بيها، اخترت قميص كريمي، وبنطلون بُنّي، وجزمة نفس اللون، غيّرت هدومي وظبّطت شعري، حطّيت شوية من البيرفيوم بتاعي، ولبست ساعتي الرولكس اللي مبلبسهاش غير في المُناسبات الخاصّة، بصّيت على نفسي في المرايا، وابتسمت، كُنت على سِنجة عشرة، بقالي كتير مهتمتش بنفسي كده، بصّيت في الساعة، كان فاضل نُص ساعة على الميعاد، تمّمت على المحفظة والمفاتيح، وحطّيت موبايلي في جيبي ونزلت، ركبت عربيتي وطلعت بيها على المكان، ولحُسن حظّي الطريق كان فاضي، وصلت من الزمالك للمُهندسين فَــ10 دقايق بس، ركنت العربية ودخلت الكافيه، الساعة كانت 12:55، كان فاضل 5 دقايق بس على ميعادنا، كُنت قلقان ومتوتّر، بس حاولت مبيّنش ده، خدت نفس عميق وأنا بتأمل الكافيه والناس اللي قاعدين فيه، كانوا قُليلين لإن الوقت كان بدري، فَــ الأماكن الفاضية كانت كتير، اخترت مكان حلو، متدّاري، بعيد عن السنتر، وجنب أكبر شبّاك في المكان، الويتر جه وسألني أشرب إيه، فَـــ قُلت له إنّي مستنّي حد، هزّ دماغه بابتسامة، ساب المنيو على الترابيزة، وسابني ومشي، راقبته وهو بيتحرّك ناحية ترابيزة تانية في اللحظة اللي شُفتها فيها وهيّ داخلة من باب الكافيه، قلبي اتنفض للمرة التانية في أقل من 24 ساعة! واكتشفت في اللحظة دي إن الصور كانت ظَلماها وظالمة جمالها! كانت لابسة فُستان أبيض، متزيّن بورد بمبى وموف، ضيّق عند منطقة الوسط، وواسع لحد الرُكبة، زيّنت رقبتها بعُقد فيروزي، نفس درجة لون عينيها، وكانت ماسكة في إيدها شنطة بسيطة لكن جميلة، زيّها بالظبط، شُفتها في الوهلة الأولى أميرة من أميرات ديزني، بتدوّر على أميرها بعيونها التايهين، فضلت أتابع عينيها لحد ما لقيتها استقرّت عليّا، ابتسمت لها وحيّتها بإشارة من إيدي، ابتسمِت هيّ كمان، وابتدِت تتحرّك ناحيتي بخفّة، قُمت من غير ما أشيل عيني من عليها، وحاولت أسيطر على دقّات قلبي اللي كانت بتسابق الريح، ابتسامتها كانت بتتسع أكتر كُل ما كانت بتقرّب منّي، لحد ما وصلت عندي ومدّت إيدها عشان تسلّم عليّا وهيّ بتقول:

-"إزّيك يا يوسف؟"

-"الحمدلله، إزيّك يا ندى، عاملة إيه؟"

-"كويسة الحمدلله، ما شاء الله جيت في ميعادك مظبوط"

-"تصدقي.. أول مرة أعملها.. اتفضلي"

شدّيت الكُرسي بتاعها بكياسة عشان تُقعد، فَـ ابتسمِت وشكرتني، وبعدين قعدِت، قعدت أنا كمان واتأملتها للحظة في ضوء النهار، كانت حقيقي جميلة، بصّت لي ولاحظِت إنّي بتأملها بإعجاب، فَـــ ارتبكنا احنا الاتنين، بعدت عيني بسُرعة عنها، وشاورت للويتر وسألتها تشرب إيه، مسّكت المنيو وبصّت فيه في اللحظة اللي الويتر جه فيها، وبعدين لقيتها بتقول له:

-"بُص، أنا عايزة قهوة مظبوط، بس بُن تقيل الله يكرمك"

-"وأنا هاخُد شاي أخضر لو تسمح"

كتب الطلبات في النوتة بتاعته ومشي، بصّت لي وقالت لي:

-"شكلك بتاخُد بالك من صحّتك"

-"عشان الشاي الأخضر يعني؟ لأ عادي، بحبّه بس مش أكتر"

-"ومبتحبّش القهوة؟"

-"كُنت بحبّها زمان، بس دلوقتي مبطيقهاش"

-"فعلًا؟ غريبة!"

-"غريبة ليه؟"

-"يعني، شخص غامض زيّك من المُتوقّع إنّه يكون بيعشق القهوة، لزوم العُمق وكده"

ضحكت على جُملتها الأخيرة، وبعدين قُلت:

-"ليه بتقولي عليّا غامض؟"

-"طريقتك في الكلام معايا امبارح، كانت غريبة، مكُنتش قادرة أحدد إذا كُنت صادق ولا بتكدب، بروفايلك اللي مفيش عليه ولا صورة أو بوست من بيجي سنة، وإنك دخلت تكلمني وانتَ أوف لاين، وكإنّك مستخبّي، ومش عايز حد يشوفك خالص، كُل ده خلاني أحس إنّك شخص غامض"

-"وإيه اللي خلاكي توافقي تنزلي معايا؟"

-"مش عارفة بالظبط، بس تقدر تقول حسّيت إنّي عايزة أعرفك، وأسمعك، وأكتشفك، حسّيت إنّك هتعرف تسمعني، وإننا مُمكن نساعد بعض"

ابتسمت لها، وبعدين قُلت:

-"تفتكري هنقدر؟"

-"متهيألي مش هنعرف غير لمّا نجرب، ولا انت رأيك إيه؟"

-"عندِك حق"

-"طب إيه؟ أبدأ أنا ولا تبدأ انت؟"

-"ابدئي انتي"

في اللحظة دي، قاطعنا الويتر بالطلبات بتاعتنا، نزّلها على الترابيزة وبعدين مشي، لقيتها بترفع فنجان القهوة لحد شفايفها، خدت رشفة بسيطة وبعدين بلّت شفايفها بلسانها، وبصّت لي، وابتدت تحكي، حكيت لي عن كُل حاجة في حياتها، عرفت إن باباها ومامتها مُنفصلين، هيّ عايشة مع مامتها، وباباها متجوّز واحدة تانية ومخلّف منها ولد، حكت لي عن تفاصيل علاقتها السيئة مع باباها، وإنّه كان السبب في كُل المشاكل النفسية اللي مرّت بيها طول حياتها، عُمرها ما حسّت من ناحيته بأي مشاعر، وده خلّاها تدوّر على المشاعر دي عند حد تاني، وفعلًا حصل، ابتدت تحكي لي عن "محمود"، الولد اللي بتحبّه، أو اللي كانت بتحبّه، قالت لي إنّه دخل حياتها من وقت ما كانت في إعدادي، كانت لسّه صُغيّرة، بس كانت حلوة برضو، وده اللي جذبه ليها، اتعرّف عليها ودخل دخلة جد جدًا، وبعد وقت بسيط قال لّها إنّه بيحبّها، وإنّه عرّف أهله في البيت، وإنّه عايز يعرّف مامتها كمان، كان أكبر منها بسنتين، وسيم وابن ناس، فَـ حبّته، ووثقت فيه، وشافت فيه الأب اللي اتحرمت منه طول عُمرها، حكت لي إن علاقتهم كانت صعبة ومُعقّدة جدًا، لإنّها كانت بتمُر بمراحل عُمرية كتير، مُراهقة ومُراهقة مُتأخرة، وفترة الثانوي والجامعة، حكت لي إنّهم سابوا بعض أكتر من مرة، وإنّها دايمًا اللي كانت بتسيبه، كانت بتحصل بينهم مشاكل كتير أغلبها بسبب إحساسها إنّها مبقتش فارقة معاه، وإنّه مبقاش يهتم بيها زيّ الأول، كانت دايمًا بتسيبه بخناقة كبيرة، وهو ماكنش بيحاول حتّى يبذل مجهود عشان يتمسّك

بيها، وبعد وقت مُعيّن، شهر مثلًا أو اتنين، كان بيرجع، ويفضل يتحايل عليها عشان يرجعوا لبعض تاني، حكت لي إنه كان أوقات بيعيّط عشان ترجع له، فَـــ كانت في النهاية بتضعف وبيرجعوا، يقضّوا مع بعض يومين حلوين، وتبتدي المشاكل ترجع مرة تانية، قلّة اهتمام وحوارات وكذب، لحد ما حسّت في يوم إنّها خلاص، جابت آخرها، ومبقتش قادرة تكمّل في علاقة بتستنزفها وبتستنزف مشاعرها بالشكل ده، واجهته، وقالت له إنّها المرة دي مش ناوية ترجع، وإنه حقيقي قضى على كُل مشاعر الحُب اللي كانت جُوّاها ليه، طبعًا بِعد كالعادة، وبعدين رجع وحاول معاها تاني، بس هيَّ فضلت مُتمسكة بقرارها ومضعفتش، وفضلت تصُدّه لحد ما زهق، واختفى من حياتها نهائيًا، بعد علاقة استمرّت لأكتر من 8 سنين، فجأة.. لقت نفسها لوحدها تمامًا، ماكننش ليها صحاب ومش بتعرف تعمل صُحاب، والشخص الوحيد اللي كان بيعوّضها عن وجودهم اختفى، ابتدت تحس بفراغ كبير جُوّاها، ومكانتش قادرة تملا الفراغ ده بأي شيء، حتّى بعد ما اتخرّجت واشتغلت، وبرغم إن شُغلها كان واخد مُعظم وقتها، بس في النهاية كانت بترجع البيت وتمدد على سريرها، وتبدأ تفكّر، إنها لوحدها، وإنّها عُمرها ما هتلاقي اللي نفسها فيه، ولا هتقدر تحب تاني، وبرغم كُل الصور اللي بتنزلّها والتفاعل اللي بتعمله عندها على الفيس، وتعليقات الشباب اللي بيعاكسوها طول الوقت ورسايل الإعجاب في الإنبوكس، إلا إن كُل ده مقدرش إنه يملا ولو 1% من الفراغ اللي جُوّاها، أو يخليها تحس إنّها مش لوحدها، لإن في النهاية، كُل الكلام ده عُبارة عن كلام وهمي، من ناس لابسة أقنعة، ناس متعرفش نيّتهم إيه ولا عايزين منها إيه؟ ولا حتّى يعرفوها أو حاسّين بيها زي ما بيقولوا أو بيزعموا، حكت لي إن إحساس الوحدة فضل يتسرسب جُوّاها واحدة واحدة لحد ما طغى عليها تمامًا، ودخلت بسببه في حالة اكتئاب، وده اللي دفعها إنّها تكتب البوست ده امبارح، إنها حسّت باليأس، لدرجة إنّها كانت بتستجدي المُساعدة من الغريب، بس بمُجرد ما كتبت البوست ندمِت، خاصّة لمّا شافِت تعليقات الناس وكمّية الرسايل اللي جات لها، كانت تايهة، مَكانتش عارفة تصدّق مين وتكذّب مين، كُلّهم كانوا مُتلهفين على النزول معاها، كانوا بيلحوا إلحاح غريب، إلحاح معناه إنهم عايزين منها أكتر من مُجرد نزولة وخلاص، قالت لي إنّها خافِت، خافِت جدًا، وكانت داخلة عشان تمسح البوست وتقفل

الفيس خالص، وتستسلم لحالة الوحدة اللي هيَّ فيها، كانت خلاص هتعمل كده لحد ما لقتني ببعت لها الرسالة، بأسلوب مُختلف عن الباقيين، وطريقة تبان ناضجة شوية، فتحِت الرسالة وقرأتها، واتردِدت كتير إنّها ترُد عليّا، خُصوصًا بعد ما لقت إن البروفايل مهجور، قالت لي إنّها قلّبت في البوستات والصور القديمة، واستغربِت، استغربِت لإنّي كُنت شخص عادي جدًا، بكتب بوستات وبتابع التريندات، بنزّل صور مع أصحابي وبعمل check-in في أي مكان بروحه، وفجأة بقيت متدّاري، مستخبّي، حسّت إن ورايا حكاية كبيرة، وإنّي فعلًا عايز أنزل معاها عشان أحكي لها، فَـــ كلّمتني، واتأكدِت من إحساسها لمّا قُلت لها إنّي عايز أرتاح، فَـــ قررِت تنزل معايا، يمكن فعلًا حد فينا يرتاح لمّا يحكي للتاني..
كُنت بسمعها وأنا مشدود جدًا للي بتحكيه، ولأول مرة من فترة كبيرة أحس إنّي مشغول بحد تاني ومُهتم باللي بيقوله، تابعتها وهيَّ بتحكي، راقبت حركاتها وردود أفعالها، لحد ما خلّصِت حكايتها خالص، سكتت شوية، واتنهدِّت، فَـ لقيتني بقول لّها فجأة:

-"ها؟ حاسّة بإيه؟"

-"حاسّة.. حاسّة إنّي أخف!"

-"عشان فرّغتي كُل اللي جُوّاكي، أنا مبسوط إنّك قدرتي تعملي كده"

-"أنا كمان مبسوطة، من زمان مكُنتش مبسوطة كده!"

ابتسمِت، وبعدين قالت:

-"طب يلّا بقى، الدور عليك"

-"هتقدري تسمعيني؟"

-"هقدر، وعايزة، عايزة جدًا كمان، يااللا.."

ابتسمت، اتأملتها للحظة، خدت نفس عميق وطلّعته بالراحة، وابتديت أحكي..

-"أنا يا ستّي اسمي يوسف، زيّ ما انتي عارفة، خرّيج كُليّة آداب قسم أسباني، والدي ووالدتي متوفّيين من زمان، من وأنا صُغيّر، وجدتي هيّ اللي ربّتني، لحد ما حصّلتهم وسابتني لوحدي، من سنتين بس"

-"أنا آسفة، الله يرحمها"

-"ولا يهمك"

-"احكي لي عنُها"

-" تيتة كانت ست كلاسيكية جدًا، هانم من هوانم زمان، كانت بتملُك جاليري تُحف وأنتيكات في الزمالك، جمب بيتنا بالظبط، بعد وفاتها ورثت البيت والجاليري عنها، وبقيت عايش في البيت لوحدي، وبنزل كُل يوم الصُبح أفتح الجاليري وأقعد فيه"

-"وبيجي لك زباين؟"

-"مش كتير، بس أنا كده.. كده مش بفتح الجاليري عشان الفلوس، تيتة سابت لي اللي يكفّيني وزيادة، أنا بفتحه عشان هيَّ وصّتني مقفلوش أبدًا، وكمان عشان أسلّي نفسي بدل قعدة البيت، القعدة هناك حلوة أوي، أول حاجة بعملها أول ما بروح هناك إنّي بشغّل فيروز، على الجرامافون القديم بتاع تيتة"

-"جرامافون! اللي هو بيشتغل بالاسطوانات الكبيرة ده؟"

-"بالظبط"

-"الله.. أنا بحب الحاجات دي جدًا"

ابتسمت من تعليقها، وبعدين قُلت:

-"لو ماكنّش متّفقين إننا منتقابلش تاني بعد النهاردة، كُنت هقول لك إننا مُمكن نروح الجاليري يوم، وأفرجِك عليه"

ابتسمِت هيَّ كمان، ومعلّقتش، سكتت شوية وبعدين لقيتها بتقول:

-"حبّيت؟"

اتهزّيت للحظة، حسّيت إنّي مش عايز أجاوب، حسّت إن ملامحي اتغيّرت فَــ بصّت لي وقالت لي:

-"إحنا اتفقنا هنحكي كُل حاجة، واتفقنا إنّي حابّة أسمعك، مش كده؟"

بصّيت لها للحظة، وبعدين هزّيت دماغي وقُلت:

-"تمام، بس معرفش هقدر أحكي كُل حاجة ولا لأ"

-"احكي اللي عايز تخرّجه من جُوّاك، وأنا معاك، مش هضغط عليك"

فضلت باصص للفراغ، وابتديت أستعيد تفاصيل الحكاية، فجأة لقيتني بقول لها:

-"حبّيت"

-"وهيّ حَبّتك؟"

-"أكتر من أي حد"

-"تعرفها من زمان؟"

-"من أيام المدرسة، أول مرة أشوفها كان من 9 سنين، وارتبطنا ببعض في آخر سنة في ثانوية عامّة، علاقتنا استمرّت 3 سنين كاملين، أطول فترة أقضّيها مع حد في حياتي"

-"اسمها إيه؟"

ارتبكت للحظة، بصّيت بعيد وبعدين قُلت:

-"هدير"

-"اوصفها لي، كانت عاملة إزّاي؟"

-"كانت أقصر منّي بحاجة بسيطة، جميلة جمال آخّاذ، وكانت.."

سكت وغمّضت عيني، وبعدين قُلت:

-"كانت بتملُك أجمل روح صادفتها في حياتي"

ابتسمت وقالت لي:

-"وإيه اللي حصل؟"

-"مُشكلة عبيطة زيّ اللي بتحصل بين أي اتنين، اختلاف في وجهات النظر، خناقة ياما اتخانقنا زيّها كتير قبل كده، بس المُشادّة بيننا المرة دي كانت شديدة شوية، سبنا الحوار يكبر، وقُلنا كلام ماكنش ينفع يتقال، نهينا كُل حاجة فجأة، بأقذر شكل مُمكن تتخيّليه، وبس، متكلمناش من ساعتها، من بعدها وهيَّ عايشة من غيري عادي، وأنا بعاني، بحاول أتجاوزها، بحاول ألاقي نفسي مع حد غيرها، وللأسف مش عارف"

-"وانتَ عرفت منين إنُها عارفة تعيش من غيرك عادي؟"

-"علشان أنا عارفها كويس، حياتها عُمرها ما وقفت على حد، فضلت أراقبها على الفيسبوك لحد فترة قُريّبة، بشوف صورها وبتابع أخبارها، كُل حاجة بتقول إنّها تجاوزتني خلاص وقادرة تعيش عادي، مش بعيد كمان تكون.."

سكت لحظة، وبعدين قُلت بصوت مكسور:

-"تكون حبُت حد بعدي"

فجأة، لقيتها بتمسك إيدي، وبتضغط عليها بالرّاحة، حسّيت إنّها متأثرة بجد من كلامي، مش بتصطنع التأثر، دمًعت غصب عنّي، ومسحت دموعي بإيدي، شجعتني بابتسامتها إنّي أكمّل، وأنا بصراحة مكدّبتش خبر، كان بقالي سنين محكتش ولا اتكلمت، فجأة لقيتني بحكي ليها كُل حاجة بتفاصيلها، مسبتش حاجة تقريبًا غير لمًا حكيتها، اتقابلنا إزّاي، حبّينا بعض امتى، كُل حاجة حلوة كانت بيننا، وكُل الخناقات والمشاكل، لقيتها بتسمعني باهتمام وبتتفاعل معايا بملامح وشّها، وبتقاطعني ساعات عشان تشاركني برأيها، فرّغت كُل حاجة كانت جُوّايا تقريبًا، لحد ما فجأة سكت خالص، وبصّيت لها بصّة طويلة من غير ما أقول أي حاجة، ابتسمِت وقالت لي:

-"خلّصت؟"

-"أيوة"

-"كُل حاجة؟"

-"كُل اللي قدرت عليه"

-"وحاسس بإيه؟"

-"حاسس إنّي مرتاح"

-"بجد؟"

-"بجد"

ابتسمت لها بصدق، وهيّ كمان ردّت لي الابتسامة، فجأة لقيتها بتصقّف بإيديها وبتقوم تُقف مرة واحدة، الحركة كانت مُفاجأة جدًا بالنسبة لي، لقيتها بتقول لي بصوت مليان حيوية:

-"ياللا بينا بقى"

-"على فين؟"

-"إحنا مش اتكلّمنا وطلّعنا اللي جُوّانا وارتاحنا؟ يبقى نتبسط شوية بقى"

قالت الجُملة الأخيرة وهيَّ بتضحك، صوت ضحكتها كان بالظبط زيِّ ما تخيّلته، مقدرتش أمسك نفسي وضحكت معاها، سندِت بإيديها على الترابيزة وقالت لي:

-"ليك في السينما؟"

-"أكيد"

-"حلو أوي، في فيلم معروض في السينما اليومين دول هيعجبك جدًا، لو اتحركنا دلوقتي مُمكن نلحق حفلة الساعة ستّة"

ابتسمت من فرط الحماسة، وبعدين خدت بالي من آخر حاجة قالتها، بصّيت لها باستغراب وقُلت لها:

-"الساعة ستّة؟"

بصّيت في ساعتي، واكتشفت إنّها داخلة على 5 ونص، اتخضّيت! الوقت عدّى من غير ما أحس بيه خالص، فجأة لقيتها بتبتسم وبتقول لي:

-"أيوة، إحنا بقالنا حوالي 4 ساعات بنتكلم"

سكتت للحظة لمّا شافتني مُنبهر، تقريبًا فهمِت أنا بفكر في إيه، لقيتها بتقول لي بابتسامة عُمري ما هنساها:

-"أنا كمان محسّتش بالوقت"

ودي كانت أول مرة من سنين أحس إنّي عايش، وإنّي مبسوط، اتحرّكنا بالعربية وروحنا السينما، اتفرجنا على فيلم جميل، وبعدها خرجنا واتمشينا على الكورنيش، الجو كان جميل جدًا، كُنّا في نهاية الخريف وكان في لسعة برد خفيفة، فجأة الدُنيا مطُرت علينا، ولأول مرة في حياتي أجرّب إحساس الجري تحت المطرة، سحبتني من إيدي وفضلنا نجري واحنا بنضحك بصوت عالي، لحد ما الدنيا بطّلت تمطُر، بعدها اتحركنا على الدُقّي ودخلنا محل آيس كريم، وجبنا آيس كريم وكلناه واحنا سقعانين، اتجننا، وكان أحلى جنان، ماكُنّش عايزين اليوم يخلص، بس كان لازم يخلص في النهاية زيّه زيّ أي حاجة حلوة، وصّلتها لحد البيت، ونزلنا من العربية، واتمشّينا بالراحة لحد باب عمارتها، فضلنا ساكتين لحد ما لقيتها بتقول لي:

-"أنا انبسطت جدًا على فكرة"

-"وأنا كمان، حقيقي متخيّلتش إنّي هنبسط كده"

-"أيوة كان يوم جميل"

-"جدًا"

ابتسمنا لبعض وسكتنا تاني، مكُنّاش عارفين نقول إيه، لقيتها بترفع خصلة من شعرها بأطراف صوابعها، وأنا كُنت بلعب في سلسلة مفاتيحي بتوتر، فجأة لقيتها بتكسر الصمت وبتقول لي:

-"إحنا.. إحنا خلاص كده؟"

-"خلاص إيه؟"

-"يعني.. مش هنتكلم تاني، صح؟"

-"أيوة، لو ده اللي انتي عايزاه يعني.."

سكتت لحظة وبعدين قالت:

-"ده كان اتفاقنا"

-"أيوة"

-"تمام.. أول ما هطلع هعمل Block"

-"هستنّاه"

قُلت الكلمة الأخيرة بطريقة ساخرة، فَـ ضحكنا إحنا الاتنين، سكتنا شوية، وبعدين ودّعتها، اتحرّكت هيَّ ناحية عمارتها، وأنا ناحية عربيتي، ركبت العربية وفضلت قاعد فيها شوية، فجأة حسّيت إنّي زعلان، بعد كُل السعادة اللي كُنت فيها دي لقيت نفسي زعلت تاني، مسكت الموبايل وفتحت البروفايل بتاعها وفضلت أقلّب في صورها، مكُنتش عايز أنسى ملامحها، كُنت عايز أتملّى في جمالها أطول وقت مُمكن، قبل ما تعملي الـ Block، فضلت قاعد في مكاني رُبع ساعة كاملة، لحد ما لقيتها بتبعت لي رسالة فجأة وبتقول:

-"يوسف.."

اتخضّيت، فتحت الرسالة وفضلت باصص لها شوية، لقيتها بعتت وقالت:

-"بُص فوق"

طلّعت دماغي من العربية وبصّيت، لقيتها واقفة في البلكونة وماسكة الموبايل، وبتبتسم لي، وبعدين كتبت حاجة وبعتتها، استنّيت لحد ما الرسالة وصلت لي، وبعدين قريتها، قريتها وأنا حاسس بالسعادة بتتسرسب جُوّايا من تاني:

-"يوسف أنا.. أنا مش عايزة أعمل لَك Block، أنا عايزة أشوفك تاني، وتالت ورابع، عايزة.. عايزة أشوفك على طول يا يوسف!"

....

كانت مُفاجأة بالنسبة لي، مُفاجأة أسعدتني في وقتها، وحسّيت إن أخيرًا الدُنيا ابتدت تضحك لي، وابتدت علاقتنا الغريبة، والجميلة في نفس الوقت، كُنّا بنتكلم كتير جدًا، شات ومُكالمات، وكُنّا بنتقابل كُل أسبوع في مكان جديد، ونعمل حاجة جديدة سوا، ودّيتها الجاليري، فرّجتها على صور جدّتي القديمة وعلى التُحف الخاصّة بتاعتها، وسمّعتها صوت "فيروز" على الجرامافون، ودّتني مكانها المُفضل اللي كان عُبارة عن كافيه بسيط في المنيل، وعزمتني على أكلة كوارع مُعتبرة في السيدة زينب، اكتشفنا إننا شبه بعض في حاجات كتير، بنشجّع نفس فرق الكورة، بنحب نفس المُمثلين والمُغنيين، مش هنكر إنّي كُنت مبسوط معاها، وإنّي سبتها تحاول تكتشفني، وتقرب منّي، مصدّتهاش وممنعتهاش، لإنّي كُنت مبسوط! مبسوط إن في حد في حياتي، لحد اليوم اللي جت وقالت لي فيه إنّها مُعجبة بيّا، فضلت باصص لها للحظات، ماكُنتش عارف أقول إيه، ماكُنتش عارف أحدد إحساسي من ناحيتها إيه بالظبط، أنا كُنت مبسوط معاها، مش هنكر ده، بس.. حسّيت إنّي خُفت لمّا قالت لي كده، طوّلت في سكوتي لحد ما حسّيت إن ابتسامتها ابتدت تروح، وحسّيت إنّها ابتدت تخاف، فَـــ ابتسمت لها بسُرعة، وقُلت لها فجأة من غير تفكير إن أنا كمان مُعجب بيها، ودي كانت حقيقة مش كذب، أنا كُنت فعلًا مُعجب بيها، مُعجب بملامحها وبتفاصيلها، برقّتها ونعومتها واهتمامها، كُنت فاكر إن ده كفاية وقتها، بس المُشكلة، إن الإعجاب أو الحُب مش الحاجات دي وبس، وده اللي اكتشفته بعد كده، اكتشفت إن كُل الحاجات دي مكانتش كفاية، مكانتش كفاية أبدًا.

بمرور الوقت ابتديت أحس بالزهق والملل، ابتديت أحس إن اهتمامها مُبالغ فيه جدًا، في الأول كُنت بنبسط لمّا أصحى من النوم على رسالة منها بتصبّح عليّا فيها، وبتسألني إذا كُنت فطرت ولا لأ، نمت كويس ولا لأ، بس بمرور الوقت ابتديت أحس إنّه روتين! حاجة مُكررة بتحصل كُل يوم لحد ما سخّفت وفقدت معناها بالنسبة لي، لدرجة إنّي في مرة مقدرتش أستحمل وواجهتها بشكل سخيف وقُلت لها إن الرسالة دي بقت بتضايقني! استغربتني جدًا! أنا كمان استغربت نفسي بعد ما قُلت لها كده، حاولت أقلب الموضوع بهزار، بس هيَّ مصدّقتش إنّي بهزر، خُصوصًا إنّها لمّا كررت رسالتها بعد كده مبقتش تحس إنّي مُتحمسلها زيّ الأول، شوية والشُغل ابتدا ياخُدها منّي، ابتديت أخُد نَفَسي شوية،

وابتديت أحس إنّي أحسن، فجأة حسّيت إن مش ده الصح، مش صح إنّي أتضّايق من اهتمامها كده، ولا أحس إنّي مرتاح أو مش فارق معايا لمّا تبعد عنّي! طب ده معناه إيه؟ معناه إيه يا يوسف؟

فكّرت كتير في السؤال ده، ومع إنّي كُنت من جُوّايا عارف إجابته بس كُنت رافض أصدّقها، كلامنا ابتدا يقل، بقت هيَّ بس اللي بتسأل وأنا برُد على القد، كُنت بحاول أقنع نفسي إنّها حالة وهتعدّي، وأول ما نرجع نتقابل ونشوف بعض تاني كُل حاجة هترجع زيّ الأول، لحد ما حصلت حاجة قلبت حالي تمامًا، من شهرين بالظبط..

كُنت رايح أقابل تاجر التُحف اللي بتعامل معاه عشان نظبّط شوية حاجات مع بعض، ركنت العربية واستعدّيت عشان أنزل منها، وفجأة، شُفتها بالصُدفة في الشارع! مش "ندى" لأ، البنت اللي كُنت بحبّها قبلها، حُبّي القديم، "هدير"، أو زيّ ما قُلت لــ"ندى" إن اسمها "هدير"! أيوة، أنا كدبت على "ندى" وقتها ومقدرتش أقول لها على اسمها الحقيقي، معرفش ليه، بس حسّيت إنُه مينفعش! مينفعش وخلاص.

شُفتها، وكانت أول مرة أشوفها من ساعة ما سبنا بعض، كانت ماشية مع واحد وكانت ماسكة إيده وبتضحك، كان واضح جدًا إنّهم منسجمين مع بعض، وكان باين عليها إنّها مبسوطة، وإنّها نسيتني، نسيت إنّها في يوم من الأيام كانت بتحب واحد اسمه "يوسف"، أول ما قرّبوا منّي مِلت على الكُرسي اللي جمبي وكإنّي بجيب حاجة من أرضية العربية، عشان متشوفنيش، ولمّا اتطمّنت إنُهم خلاص عدّوا، عدلت نفسي، وبصّيت عليهم في مراية العربية، وركّزت أكتر في ماسكة إيديهم، مكانوش لابسين دِبل، بس ده مخففش وجع قلبي خالص، كُنت فاكر إنّي خلاص، عُمري ما هتأثر لو شُفتها، بس بمُجرد ما لمحتها وخدت بالي من مسكة إيديهم، كُنت حاسس.. كُنت حاسس إنّي مقهور، لإنّها المفروض تبقى معايا أنا، مش مع حد تاني، وكُنت حاسس إنّي غضبان، لإنُها قادرة تتعايش عادي، وأنا مش قادر أخلي أي بنت تاخُد مكانها، حتّى لمّا حاولت مع "ندى"، معرفتش! ساعتها بس قدرت أجاوب نفسي على السؤال اللي كُنت بسأله لنفسي، أنا مش قادر أستمتع بوجودي مع "ندى"، لإنّي ببساطة، مش قادر أتجاوز حُبّي القديم!

اليوم ده أنا مروّحتش البيت، فضلت ألف في الشوارع بعربيتي طول الليل، والجدار اللي كُنت بجاهد عشان أبنيه بيني وبينها، لقيته اتهد في ثواني، ورجعت تاني لنُقطة البداية، وكإننا لسّه سايبين بعض امبارح، بليل لقيت "ندى" بتتصل بيا، ماكُنتش حابب أتكلم، مردتش عليها، اتصلت تاني وتالت، لحد ما في الآخر قفلت موبايلي خالص، وركنت العربية عند كورنيش المُنتزه في الزمالك، رجّعت الكُرسي لورا، وفضلت أفكّر في كُل حاجة حصلت، لحد ما غلبني النوم، ونمت في مكاني لحد الصُبح..

صحيت تاني يوم على شُعاع الشمس وهو بيضرب في وشي، عدلت نفسي واتمطّعت في مكاني، فتحت الموبايل وبصّيت على الساعة، كانت داخلة على 8 الصُبح، فجأة لقيت أكتر من 30 رسالة من "ندى"، رسايل على الموبايل والفيسبوك والواتس آب، رسايل من بليل لحد الصُبح، حسّيت إنّي اتماديت جدًا معاها، وإنّي كان المفروض أتصل بيها وأطمنها عليا، جبت رقمها عشان أكلمها بس هيَّ سبقتني، لقيت الموبايل بيرن فجأة، واسمها كان على الشاشة، فضلت ماسك الموبايل شوية وأنا بفكّر هقول لها إيه، وفي الآخر ردّيت:

-"ألو.."

-"انت فين يا يوسف؟"

-"أنا.. أنا في الجاليري"

-"أنا واقفة قُدّام الجاليري يا يوسف والباب مقفول! وبخبّط بقالي نُص ساعة انتَ جُوه؟"

-"لأ.. قصدي أنا في الطريق للجاليري، 5 دقايق وأبقى عندِك"

-"يوسف انت كويس؟"

-"أنا كويس متقلقيش، هاجي ونتكلم، سلام"

قفلت معاها قبل ما أسمع منها رد، كُنت صاحي مصدّع ومش قادر أسمع أي كلمة من حد، سندت راسي ع الدريكسيون شوية، وبعدين عدلت نفسي ودعكت عيني، ودوّرت العربية واتحرّكت على الجاليري، ماكنش بعيد عن الكورنيش، وصلت ولقيتها واقفة قُدّام الجاليري بالظبط، وعمّالة تتحرك يمين وشمال من كُتر التوتر، ركنت العربية قُدّامها، أول ما شافتني اتنهدِت بارتياح، قريت شفايفها وهيَّ بتقول "الحمدلله"، لومت نفسي إنّي عملت فيها كده، بس في نفس الوقت، محستش بأي حاجة ناحيتها في اللحظة دي، يمكن لإن

إحساسي بالضيق من اللي حصل امبارح كان غالب على أي حاجة تانية، نزلت من العربية ومبصّتش في عينيها، واتحركت ناحية باب الجاليري وكإنّها مش موجودة..

-"في إيه يا يوسف؟ حرام عليك اللي عملته فيّا ده! أنا كُنت هموت من الخوف عليك!"

مردّتش، طلّعت مفاتيح الجاليري وفتحته، وبعدين قُلت لها بصوت مهزوز:

-"تعالي نتكلم جُوّه أحسن"

كانت مصدومة من رد فعلي البارد معاها، دخلت ودخلِت ورايا، نوّرت النور، دماغي كانت لسّه وجعاني، اتحرّكت ناحية المطبخ وبعدين قُلت لها بصوت عالي:

-"أعملِك قهوة معايا؟"

سمعت صوت خطواتها وهيَّ بتتحرّك ناحيتي، لحد ما ظهرت قُدّامي وقالت لي:

-"قهوة؟ بس انت مبتحبّش القهوة!"

ابتسمت بسُخرية، وبعدين قُلت:

-"شكلي كده لسّه بحبّها"

مفهمِتش أنا أقصد إيه، فَـ معلّقتش، فضلنا ساكتين لحد ما خلّصت عمل القهوة، ناولتها الفنجان بتاعها، وشلت فنجاني ورجعنا تاني للريسيبشن، قعدت على المكتب وقعدت هيَّ قُدّامي، حطّيت فنجان القهوة على المكتب وفضلت أبُصّ له للحظات، فُقت من شرودي ولقيتها بتبصّ لي، كانت خلاص بتجيب آخرها، عايزة تعرف مالي، فجأة لقيتني بقول لها بمُنتهى البرود:

-"دوقي كده قهوتِك وقولي لي إيه رأيك؟"

فضلت تبص لي باستغراب، ولمّا لاحظِت الجدّية في كلامي مسكت الفنجان وقرّبته من شفايفها، وداقت القهوة، وبعديت ابتسمِت بتكلُّف وقالت لي:

-"جميلة"

-"بجد؟"

-"بجد"

-"حلو، لسّه مفقدتش لمستي، عارفة.. زمان كُنت بعمل أحلى قهوة مُمكن تدوقيها في حياتِك، هيَّ اللي علّمتني إزّاي أعملها، وكُنّا بنشربها سوا"

-"هيَّ! هيّ مين؟ قصدك هدير؟"

ابتسمت بسُخرية مرة تانية، وبعدين قُلت:

-"شُفتها امبارح"

-"إيه! فين وإزّاي؟"

-"في مكان قُريّب من شُغلها، نسيت خالص إنّها بتشتغل هناك"

-"وبعدين.. حسّيت بإيه؟"

بصّيت لفنجان القهوة وحرّكته بشكل دائري، وبعدين قُلت:

-"مش هتفهمي"

ملامحها اتغيّرت فجأة، حسّيت إنّي جرحتها، بس للأسف، أنا مقولتش غير الحقيقة، فجأة لقيتها بتنفعل عليّا وبتقول لي:

-"انساها يا يوسف بقى، انساها زيّ ما هيَّ نسّيتك"

-"مش قُلت لِك مش هتفهميني!"

-"أمّال مين اللي هيفهمك؟ هيَّ؟!"

سكت، وسكوتي كان إجابة كافية لسؤالها، رفعت حواجِبها لفوق والدموع ابتدت تتكوّن في عينيها، عينيها الفيروزي اللي شدّوني في أول مرة أشوفهم، فجأة لقيتها بتقول لي بصوت مكسور:

-"انت لسّه بتحبّها؟"

مردّتش، مش عارف أرُد، ومش قادر أقول آه أو لأ، لإنّي مَاكُنتش مُتأكد من إحساسي وقتها، بس اللي كُنت مُتأكد منّه هو إحساسي ناحية "ندى"، اتأكدت إن إحساسي ناحيتها مكانش إعجاب زيّ ما كُنت فاكر، مقدرتش أبُصّ لها في عينيها، نزّلت عيني في الأرض وقُلت لها:

-"أنا آسف"

ضحكت بسُخرية، وبعدين قالت:

-"آسف؟ يا راجل متقولش كده، آسف على إيه بس؟ على إنّك علّقتني بيك طول الفترة دي؟ وخلّيتني أعتبرك أهم حد في حياتي؟ ولا آسف على إحساسي ناحيتك اللي فضل يزيد كُل يوم وانت سبته يزيد عادي! ولا آسف على اهتمامي بيك اللي ماكُنتش بتقدّره؟ وإنّك

فِي الفترة الأخيرة حسَستني إن اهتمامي ده تقيل على قلبك وحسَستني إنِّي بعمل حاجة غلط! ولا آسف على ليلة امبارح؟ لمَّا قفلت موبايلك وسبتني أموت من الخوف والقلق عليك وأنا معرفش انت فين ولا حصل لك إيه؟ ولا آسف على برودك معايا دلوقتي؟ آسف.. بجد آسف؟ يعني انتَ فاكر إن أسفك كافِي يمحي كُل اللي انت عملته فيّا؟ وكُل اللي أنا حسّيته بسببك؟ وأنا بقى المفروض أقولك لأ عادي مفيش حاجة، أنا مسامحاك وإحنا تمام، وكُل حاجة تمام، مش كده؟ ما انت خلاص.. عملت اللي عليك وقُلت آسف! أنا بس عايزة أسألك سؤال وتجاوبني عليه، لمّا.. لمّا انت مش قادر تنساها ليه وافقت تدخّلني حياتك من الأول؟ ليه سمحت لِي أعدّي الحدود معاك بالشكل ده! ليه لمّا شُفتني بفتح لَك قلبي ممنعتنيش؟ رُد عليّا.. ليه؟"

انفجرِت فيّا بكُل قوّتها، ودموعها نزلت منها بغزارة، مقدرتش تمسك نفسها بعد كُل اللي عانته بسببي، مقدرتش أقاطعها، مقدرتش حتّى أدافع عن نفسي..

-"صدّقيني أنا عايز أنساها، بس.."

-"انت مش عايز تنساها، انت عايز ترجع لها!"

-"مش حقيقي أنا.. أنا مبحبّهاش، أنا بطّلت أحبّها من زمان"

-"كفاية كدب بقى، كُل حاجة قُلتها لِي كدب انت لا بطّلت تحبّها ولا قادر تنساها ولا انت مُعجب بيّا زيّ ما قُلت لِي! انت مُمكن كمان تكون كدبت عليّا فِي تفاصيل حكايتك معاها، ومُمكن ميكونش اسمها هدير من أصله"

رميت لها نظرة ليها معنى، فَـ فهمِت.. سكتت للحظة، وبعدين ابتسمت بسُخرية رغم دموعها، وقالت:

-"مسمهاش هدير، مش كده؟"

مقدرتش أرُد، فضلت باصص لها فِي صمت، لحد ما لقيتها وقفت وهيَّ بتهز دماغها فِي عدم تصديق وهيَّ بتقول:

-"انت حتّى مقدرتش تقول لِي على اسمها الحقيقي، لسّه بتنكر إنّك بتحبّها يا يوسف؟"

بصّت لي للحظة وبعدين سابتني واتحركت ناحية باب الجاليري، مقدرتش أمسك فيها، مقدرتش أقول لها استنّي، فجأة لقيتها بتُقف عند الباب، لفّت وواجهتني، وقالت لي والدموع لسّه بتنزل من عينيها:

-"عارف أسوأ حاجة إيه يا يوسف؟ إنّي اكتشفت إنّك مش بتحس ناحيتي بأي حاجة، في نفس اليوم اللي أنا اكتشفت فيه.. إنّي بحبّك!"

قالت الجُملة الأخيرة وخرجت بسُرعة، فضلت قاعد في مكاني وأنا حاسس إنّي قرفان من نفسي، ماكُنتش أتخيل أبدًا إنّي مُمكن أؤذي حد كده! أو أوصّل حد للمرحلة دي، سندت بكوعي على المكتب ودفنت وشّي بين إيديّا للحظات، كُنت خلاص هنفجر، كوّرت كف إيدي فجأة ونزلت بيه على المكتب بكُل قوّتي، إيدي وجعتني والقهوة اتدلق منها شوية، بصّيت على الفنجان والقهوة بتتهز جُوّاه، وفضلت مركّز معاه شوية، وبعدين مدّيت إيدي بالراحة ومسكته، قرّبته من شفايفي، وشربت شوية، غمّضت عيني وحاولت أستطعمهم، وحسّيت برعشة بتجتاح جسمي كُلّه، طعم القهوة فكّرني بيها وبذكرياتي معاها، وبكُل حاجة عشناها سوا، قلبي اتنفض وأنا بفتكر كُل الصور دي، فتّحت عيني فجأة وبصّيت لفنجان القهوة باستغراب، وساعتها، وساعتها بس، حسّيت إنّي فعلًا مُمكن أكون..

****

-"لسّه بحبّها!"

قال "يوسف" جُملته الأخيرة وهو مُنهار تمامًا، فجأة لقينا "شروق" بتقول له والدموع مغرّقة عينيها:

-"أكيد مش قصدك على القهوة، صح؟"

مردّش، ماكنش محتاج يرُد، كُلّنا كُنّا فاهمين إنّه مش قصده على القهوة، كُلّنا كُنا متأثّرين ومش عارفين نتكلم، أنا أكتر واحد في الدُنيا عارف "يوسف"، "يوسف"، عُمره ما جرح حد ولا قسي على حد، حتّى لمّا البنات كانت بتجري وراه واحنا صُغيّرين، عُمره ما علّق أي بنت بيه أو وعدها بحاجة وخلي بيها، بصّيت في وشوشهم كُلّهم، كان باين عليهم إن أحاسيسهم ناحيته مُضّطربة زيّي، ما بين غضبهم منّه على اللي عمله مع البنت المسكينة، وما بين تعاطُفهم معاه وعلى حاله، وعلى كونه مش قادر يكون مع البنت اللي بيحبّها، ولا قادر ينساها ويحب غيرها! فجأة لقيناه بيكمّل وبيقول:

-"ومن ساعتها، وأنا قافل على نفسي ومبنزلش من البيت خالص، حتّى الجاليري مبقتش بنزله، وخلفت الوعد اللي وعدته لجدتي، تقدروا تقولوا كده إنّي كُنت بعاقب نفسي على اللي عملته مع ندى، هيَّ ماكنتش تستاهل منّي ده، كُل ذنبها إنّها حبّتني! وأنا اللي سمحت لها تحبّني، أوقات كتير كُنت بسأل نفسي أنا إزّاي مقدرتش أحبّها؟ كُنت بفضل أعدد صفاتها الجميلة وروحها الحلوة، كان فيها حاجات أي ولد يتمناها، وكانت بتحبّني، بتحبّني بجد، من ساعتها، وأنا مقرر إنّي أبعد عن كُل الناس، ورجعت لوحدتي تاني، بس المرة دي وأنا ناوي مخرُجش منها أبدًا، لإن من الواضح كده إنّي بقيت شخص مؤذي، ووجودي في أي مكان خطر على اللي فيه، وده اللي خلاني أتردد كتير إنّي أجي النهاردة، عشان كده لمّا سمعت كلام شروق حسّيت إنّي عايز أمشي"

ردّيت عليه وقُلت:

-"متقولش كده يا يوسف، انت مجروح بس مش أكتر! وبعدين احنا صُحابك، محدش فينا هيشوفك شخص وحش، محدّش هيبُصّ لك بنظرة مُختلفة بسبب غلطة غلطتها، كُلّنا بنغلط يا يوسف، متجلدش ذاتك زيادة عن اللزوم أرجوك!"

ابتسمت له وخبَطت بإيدي على رُكبته بالرّاحة، في اللحظة اللي "مُصطفى" حاول يلطّف الجو فيها زيّ عادته، وقال:

-"قول لنا بقى يا يوسف، اسم هدير الحقيقي إيه؟"

"هشام" رد وقال:

-"صحيح يا يوسف.. انت قُلت إنّها كانت معانا في المدرسة، هيَّ مين بقى؟"

بصّيت لــ"يوسف" وحسّيت إنّه مش عايز يرُد، فَــ ردّيت أنا بداله وقُلت:

-"مش مُهم مين يا جماعة دلوقتي، المُهم إن يوسف اتكلّم وطلّع كُل اللي جُوّاه"

فجأة لقيت "شروق" بتوجّه كلامها لــ"يوسف" وبتقول له:

-" انتَ لسّه بتحبُها فعلًا يا يوسف؟"

بصّ ليها بتأثر، وسكت شوية، وبعدين رد وقال:

-"مش عارف يا شروق، حقيقي مش عارف!"

ردّت "مريم":

-"بتحبّها! طبعًا بتحبّها.. وهيّ دي فيها سؤال؟"

"نور" هزّت دماغها تصديقًا على كلام "مريم"، وبعدين وجّهت كلامها لــ"يوسف" وقالت:

-"أنا كمان شايفة كده، وشايفة إنّك لازم تكلمّها وتقول لها إنّك لسّه بتحبّها"

-"أكلّمها إزاي يا نور؟ بقول لك مُرتبطة بحد تاني."

-"مُمكن تكون مش مُرتبطة بيه ولا حاجة وانت اللي افتكرت كده"

-"لأ! أنا.. أنا اتأكّدت"

-"اتأكّدت إزّاي؟"

سكت للحظة، وبعدين قال:

-"اتأكّدت وخلاص، وبعدين.. وبعدين أنا مُمكن أكون أصلًا مبحبّهاش ولا حاجة، مُمكن أكون بحس بحنين ناحيتها بس، الموضوع مش أكيد"

فجأة لقيت "شروق" بتقول لَه وهيَّ بتمسح دموعها:

"تفتكر؟"

سكت، شفايفه ارتعشت للحظة، وكان هيرُد ويقول حاجة في اللحظة اللي "ياسمين"خرجت فيها من المطبخ هيَّ وماما، وقالت بصوت عالي:

-"ياللا يا جماعة الغدا جاهز، قوموا شيلوا معانا"

قُمنا كُلُّنا فجأة من الحالة اللي كُنّا فيها أول ما سمعنا صوت "ياسمين"، "هشام بصّ لها فجأة وقال لها:

-"تعالي تعالي، ده انتي فاتتِك حكاية يوسف كُلّها"

ردّت عليه وقالت:

-"لا يا اخويا مفاتتنيش ولا حاجة، أنا وطنط كُنّا سامعين كُل حاجة واحنا في المطبخ، يلا بقى قوموا عايزين ناكُل"

قُمت من مكاني ولقيتهم بيقوموا ورايا كُلّهم عشان ننقل الأطباق سوا، دخلنا المطبخ وريحة الأكل ابتدت تفصلنا من حالة النكد اللي كُنّا عايشينها من شوية، ماما هزَّرت مع "هشام" وهيّ بتناوله طبق الكُفتة اللي بيحبّها، وقالت له "إوعى تخلي حد فيهم ياكُل معاك"، "هشام" حَضَن الطبق جامد وبصّ لينا وطلّع لسانه، فَـــ ضحكنا على منظره، و"نور" قالت له إنّه هيزيد 10 كيلو مرة واحدة بعد ما يخلّص أكل النهاردة، فضلوا يناكفوا في بعض هُمّا الاتنين واحنا بننقل الأطباق، ماما تعبت نفسها أوي النهاردة، عملت لكُل واحد فينا الصنف اللي بيحبّه، محاشي ومكرونة بالبشاميل وبامية باللحمة الضاني وملوخية وفراخ، كانت وليمة، خدنا أماكننا على ترابيزة السُفرة اللي كُنّا بناخُد دروسنا عليها زمان، وكُل واحد كان بيغرف للتاني صنف من الأصناف اللي في طبقه، شوية وماما جت تبُص علينا، فَـــ ندهت عليها وقُلت لها:

-"يلا يا ماما تعالي مش هنبدأ أكل من غيرِك"

-"لا والنبي! طب ابلع اللي في بُقّك الأول وبعدين اتكلّم، عمومًا أنا سبقتكم خلاص، بالهنا والشفا يا حبايبي"

-"إزّاي كده بس يا طنط؟ ينفع متاكليش معانا؟"

-"يا ياسمين يا حبيبتي ما انت عارفاني، مبقدرش على الأكل المسبّك ده، أنا أعمله آه، إنما مكلوش أبدًا"

-"تسلم إيدِك يا ماما، ربنا ما يحرمنا منك أبدًا"

-"يسلم قلبك يا حبيبي، يلّا، أنا هدخُل أريَح في أوضتي شوية، لو عوزتوا أي حاجة اندهوا عليّا"

سابتنا واتحرّكت ناحية أوضتها واحنا بنُشكرها على تعبها، وابتدينا ناكُل بنهم، كُنّا جعانين جدًا، الظاهر إن الحكايات اللي حكيناها فتحت شهيّتنا، ابتدينا نسترجع تفاصيل الحكايات واحنا بناكُل، "ياسمين" اللي مش عارفة تكمّل مع حد مبيهتمش بيها ومبيسمعهاش، "مُصطفى" اللي بيعاني من عدم التقدير مع البنت اللي حبّها وأخلص لها في حُبّه، "شروق"، اللي ابتدت تشُك في مشاعر "طارق" ناحيتها، وإنه مُمكن يكون محبّهاش من أصله، و"يوسف"، اللي توهّم إنّه مُعجب بـ"ندى"، لكنُها كانت بالنسبة له مُجرد حد بيحاول يتجاوز بيه حُبّه القديم، حتّى لو ماكنش عارف ده في وقتها، لمّا رجعنا نتكلم في موضوع "يوسف" تاني لقيناه سرح وبطّل أكل، بصّيت له وقُلت له:

-"إيه يا ابني مالك؟ بتفكّر في إيه؟"

سكت شوية وبعدين قال:

-"عارف يا حاتم إيه أكتر حاجة أكّدت لي إنّي محبتش ندى ولا حسّيت ناحيتها بإعجاب حتّى؟"

-"يا ترى إيه؟"

-"إنّي عُمري ما غيرت عليها، ندى كانت حلوة جدًا، وزيّ ما حكيت لكم كان في ولاد كتير بيتمنّوا يفتحوا معاها كلام، بس أنا عُمري ما حسّيت إنّي بغير عليها، ولا عُمري فرق معايا هيَّ رايحة فين أو مع مين، متأخرة ولا لأ، ولمّا كُنّا بنُخرج مع بعض وحد يبُصّ لها بصّة إعجاب، ماكُنتش بحس إنّي متضّايق، كُنت حاسس إنّي عادي، طبعًا ده ماكنش إحساسي مع.."

-"مع هدير"

"ياسمين" قالتها بطريقة ساخرة، فَـ ابتسمت لها بتكلّف، وبعدين لقيت "هشام" بيقول:

-"عندك حق والله يا يوسف، الغيرة هيَّ أهم علامة من علامات الحُب"

-"فعلًا.. الغيرة أهم علامة في الحُب."

قالتها "نور" وكأنّها بتتريّق، "هشام" اتضايق وقال لها:

-"طبعًا يا بنتي، إيش عرّفك انتي أساسًا"

-"على رأيك، وأنا هعرف منين يعني!"

قالتها بصوت مليان غضب، ورمت الشوكة في الطبق وبطّلت تاكُل، سكتنا كُلّنا وبصّينا لـــ"هشام"، اللي كان عمّال ياكُل عادي، اتنحنحت بصوت مسموع، برضو مشالش عينه من الطبق، لحد ما "شروق" خبطته بكوعها في دراعه جامد، فَـــ بصّ لها وهو مستغرب، وبعدين بصّ لي، برقت له وشاورت على "نور" يمكن يفهم، برضو مفهمش، راحت "شروق بصّت له وهيّ حاطّة إيدها على خدّها، فجأة افتكر الدبش اللي رماه في وش "شروق" قبل ما تحكي حكايتها، وفهم إنّه رمى نفس الدبش ده في وش "نور"، اتكسف وبلع الأكل بسُرعة وبعدين وجّه كلامه لـــ"نور" وقال:

-"مش قصدي يا نور والله"

-"ولا قصدك.. عادي"

سكتنا شوية، لحد ما لقينا "يوسف" بيقول لها:

-"نور، انتي بتواجهِك مُشكلة في علاقتِك بأيمن مش كده؟"

سكتت ومردّتش، كان باين عليها إنّها متضّايقة، روحت ناده عليها بهدوء وقُلت لها:

-"نور.."

غمّضت عينيها للحظة، وبعدين قالت:

-"أيوة، أنا بواجه مُشكلة مع أيمن"

-"وهتحكي لنا، مش كده؟"

ابتسمِت، وبعدين بصّت لـ"هشام"، ومدّت إيدها في طبق الكُفتة بتاعه وخدت منّه واحدة وكَلِتها كُلّها على مرّة واحدة، طبعًا مقدرش يتكلم معاها نُص كلمة، منعنا نفسنا من الضحك بالعافية، وبعدين ابتدينا نركّز معاها، في اللحظة اللي لقيناها بتاخُد فيها نفس عميق، وبتطلّعه بالراحة، وبتبتدي تحكي..


الحكاية الخامسة
نـــور

-"يلّا يا نور الناس مستنّية برّه.. كُل ده ولسّه مجهزتيش؟"

-"إيه يا ماما؟ في إيه محسّساني إنّهم أغراب؟ دول خالتو وجوز خالتو وأيمن يعني، وبعدين هو أنا هقرأ فاتحتي كُل يوم! مش لازم أظبَط نفسي؟

-"قال يعني انتي بتتزوّقي لحد غريب! يا بنتي اخلصي الناس خلّلت من القعدة"

-"حاضر.. حاضر، قولي لي بس، الميك أب مظبوط؟"

-"مظبوط يا ستّي"

-"وشعري.. حلو كده؟"

-"يا بنتي حلو والله!"

-"والفُستان.. أنا كُنت عايزة ألبس الفُستان الأزرق بس حسّيت الروز هيبقى أحلى و.."

فجأة سمعت صوت بابا من الصالة:

-"نور! والله لو ما خرجتي دلوقتي لا نيجي لك نقرا الفاتحة في أوضتِك! كفاياكي دلع بقى."

-"خلاص يا بابا جايّة أهو حاضر"

قُمت من على كُرسي التسريحة وبصّيت لماما وبعدين قُلت لها:

-"بجد حلوة يا ماما؟"

الدموع اتكوّنت في عيون ماما فجأة، اتأملِت شعري الاسود المفرود وعيوني العسلي مع رسمة الروج على شفايفي، وبعدين لقيتها بتميل عليّا وبتحُط إيدها على خدّي، وبتقول لي بكُل الحنيّة اللي في الدُنيا:

-"قمر يا حبيبتي، أحلى عروسة في الدُنيا كُلّها"

اترميت في حُضنها في نفس اللحظة اللي سمعت فيها صوت "أيمن" وهو بينده عليّا المرة دي:

-"يا بنتي اخلصي بقى دي قراية فاتحة بس، أُمّال في الفرح هتعملي إيه؟"

-"ملكش دعوة"

قُلتها وكإنّي بغيظه، في نفس اللحظة اللي خرجنا فيها أنا وماما من الأوضة، بصّيت عليه واتأملته وأنا بتحرّك ناحيتهم بالرّاحة، كان لابس قميص أبيض سادة على بنطلون اسود،

وكان مخفّف شعره ودقنه، بصّ لي ومقدرش يخبّي انبهاره بشكلي، كُنت حلوة وقتها، وكُنت عارفة ده، فجأة لقيته بيُقف مكانه وهو بيبتسم، وبعدين قال لي:

-"لأ.. انتي لو كُل مرة هتبقي حلوة كده، يبقى تتأخري براحتِك"

-"ملكش دعوة برضو"

-"هزعَلِك"

-"متقدرش، ويلا خلصوني بقى، أنا مش فاضية لكم"

فجأة لقيت خالتي بتقول بهزار:

-"شوف يختي البت بتقول إيه؟ مفيش فايدة في لماضتِك أبدًا، ربنا يكون في عونك يا أيمن"

-"إيه ده إيه ده! وهو يطول أصلًا؟ ده يحمد ربنا إنّي وافقت أساسًا"

راح بابا رادد وقايل:

-"لا والله.. انتي بتضحكي على مين؟! أُمّال لو مَكنتوش بتحبّوا بعض من وانتوا في اللفّة؟!"

-"يا بابا سيبني أعيش الدور شوية، الله؟!"

ضحكوا كُلّهم، و"أيمن" كمان ضحك معاهم، وبعدين ابتدوا يتكلموا في الجد والتجهيز للشبكة وكتب الكتاب، بس أنا مكُنتش مركّزة معاهم خالص، كُنت بَبص لـ"أيمن" وبتأمله وأنا قلبي بيُرقص من الفرحة، ماكُنتش مصدّقة إن حلم حياتي أخيرًا بيتحقق، وإن أنا و"أيمن" خلاص هنبقى لبعض، "أيمن"، اللي يوم ما فتّحت عيني على الدُنيا كان هو أول حد أشوفه، أول حُب في حياتي، مصدر أماني وسعادتي وكُل حاجة حلوة في دُنيتي، صاحبي الجدع اللي ماكُنتش بتكسف أحكي له على أسراري، وأخويا اللي كان بينصحني لمّا كُنت بحتاج نصيحته، افتكرت لمّا كان بييجي يوصّلني بعد المدرسة كُل يوم عشان محدش يضايقني، وافتكرت لمّا دخلت الكُليّة وكان بيشجّعني عشان أذاكر وأنجح وأتفوق، لحد اللحظة اللي كُنّا بنقرأ فيها الفاتحة دي "أيمن" كان بالنسبة لي فارس أحلامي، دخلت المدرسة وبعدها الكُليّة، اتعرّفت على ولاد كتير وعملت صحاب ياما، وفضلت مكانته جُوّايا زيّ ما هيَّ متغيّرتش، محبّتش حد غيره، ومحدّش قدر يملا عيني زيّه، كان دايمًا بيقول لي إنّي أميرته، أميرته المُتوّجة على عرش قلبه، وإنّي السبب الرئيسي بعد ربنا في كُل النجاحات اللي قدر يوصل لها، "أيمن" عدّى بصعوبات كتير أوي في حياته، مشاكل في

البيت ومشاكل في الكُليّة، فضلت واقفة جمبه وقدّمت له كُل الدعم النفسي اللي كان محتاجه في الفترة دي، وهو في المُقابل كان بيقول لي إنّه هيعمل كُل اللي يقدر عليه عشان نبقى لبعض في أسرع وقت مُمكن، لحد ما اتخرّج من كُليّة تجارة بتقدير كويس، وقدّم بعدها في وكالة بيع عقارات مشهورة، واتقبل، وطبعًا مكدّبش خبر، تعِب وشقِي كتير جدًا لحد ما في سنتين بس قدر يوصل لـ position مُحترم في الشركة، ومُرتبه تضاعف مرتين تلاتة، كان بيحرم نفسه من حاجات كتير عشان يحوّش لجوازنا، وفي الآخر قدر يوفي بوعده، وكلّم بابا وقال لّه إنّه أخيرًا يقدر يتقدّم ونقرأ الفاتحة، وبعدها بكام شهر نلبّس الدبل ونكتب الكتاب على طول، افتكرت كُل ده، كُل اللي مرّينا بيه سوا، وبعدين فُقت من شرودي على صوت "أيمن" وهو بيقول لبابا:

-"كده.. كده الشقّة موجودة زيّ ما حضرتك عارف يا عمّي، فاضل بس توضيبها وتجهيزها، وده بإذن الله مش هياخُد وقت كبير"

-"على بركة الله يا ابني، ها إيه رأيك يا عروسة؟"

اتكسفت ووشّي احمّر، كان نفسي أرُد عليه وأقول له طبعًا مُوافقة، ولو عليّا، فَـــ أنا نفسي نتجوّز وأروّح معاه دلوقتي حالًا، بس طبعًا مقولتش كده، بصّيت في الأرض وابتسمت وقُلت بصوت خجلان:

-"اللي تشوفه يا بابا"

-"عال، يبقى نقرأ الفاتحة، بسم الله الرحمن الرحيم.."

قلبي دق وأنا بضُم كفوف إيديّا وبرفعهم ناحية وشّي، وبقرأ الفاتحة، وأنا بقول "الحمدلله رب العالمين" كُنت بقولها من أعماق قلبي، بصّيت لــ"أيمن" من تحت لتحت، لقيته بيبُص لي هو كمان وهو مُبتسم، كان فرحان، كان باين عليه جدًا إنّه فرحان، أنا كمان كُنت فرحانة أوي، كانت أسعد لحظة في حياتي، ختمها بابا وهو بيقول بصوت حنيّن:

-"ولا الضالين.. آمين، مبروك يا ولاد"

....

وعدّى أجمل يوم في حياتي، يوم قراية فاتحتي على "أيمن"، قراية الفاتحة جت تزامُنًا مع تخرُجّي من كُليّة تربية قسم لُغة إنجليزية بتقدير عام جيد جدًا، كُنت شاطرة جدًا في الكُليّة، وكُل الدكاترة كانوا بيتنبؤا ليّا بمُستقبل عظيم، كُنت مبسوطة إنّي أخيرًا هقدر أشتغل في الحاجة اللي بحبّها، التدريس، وفي نفس الوقت كُنت مبسوطة إنّي هشارك "أيمن" في موضوع الشُغل، تخيّلتنا وإحنا بنروح الشُغل مع بعض كُل يوم مثلًا، وفي نهاية اليوم ييجي يوصّلني بعربيته ونحكي لبعض عن يومنا، وعن الحاجات اللي صادفناها في شُغلنا، وفعلًا، بدأت أدوَر على شُغل مُناسب، وبما إنّي كُنت شاطرة وكُنت باخُد كورسات كتير وأنا بدرس في الكُليّة، فَـــ قررت أقدم في معاهد لُغة إنجليزية مُحترمة، استنّيت ردودهم وقررت أستمتع بوقتي شوية قبل ما أدخُل في معمعة الشُغل، فَـــ كُنت بنزل مع صحابي بتوع الجامعة كُل كام يوم وبخرُج مع "أيمن" كُل أسبوع، كُل حاجة كانت حلوة ومتظبّطة، وكُنت فاكرة إن مفيش حاجة هتنغّص عليّا حياتي، أبدًا..

لحد ما في يوم، كُنّا خارجين أنا و"أيمن" بعد الشُغل بتاعه، وكان المفروض هيعزمني على الغدا برّه، اليوم ده كُنت مُهتمة بنفسي زيادة شوية، كُنت لابسة فُستان أحمر طويل وعليه جاكت جينز قُصيَر، وكُنت عاملة شعري في الكوافير اليوم اللي قبله، جرّبت أنواع ميك أب جديدة، خلّت شكلي أحلى، كُنت مبسوطة من شكلي جدًا، وكُنت مستنيّة أشوف إنعكاس صورتي في عيون "أيمن"، وفعلًا ده حصل، أول ما نزلت من العمارة وشافني بصّ لي بانبهار، لكن لثواني معدودة بس، ابتسم بعدها ابتسامة مُتكلّفة وقال لي بصوت فيه حبّة تردد:

-"شكلك حلو أوي النهاردة"

مصدّقتوش، نبرة صوته كانت بتقول إن في حاجة، معقول يكون الميك أب مش حلو؟ شعري مثلًا فيه حاجة؟ مش عارفة! ركبنا العربية وبصّيت في المراية كذا مرة، محسّتش إن شكلي فيه أي حاجة غلط، كُنت فعلًا مستغربة من رد فعله، بس قُلت يمكن ميكونش رد فعله سببه شكلي، يمكن يكون هو متضّايق من حاجة مُعيَنة، حاجة في الشُغل مثلًا أو في البيت وهيحكي لي عنها لمّا نوصل، هزّرت معاه شوية عشان أفُكّه، وفعلًا ضحك، وفضلنا نرغي شوية لحد ما وصلنا المطعم، دخلنا بعدها وقعدنا على الترابيزة بتاعتنا، طلبنا الأكل

وكمّلنا كلام، فضل يكلمني عن يومه في الشُغل والـ targets اللي حقّقها على مدار الأسبوع، لحد ما الأكل جه وبدأنا ناكُل، كُنت بلاحظ إنّه كُل شوية بيبُصّ لي وكأنّه عايز يقول حاجة، وبعدين يُسكت وميقولهاش، فضلت مستغرباه، لحد ما فجأة لقيته بيقولي:

-"نور أنا كُنت عايز أقول لِك على حاجة"

بطّلت أكل وبصّيت له باهتمام وقُلت له:

-"قول يا أيمن!"

-"هو.. هو انتي مبتفكّريش تتحجبي؟"

-"أتحجّب!"

-"آه، إيه مالِك؟ استغربتي كده ليه؟"

-"لأ مفيش! بس أصلي متوقعتهاش منّك دي"

ضم حواجبه وقال لي بصوت فيه شوية غضب:

-"ليه يعني إن شاء الله؟ مش راجل أنا ولا إيه؟"

فاجئني بردّه، بصّيت له بعدم فهم وقُلت له وأنا حاسّة بشوية خوف:

-"إيه اللي انت بتقوله ده يا أيمن؟ إيه علاقة الرجولة بإنّي أتحجب أو لأ؟"

اتنهّد وبص الناحية التانية، وكأنّه مش قادر يفهم إزّاي أنا مش فاهماه، بصّ لي مرة تانية وبعدين قال:

-"نور، زمان انتي كُنتي بنت خالتي وبس، دلوقتي خلاص، كُلّها كام شهر وهنتجوّز، وأنا بصراحة محبّش حد يبُص على مراتي بصّة مش تمام! فَـــ بدل ما أعمل حوار وأتخانق مع كُل واحد بيبُصّ لك بطريقة متعجبنيش، الأحسن إنّك تتحجّبي."

-"بس كده؟"

-"يعني إيه بس كده؟"

-"هو ده بس السبب اللي عايزني أتحجّب عشانه؟"

انفعل أكتر، ونبرة صوته ابتدت تحتد:

-"انتي شايفة إنّه سبب مش كافي ولا إيه؟"

-" مش قصدي، أنا بس قصدي إنّه.."

-"قصدِك إيه يا نور؟"

قالها بصوت عالي لدرجة إن الناس ابتدت تبُصّ لنا في المكان، عينيه كانت بتُطق شرار في لحظتها، وكُنت حاسّة بسخونة أنفاسه من وأنا قاعدة في مكاني، كُنت خايفة، لأول مرة أخاف منّه كده، فجأة لقيتني بقوله من غير تفكير:

-"ولا حاجة يا أيمن، انت معاك حق، أنا.. أنا فعلًا كُنت بفكر أتحجّب من فترة، ومتهيألي إنّه.. جه الوقت اللي أخُد فيه قرار زيّ ده"

قُلت الجُملة الأخيرة بصوت هادي حاولت أمتص بيها غضبه، فضل باصص لي بنفس نظرة الغضب للحظات، وكأنّه بيحاول يعرف إذا كُنت بكذب عليه ولا بقول لّه الحقيقة، كُنت مرعوبة في لحظتها، كتمت أنفاسي وقلبي فضل يدُق بسُرعة، لحد ما لقيت "أيمن" بيتنهد ببُطء، وبيهدى، وبيقول لي:

-"أنا كمان شايف كده"

سكت وبص في طبقه، وبعدين مسك الشوكة ورجع ياكُل تاني، في اللحظة اللي كُنت بتنهّد فيها بارتياح، وبتحاشى أبُص في عيون الناس اللي حوالينا، فضلت ثابتة في مكاني للحظة، لحد ما لقيته بيبُصّ لي مرة تانية وبيقول لي:

-"طبعًا مش محتاج أقول لّك إن الميك أب ده مينفعش مع الحجاب، تبقي تحُطّي ميك اب خفيف شوية بعد كده، ولا أقول لِك، بلاش ميك أب خالص، مالوش لازمة"

حسّيت بوجع غريب في قلبي، وحسّيت إنّي عايزة أعيّط، بس مسكت نفسي ومبيّنتش حاجة، فضل باصص لي وهو مستنّي ردّي، في اللحظة اللي قُلت له فيها بصوت مكسور:

-"حاضر"

....

طبعًا انتوا هتفتكروا إنّي كُنت بكدب عليه، بس أنا في الحقيقة مكدبتش، أنا فعلًا كُنت بفكّر أتحجَب، بس أكيد مش للسبب اللي هو قاله ده، أنا فكّرت أتحجّب عشان نفسي، عشان أرضي ربنا وأقرَب منّه أكتر، وعشان إحنا بقينا عايشين في مُجتمع صعب، بيبُص لأي بنت مُش مُحجبة إنّها مش مُحترمة، وبيستحلّوا أذيّتها وبيقولوا "ماهيَّ اللي مش مُحجبة" أو "هيَّ اللي لابسة لبس مُلفِت"! دي الأسباب اللي خلتني أفكّر إنّي أتحجّب، هو بقى ماكنش شايف أي حاجة من دي، ماكنش شايف إنّي المفروض أتحجّب عشان أرضي ربنا، أو عشان خايف عليّا من أذيّة الناس مثلًا، لأ، ده كان خايف بس على شكله ومنظره، وإنّه إزّاي حد يبُص على مراته بنظرة كده ولا كده! فكّرت كتير في اللي حصل، وبعدين حسّيت إنّي بتمادى في تفكيري، عادي يعني يا "نور"، أي راجل في الدُنيا طبيعي يغير على البنت اللي بيحبّها وهتبقى مراته، بس في نفس الوقت كان في حاجة جُوّايا مش مصدّقة اللي بقوله، حاجة فضلت تزن عليّا وتسألني، هيَّ دي اسمها غيرة أصلًا؟ هل هو فعلًا بيغير عليّا ولا بيغير على صورته وشكله قُدّام الناس..؟

هل هو فعلًا بيغير عليّا؟ ولا.. ولا بيغير على نفسه؟

في النهاية قررت أتحجَب، وحاولت أقنع نفسي إنّي متحجّبتش عشانه، أنا اتحجُبت عشان نفسي وعشان أرضي ربنا، حاولت أشيل الموضوع من دماغي، بس معدّاش وقت طويل من ساعتها ولقيته بيرجّع الفكرة في دماغي مرة تانية، عارفين إيه اللي حصل؟ أيوة، جالي شُغل، اتقبلت في واحد من أحسن معاهد اللُغة الإنجليزية في مصر، الفرحة وقتها ماكَنتش سايعاني، حبّيت إنّه يبقى أول واحد يعرف الخبر، بما إنّه كان أكتر واحد بيشجّعني في دراستي، حكيت له وأنا في قمّة سعادتي، حسّيته مش مُتحمس، مش مُتحمس خالص، ابتدا يسأل أسئلة كتيرة عن طبيعة الشُغل، والناس اللي هتعامل معاهم، والطلبة اللي هدرّس لهم، وبعدين ابتدا يعترض على المكان نفسه ومواعيده، قال بعيد، وإن مواعيده مش مُتوافقة مع مواعيد شُغله وإنّه مش فاضي يوصّلني كُل يوم لحد هناك، قُلت له مش مُشكلة هركب مواصلات، اتعصّب ورفض الفكرة، بحجّة إنّه مينفعش أتبهدل في المواصلات وهو موجود! وبعدين استهزأ بفكرة المعهد نفسه، ومعجبتوش فكرة إنّي أدرّس لناس بالغين مُمكن يبقى فيهم رجّالة! وفضل يقنعني أشتغل مُدرسة في أي مدرسة ابتدائي،

ماكُنتش قادرة أصدّق اللي كان بيقوله وقتها! حاولت أفهّمه إنّي طبيعي أتعامل مع رجّالة في أي مكان هشتغل فيه، زيّ ما هو مثلًا بيتعامل مع بنات في شُغله، اتلخبط وابتدا يتوّه في الكلام، وبعدين انتقل بكلامه لفكرة تانية خالص، وهيَّ إنّي أشتغل ليه من أصله؟ ليه أنزل أشتغل وأتبهدل وأتعب نفسي وهو قادر يصرف على نفسه وعليّا؟ حاولت أشرح له إن الموضوع ملوش علاقة بالفلوس، وإنّي عايزة أشتغل لإنّي بحب مجال شُغلي وعايزة ببساطة أبقى حاجة فيه، ضحك بسُخرية، وبعدين قال لي الجُملة اللي اتعوّدت أسمعها في الأفلام والمُسلسلات كتير، بس متخيّلتش أبدًا إنّها مُمكن تتقال ليا في يوم من الأيام، مسك إيدي بحنيّة مُصطنعة وابتسم وقال لي، "يا نور يا حبيبتي، الكلام ده كُلّه كلام فاضي، الست في الآخر ملهاش إلا بيتها، وجوزها، وعيالها"..

صارعت الفكرة جُوّايا كتير جدًّا، ومكُنتش عارفة أوصل لقرار، حكيت لصحباتي بتوع الكُليّة، اللي كانوا ابتدوا يشتغلوا فعلًا، كُلّهم قالوا لي نفس الرد، "حد يلاقي دلع ويتدلعش؟"، قالوا لي إنّهم متبهدلين ومتمرمطين في شُغلهم، وإنّهم يتمنّوا نُص فُرصة يلاقوا فيها عريس جاهز زيّ "أيمن"، ويُقعدوا في البيت، حكيت لأمّي، وبما إنّها كانت ست بيت طول عُمرها ومشتغلتش خالص، فَــ كان طبيعي إنّها تأيّد كلامهم، كُنت محتارة جدًّا وماكُنتش عارفة أعمل إيه؟ أعارضهم كُلّهم وأصمم أشتغل؟ ولا أوافقهم وأسيب الشُغل؟ طب لو اشتغلت و"أيمن" زعل.. ما أنا برضو مقدرش على زعله! طب لو قررت مشتغلش، هعمل إيه؟ هعمل إيه في حياتي!

في النهاية، لقيتني باجي على نفسي عشان خاطره، لتاني مرة، وقررت إنّي مش هشتغل، رفضت عرض المعهد، وقعدت في البيت، طبعًا مش محتاجة أوصف لكم "أيمن" كان مبسوط بالقرار ده قد إيه، كان هيطير من الفرحة، ابتسمت بتكلّف وأنا شايفة سعادته وهيَّ بتنُط من عينيه، وأقنعت نفسي إنّي خدت القرار الصح، لقيتني بقول لنفسي "مش مُشكلة الشُغل، مش مُشكلة أي حاجة في الدُنيا، المُهم إنّي أشوف ابتسامته دي منوّرة وشّه كده على طول، حتّى لو.. حتّى لو على حساب سعادتي!"، هبلة مش كده؟ كان في حاجة جُوّايا بتقولي إنّي هبلة، بس أنا عملت نفسي مش سامعاها، وابتديت أبُص لحياتي الجديدة، اللي كانت فاضية تمامًا، حاولت أشغل نفسي وقررت أتعلم طبخ، وفعلًا حصل، كُنت كُل

يوم بجرّب أعمل أكلة جديدة، وماما كانت بتساعدني، صُحابي كمان ابتدوا يختفوا من حياتي.. شوية، شوية.. جرّبت أنزل معاهم مرة أو مرتين كده، وحسّيت إنِّي مش مبسوطة ولا مرتاحة، طبيعي، لإن كُل كلامهم كان عن شُغلهم، كُنت بحس إنِّي الوحيدة اللي مُختلفة فيهم، معنديش حكاوي أحكيها عن شُغلي، ومعنديش طموح أتكلم عنُه بفخر، معنديش غير الطبخ! الطبخ وبس، قررت في النهاية إنِّي مخرُجش معاهم تاني، بالذات بعد آخر مرة نزلت معاهم فيها لمَّا نسيت أقول لـ"أيمن" إنِّي نازلة، واتعصّب عليّا عشان معرّفتوش، مش محتاجة أقول لكم طبعًا إنّها كانت خناقة كبيرة، وإنُه اعتبرني بمشي من دماغي ومش مدّياله أي اعتبار، مع إن الموضوع ماكنش كده خالص، كُل اللي حصل إنِّي.. نسيت! جَلَّ من لا يسهو يا سيدي! بس هو مفهمش ده، فَــ قررت أريّح دماغي وأبعد عنهم خالص، بمرور الوقت اهتمامي بقى مُنحصر بين 3حاجات بس، "أيمن" وإزّاي أرضيه، الطبخ وإنّي أبقى شاطرة فيه، والأكل، قعدتي في البيت خلّتني بقيت باكُل بشراهة، ولمّا كانت بتحصل لي أي مُشكلة مع "أيمن" كُنت بطلّع همّي كُلَه في الأكل، لحد ما وزني زاد جدًا في كام شهر بس، ومبقتش بقدر حتّى أطلع السلّم، اهتمامي بشكلي كمان قَل، مبقتش باخُد بالي من لبسي أو الميك أب أو أي حاجة، اتغيّرت.

بقيت حد تاني خالص، نُسخة تانية من "نور"، نُسخة مبعرفهاش لمّا بشوفها في المرايا، المُشكلة إنِّ كُنت مُصمّمة أقنع نفسي إن مفيش مُشكلة في ده، برغم كُل الضغوطات اللي كُنت بحسّها بس كُنت بقول لنفسي عادي، عادي يا "نور"، خلاص هانت، كُلّها أسبوعين وهتكتبوا الكتاب، وبعدها بأسبوع هتعملوا الفرح، وحلم حياتكوا هيتحقق، صدقيني، كُل حاجة هتتغيّر، هترجعي تهتمّي بنفسِك تاني، وهتخسّي، وكُل حاجة هترجع زيّ الأول وأحسن كمان..

قُلت لنفسي الكلمتين دول وحاولت أصبّر نفسي بيهم، بس اللي ماكُنتش أعرفه بقى إن الدُنيا كانت مخبّيه ليا موقف تاني، موقف أسوأ من كُل اللي مرّيت بيه ده..!

....

من يومين بالظبط، كانت ذكرى مرور 8 شهور على قراية فاتحتنا، كُنت قايلة لـــ"أيمن" قبلها بفترة إنّي نفسي يودّيني الملاهي اليوم ده، وهو اتريق عليّا كالعادة وقال لي ملاهي إيه وبتاع إيه، الملاهي دي للأطفال، ماكُنتش أعرف إنه كان بيقول كده بس عشان يفاجئني يومها، خبّى عليّا طول الطريق لحد ما وصلنا وشُفت بوّابة الملاهي من بعيد، فرحت، فرحت جدًا، وقضّينا اليوم لعب وتنطيط وضحك وهزار، وبعد ما خلّصنا واتغدينا، خدني بعربيته وطلعنا على الكورنيش، ركن العربية ونزلنا نتمشّى واحنا مشبّكين إيدينا، وأكلنا حُمّص الشام وترمس، وفضلنا نرغي ونتكلم طول ما احنا ماشيين، كُنّا بنستعيد ذكرياتنا سوا من أيام ما كُنّا صُغيّرين، وحسّيت إنّي مبسوطة، بجد كُنت مبسوطة، واكتشفت وقتها إن أقل حاجة منّه بتفرّحني، يوم زيّ ده مثلًا كفيل إنّه يخليني مبسوطة لأسبوع قُدّام، فضلنا نتكلّم في تفاصيل كتب الكتاب اللي كان خلاص فاضل عليه أقل من أسبوعين، وابتدينا نتناقش في الناس اللي هنعزمهم وكده، لحد ما فجأة، سمعت صوت حد بينده عليّا، صوت ولد.."نور!"

بصّيت ورايا ودقّقت في ملامحه، وبعدين ابتسمت غصب عنّي وقُلت بصوت مليان بهجة:

-"حاتم؟ مش معقول!"

اتحرّكت ناحيته في نفس اللحظة اللي اتحرّك ناحيتي فيها، كان بقالي سنين مشوفتوش، وهو مقدرش يخبّي صدمته واستغرابه من شكلي اللي اتغيّر كتير عن زمان، بس في نفس الوقت كُنت مُتأكدة إنّه انبسط لمّا شافني، أنا كمان فرحت جدًا، مدّ إيده عشان يسلّم عليّا بتلقائية، فَـــ مدّيت إيدي من غير تفكير وسلّمت عليه وأنا بضحك من قلبي، في اللحظة اللي كان بيقول فيها:

-"أنا مش مصدّق والله إنّي شُفتِك! انتي واحشاني جدًا!"

-"وانت كمان واحشني يا حاتم والله! عامل إيه يا ابني؟"

في اللحظة دي، وقبل ما يرُد ويقول حاجة، لقيته بيبُص على يميني، على "أيمن"، بصّيت لـــ"أيمن" ولاحِظت إنّه متضّايق، فَـــ شِلت إيدي من إيد "حاتم" بسُرعة، ووجُّهت كلامي لــــ"حاتم" وقُلت له:

-"أقدم لك أيمن، ابن خالتي"

-"أهلًا إزيّك يا أيمن؟"

-"كويس"

رد عليه بشكل سخيف، "حاتم" خد باله واستغرب، روحت أنا موجّهة كلامي لـــ"أيمن" وقُلت له:

-"انت تعرف حاتم يا أيمن، حكيت لك عنه قبل كده كتير لمّا كُنّا صُغيرين فاكر؟"

-"معلش مش واخد بالي"

قال الجُملة الأخيرة بنفس الطريقة السخيفة، في اللحظة اللي "حاتم" قال فيها:

-"لا ولا يهمك يا معلم، أعذرني على رد فعلي بس أصلي بقالي سنين مشوفتش نور، ينفع الغيبة دي كُلّها يا نور؟ ولا بتسألي ولا أي حاجة خالص، هانت عليكي العِشرة؟"

-"أنا آسفة يا حاتم والله أنا عارفة إني مقصّرة، بس الدُنيا واخداني بس اليومين دول"

-"فاهمِك، أنا كمان الدُنيا ملخبطة معايا بقالها فترة، المُهم قولي لي، بتشتغلي فين دلوقتي؟"

رد عليه "أيمن" وقال:

-"لأ نور مبتشتغلش"

-"إيه ده بجد! ليه؟"

-"عشان مش حابّة تشتغل، عادي هيْ حُرّة!"

اتكسفت للحظة وبصّيت لـــ"أيمن"، وبعدين بصّيت لـــ"حاتم" وقُلت له:

-"سيبك من الكلام ده، قول لي، بتشوف حد من العيال؟"

-"هو انتي لسّه مشوفتيش الرسالة اللي بعتُها لِيكي؟"

-"رسالة إيه؟"

-"بعتُّ لِك رسالة على الفيسبوك قُلت لِك فيها إننا هنتجمع كُلّنا في البيت عندي بعد بُكره، مُعظم العيال أكّدوا وجايين، ياسمين وشروق وهشام ومريم، وكُنت مستنيكي انتي ويوسف تأكدوا عليّا"

-"بجد؟ أنا أسفة يا حاتم والله، بقالي فترة مش بفتح الفيسبوك فَـــ مشوفتهاش!"

-"خلاص أديكي عرفتي أهو، ملكيش حجّة بقى، هتيجي صح؟"

كُنت هرُد وهقول له إنّي جايَة طبعًا، بس سكت مرة واحدة، وبصّيت لـ"أيمن"، لقيته لسّه متضايق، وحسَيته هينفجر من الغضب، فجأة لقيته بيبُص لـ"حاتم" وبيقوله بنبرة كافح عشان يطلّعها هادية:

-"لو هتيجي هتبقى تكلم ياسمين أو شروق، معلش إحنا لازم نمشي عشان متأخرين، فُرصة سعيدة"

مد إيده لـــ"حاتم" عشان يسلّم عليه، قبل حتّى ما "حاتم" ينطق أو يقول حاجة، حسّيت إنّه حس بالإهانة، وكان حقّه طبعًا يحس بكده، في النهاية لقيته بيمد إيده وبيسلّم على "أيمن"، وبصّ لي وابتسم ابتسامة مُتكلّفة، قال بعدها:

-"مبسوط إنّي شُفتِك يا نور، وحقيقي بتمنى إنّك تيجي بعد بُكرة"

ابتسمت له أنا كمان وهزّيت دماغي، كُنت مكسوفة منّه جدًا فَــ مقدرتش أرُد عليه، وهو فهم كده، فَـــ هز دماغه هو كمان وبعدين سابنا ومشي، ومشينا أنا و"أيمن" في الإتجاه المُعاكس، ناحية العربية..

فضلنا ساكتين أنا وهو، محدّش فينا نطق أو قال حاجة، كُنت متضَايقة جدًا من رد فعله، حقيقي ماكُنتش فاهمة هو إزّاي كان قليل الذوق مع "حاتم" كده؟ إيه اللي حصل يعني لده كُلّه؟ فجأة، لقيته بيقول لي بصوت مليان غضب:

-"هو إيه اللي حصل من شوية ده؟"

بصَيت له للحظة، حاولت أسيطر على خوفي ونبضات قلبي، وردّيت عليه:

-"المفروض أنا اللي أسألك السؤال ده!"

-"نعم؟"

-"أيوة، أنا عايزة أفهم، إيه المُعاملة اللي انتَ عاملت بيها حاتم دي؟ انت أحرجته وأحرجتني جدًا!"

-"عايزاني أعامله إزّاي يعني وأنا شايفه بيقول لِك واحشاني وبيسلّم عليكي بحميمية كده؟ أخده بالحُضن!"

-"حميمية إيه يا أيمن! سلامنا ده كان رد فعل تلقائي جدًا منّه ومنّي، بقول لك بقالنا سنين متقابلناش، وبعدين ما انت عارف إنّي مش بسلّم على ولاد عشان خاطرك، بس الموقف المرة دي كان.."

-"لا ماهو واضح إنّك مبتسلّميش على ولاد فعلًا! بدليل إنّك عمّاله تبرري الموقف دلوقتي ولا كإنك غلطتي أصلًا!"

-"لإنّي فعلًا مغلطتش يا أيمن!"

صوتي ابتدا يعلا، وحسّيت إنّي بترعش من جُوّايا وأنا شايفاه بيعلّي صوته وبيقول لي:

-"مغلطتيش؟ يعني انتي بتستغفليني، بتاخديني على قد عقلي وبتقولي لي حاضر وطيّب وبتعملي اللي انتي عايزاه من ورايا، مش كده؟"

-"لأ مش كده يا أيمن، مش كده! أنا بعمل كُل حاجة انت بتقولي عليها سواء انت معايا ولا لأ، حتّى لو ماكُنتش مُقتنعة بيها برضو بعملها، بعملها عشان متزعلش منّي!"

قُلت الجُملة الأخيرة واستغربت نفسي جدًا بعد ما قُلتها، وابتديت أحس إنّي إزّاي وصّلت نفسي للمرحلة دي، المرحلة اللي تخلّيني أعمل حاجة مش مُقتنعة بيها، عشان.. عشان مزعّلوش!

كلامي محركش فيه حاجة، بالعكس، حسّيت إنه مصدُقنيش من أصله، رد عليّا بنفس العصبية وقال:

-"بتخافي على زعلي أوي مش كده؟ عشان كده كلّمتيه بالأسلوب الحنيّن ده ولا كأن في راجل معاكي! وبعدين أنا نفسي أفهم حاجة، إزّاي تقبلي عليّا إنّي أبقى واقف معاكي ويعزمِك في بيته؟ أنا مسكت نفسي من إنّي أكسّر دماغه بالعافية!"

-"بيته ده انت كُنت بتيجي كُل أسبوع تاخُدني منّه بعد الدرس من كام سنة بس! ووقتها عُمرك ما حسّستني إنّها حاجة غلط، لإنّها فعلًا مش حاجة غلط، الناس دي أنا اتربّيت معاهم وعشنا مع بعض أحلى سنين في عُمري، حاتم نفسه طول عُمره بيعتبرني زيّ أخته وياما وقف جمبي في مواقف كتير، أنا مش فاهمة انت مكبّر الموضوع كده ليه؟ ما شروق هتكون موجودة ومريم وياسمين، ومامته أكيد هتبقى موجودة برضو!"

-"وقتها كُنتوا عيال، وكان في سبب قوي يستدعي وجودكوا في بيته، وقتها كُنتوا زمايل في المدرسة، إنما دلوقتي انتوا خلاص، علاقتكوا اتقطعت، يعزمِك ليه بقى إن شاء الله؟ وبعدين أنا مليش دعوة بياسمين ولا بحد، هُمّا ملهومش رجّالة تلمّهم، إنما انتي وضعِك مُختلف يا هانم، انتي معاكِي راجل.. فاهمة يعني إيه راجل؟"

فضلت ببصّ له وأنا شايفة الغضب مسيطر على ملامحه وصوته وتصرّفاته، ماكُنتش مصدّقة إن الكلام ده بيطلع منه فعلًا، من الشخص اللي أنا حبّيته كُل السنين دي، ولأول مرة أحس إنّي.. إنّي مش خايفة منّه، بالعكس، حسّيت بالشجاعة، وحسّيت إنّي مش قادرة أقبل على نفسي الإهانات دي أكتر من كده، خدت نفس عميق، وطلّعته بالرّاحة، هدّيت نفسي للحظة، وبعدين قُلت له بصوت واحدة واثقة من نفسها:

-"ولو أنا قُلت إنّي هروح العزومة دي، لإنّي عايزة أروح ومش شايفة إنّي هبقى بعمل حاجة غلط، الراجل اللي معايا هيعمل إيه؟"

بصّ لي بكُل الغضب اللي في الدُنيا، عروق وشّه كانت بتُنبض من كُتر ما كان متعصّب، فجأة لقيته بيقول لي:

-"انتي بتتحدّيني يا نور؟"

-"أنا بسألك سؤال وعايزة أعرف إجابته، لو قُلت لك إنّي هروح يا أيمن، هتعمل إيه؟"

بص حواليه للحظة، ولاحظ إن الناس كانت واقفة في الشارع بتبُص علينا، فجأة لقيته بيمسكني من معصم إيدي بقوّة، لدرجة إنّي حسّيت إنّه هيكسره في إيده، وقال لي:

-"كفاية فضايح لحد كده، يالّا على البيت، وهناك ليكي أهل يترد عليهم"

مستنّاش يسمع هرُد أقول إيه، سحبني وراه ناحية العربية وكأنّه بيسحب بهيمة! بصّيت حواليّا، نظرات الناس دبحتني، مستحملتهاش، فجأة لقيتني بسحب إيدي بكُل قوّتي، وبقف مكاني، وبقول له بأعلى صوت عندي:

-"مش هتحرك من هنا يا أيمن غير لمّا تقولي هتعمل إيه؟"

بصّ لي وهو مش مصدّق رد فعلي، إيده ارتعشت، ورفعها للحظة، وبعدين نزّلها تاني، كان هيضربني! كان هيمد إيده عليّا، بس تمالك نفسه في آخر لحظة، وبعدين قال لي:

-"خلاص، روّحي لوحدِك بقى!"

قال الجُملة الأخيرة وسابني وراح ناحية العربية، ركب ودوّرها، واتحرك بيها بأقصى سُرعة، فجأة لقيت نفسي واقفة لوحدي في الشارع، وعيون الناس بتتابعني بفضول، الدموع ابتدت تنزل من عينيّا وأنا مش مستوعبة إنّه عمل كده بجد، إنّه سابني في الشارع لوحدي في مكان بعيد عن البيت كده، مكان معرفوش كويس! وهو عارف إنّي اتعوّدت أعتمد عليه في كُل حاجة، وهو اللي عوّدني على كده، فضلت أبُص حواليّا وأنا لسّه بعيّط، وبعدين مدّيت إيدي في شنطتي عشان أشوف الفلوس اللي معايا، اكتشفت إنّي مش معايا إلا عشرة جنيه بس، عارفين ليه؟ لإنّي متعوّدتش أخُد معايا فلوس وأنا نازلة معاه، هو اللي كان بيدفع كُل حاجة من الألف إلى الياء، يبقى أخُد فلوس معايا ليه؟ عُمري ما تخيّلت إنّي مُمكن أتحط في موقف زيّ ده في يوم من الأيام، أبقى واقفة في وسط الشارع في مكان بعيد عن بيتي ومش معايا حتّى حق التاكسي، وإنّي أتحط في الموقف ده بسبب.. بسبب "أيمن"! فضلت أعيّط في مكاني رُبع ساعة كاملة، وبعدين طلّعت موبايلي عشان أكلّم ماما وأحكي لها اللي حصل، بس لقيته فصل شحن عشان نسيت أشحنه قبل ما أنزل، أكيد فهمتوا إنّي مش بهتم أشحن الموبايل أو لأ لمّا بنزل مع "أيمن"، لإنّه حتّى لو موبايلي فصل فَـــ "أيمن" موجود، "أيمن" دايمًا موجود، ومُستحيل يسيبني في وقت أنا محتاجاه فيه، مُستحيل..!

ماكُنتش أعرف بقى إن حاجة مُستحيلة زي دي.. سهل تحصل كده..!

غمّضت عيني للحظة، وحاولت أتمالك نفسي، مسحت دموعي، وهديت شوية، وبعدين ابتديت أتحرك من مكاني، كان لازم أتصرف وأروّح، كان لازم أثبت لنفسي إنّي أقدر أتصرف لوحدي، سألت كذا حد عن الطريق، لحد ما واحد وصف لي الطريق لموقف ميكروباصات بتروح عند بيتي، اتمشّيت وتوهت كذا مرة، وسألت كذا حد تاني، لحد ما في الآخر وصلت، ركبت الميكروباص واتحرك بيّا لحد البيت، وفي الطريق كُنت بفكّر في كُل حاجة حصلت، وفي كُل التفاصيل اللي كُنت بتغافل عنها عشان خاطره، ولأول مرة من ساعة ما فتَحت عيني على حُبّي لـــ"أيمن"، أحس إنّي مش عايزة أكمل..!

وصلت البيت والعِشا بتأذّن، دخلت لقيت بابا وماما قاعدين في الصالة وهيموتوا من القلق، طمّنتهم إنّي كويسة، وقُلت لهم إن موبايلي فصل، قالوا لي إنّهم كلّموا "أيمن" ومردّش عليهم، ابتسمت بسُخرية، كُنت مُتوقّعة ده جدًا، أصل هيقول لهم إيه يعني؟ اتخانقت مع بنتكم وسيبتها في الشارع لوحدها ومشيت؟ لأ راجل أوي، قعدت معاهم، وحكيت لهم كُل اللي حصل، من غير ما أزوّد أو أنقّص حاجة، سمعوني لحد ما خلّصت كلامي، ومكانوش عارفين يُردّوا يقولوا إيه، حاولوا يغلّطوني في الأول بسبب الطريقة اللي اتكلّمت بيها معاه، قُلت لهم إن ده كان مُجرد رد فعل للي هو عمله، سألت بابا إذا كان شايف إنّي زوّدتها مثلًا في سلامي مع "حاتم" أو في رغبتي إنّي أروح العزومة بتاعة صُحابي، رد وقال لي لأ، بس في نفس الوقت كان بيحاول يقنعني إن دي طبيعة "أيمن"، وإنّه طبيعي يغير أو يتضايق، ردّيت وقُلت إن مش معنى إن دي طبيعته، إن دي حاجة طبيعية!

سكتوا هُمّا الاتنين ومردّوش، يمكن لإن ماكنش في حاجة ينفع تتقال وقتها، كانوا محتاجين يسمعوا منّه هو كمان، وفعلًا ده اللي حصل، تاني يوم بابا كلّمه، وحصل بينهم حوار طويل، مُلخّصه إن "أيمن" اعترف إنّه غلط لما سابني لوحدي ومشي، وإنّه ماكنش المفروض يعمل كده فعلًا، بس هو كان شايف إن ده رد فعل طبيعي منّه بعد الأسلوب اللي كلّمته بيه، وإن دي أقل حاجة كان مُمكن تتعمل، وإنّه كان هيعمل حاجة أسوأ من كده، طبعًا كان قصده إنّه كان ناوي يمد إيده عليّا، في النهاية كان ردّه إنّه مُستعد يعتذر على اللي عمله، بس ده في حالة واحدة بس، إن أنا كمان أعترف إنّي غلطت لمّا سلّمت على "حاتم" بالإيد، وإنّي غلطت لمّا علّيت صوتي عليه في الشارع، وإنّي غلطت لمّا قُلت له إنّي عايزة أروح أقابل صُحابي في بيت "حاتم"، لإنّه كراجل، عُمره ما هيسمح بحاجة زيّ دي مهما حصل، وإنّي لو حابّة الدُنيا بيننا ترجع زيّ الأول ونكمّل للشبكة وكتب الكتاب، يبقى مروحش العزومة دي، حتّى لو أنا مُقتنعة إنّها مش حاجة غلط، برضو مروحش، عشان أرضيه، بابا حاول يقنعني إنّي أعمل كده فعلًا عشان نمشّي الدُنيا، خُصوصًا إن كتب الكتاب كان خلاص فاضل عليه أقل من أسبوعين، وبابا وماما ابتدوا يعزموا الناس من دلوقتي، حاولت أفهّمه إنّي مش مرتاحة، مش مرتاحة ومش حاسّة إنّي عايزة أكمّل! بس هو ماكنش

قادر يفهمني، مكانش قادر يفهم أنا إزاي عايزة أهد الموضوع كُلّه من جذوره بسبب موقف واحد بس زيّ ده، طبعًا مكُنتش قادرة أفهّمه إن الموضوع أكبر من مُجرد موقف واحد، وإن في تراكمات كتير جدًا جُوّايا، مكُنتش قادرة أفهّمه ده لإنه غالبًا مكانش هيفهمه لا هو ولا ماما! هُمّا فاهمين إننا من زمان بنحب بعض، ومحجوزين لبعض، فَـــ متوقّعين إن أي مُشكلة هتحصل بيننا هيكون لها حل، بس أنا حقيقي كُنت خلاص، بجيب أخري! ردّيت على بابا وقُلت له إنّي هفكّر في الموضوع، وبعدين هبلّغه قراري، وفضلت سهرانة طول الليل بفكّر، ومش عارفة أعمل إيه، أعدّي اللي حصل زيّ كُل حاجة عدّيتها قبل كده، ولا معدّيهوش؟ طب لو عدّيته، هل في أمل إن "أيمن" يتغيّر؟ ولا هيفضل كده؟ طب لو معدّيتهوش، "أيمن" هيعمل إيه؟ هيسيبني؟ هيسيبني بعد كُل اللي بيننا؟ وبعد كُل اللي عملته علشانه! مش عارفة.. بجد مش عارفة!

فضلت مطبّقة لحد عصر تاني يوم، دماغي كانت هتنفجر، وبرضو مقدرتش أوصل لحاجة، بصّيت في الساعة، كانت قرّبت على 5، فجأة لقيتني بكلّم "ياسمين" وبشوف هيَّ فين، وبعدين قُمت غيّرت هدومي، وطلعت لبابا وماما في الصالة، وقُلت لهم:

-"أنا رايحة أشوف صُحابي، لإن ده أكتر وقت في الدُنيا أنا محتاجة أشوفهم فيه، لو أيمن اتصل وسأل إذا كُنت روحت ولا لأ، قولوا له راحِت، لإنّها كانت محتاجة تروح، ودلوقتي، القرار قراره هو، يا نكمّل.. يا منكمّلش!"

****

في اللحظة دي، كانت "نور" بتمسح دموعها بإيد، وبإيدها تانية كانت بتحرك الشوكة في الطبق بتاعها بطريقة عشوائية، ملامحها كانت جامدة جدًا رغم دموعها، وعيونها كانوا مركّزين في الطبق عشان متبُصّلناش في عيوننا، حطّيت إيدي على راسي وأنا بفتكر الموقف اللي قابلتها فيه من يومين، ورد فعل "أيمن" الغريب لمّا شافني وأنا بسلّم على "نور"، استغربته جدًا في وقتها، وفعلًا حسّيت بالإحراج، بس حاولت مفكّرش في اللي حصل أوي، دلوقتي بس فهمت هو عمل كده ليه؟ فجأة لقيتني بقول لـ"نور":

-"أنا آسف يا نور!"

ضحكت بتكلّف وبعدين قالت لي:

-"أهو أنا ماكُنتش عايزة أحكي عشان كُنت خايفة تقول كده، حاتم.. انتَ شايف إن تصرّفه وقتها كان مُبرر وعادي؟"

-"لأ، بس.."

-"مفيش بس، لو في حد المفروض يعتذر يبقى أنا.. أنا اللي أسفة على الموقف السخيف اللي حطّيتك فيه ده يا حاتم"

كُنت عايز أرُد عليها وأقول لُها إنّه مش ذنبها عشان تعتذر، بس "مريم" ردّت عليها بدالي وقالت لها:

-"أنا مُتأكدة إن حاتم مش زعلان منّك يا نور، انتي مش محتاجة تعتذري له، انتي محتاجة تعتذري لنفسِك على اللي عملتيه فيها، انتي ظلمتِ نفسك يا نور، ظلميتها وجيتي عليها بزيادة أوي!"

هزّيت راسي في موافقة منّي على كلام "مريم"، في اللحظة اللي عقّب فيها "يوسف" على الكلام وقال:

-"أنا كمان شايف كده، مفيش حد في الدُنيا يستاهل إننا نغيّر من نفسنا ومن طبيعتنا عشانه يا نور خاصة لو كُنّا حابّين طبيعتنا دي وقابلينها زيّ ماهيّ، وخاصّة كمان لو طبيعتنا دي كانت حلوة وكُل الناس شايفينها حلوة!"

-"أنا عارفة، بس للأسف معرفتش ده إلا متأخر، أنا عارفة إنّي كُنت غلطانة لمّا جيت على نفسي وعدّيت حاجات كتير قبل كده كان المفروض أقف عندها، بس أنا كُنت بعدّي وبتجاوز علشان.. علشان.."

-"علشان بتحبّيه."

قالتها "ياسمين" باستنكار، "نور" سكتت لحظة وبعدين قالت:

-"أيوة، عشان بحبّه، وبرغم كُل اللي حصل منّه ده لسّه بحبّه، إحنا مبنقدرش نتحكم في مشاعرنا يا جماعة!"

-"بس بنقدر نتحكم في قراراتنا يا نور!"

قالتها "شروق" بصوت حاد شوية، وبعدين هدّت من حدّة صوتها وكمّلت وقالت:

-"نور يا حبيبتي، حاولي تفكري للحظة في حياتِك مع أيمن لو متغيّرش! إذا كان كُل ده حصل منّه وانتوا لسّه على البر، أُمّال لمّا تبقي مراته بقى هيعمل إيه؟! ده مش بعيد يحبسِك في البيت ويُربطِك بسلاسل حديد ويعّذِبك بحجّة إنّه بيغير عليكي!"

فجأة لقيت "هشام" بيبُص لـــ"شروق" بغضب، وكان عايز يقول حاجة، بس مسك نفسه ومتكلّمش، في اللحظة اللي "نور" ردّت فيها وقالت:

-"معاكي حق يا شروق، بس.. بس.."

ردّيت عليها وقُلت لها بصوت هادي:

-"بس إيه يا نور؟ قولي عادي، احنا هنتقبّل أي حاجة هتقوليها، متخافيش"

بصّت لي وابتسمِت، وبعدين قالت:

-"بس حاسّة إنّي مش هقدر أسيبه وأتخلّى عنّه بعد كُل التعب اللي تعبه عشان نقدر نتجوّز! حاسّة.. حاسّة إنّي هكسره."

-"متخافيش.. هو اللي هيسيبك مش انتي اللي هتسيبيه!"

بصّينا كُلّنا لـ"هشام"، اللي قال الجُملة الأخيرة بطريقة مُقتضبة، "نور" بصّت له بعدم فهم، في اللحظة اللي كمّل فيها كلامه وقال:

-"بُصّي يا نور، أنا شايف إن أيمن مش هيستحمل فكرة إنّك جيتي النهاردة غصب عنّه، مش علشان بيغير عليكي وخايف عليكي مننا وكده، لأ، هو مش هيستحملها لإنّك كسّرتي

كلامه ومنفّذتيش أوامره، اللي أيمن عمله معاكي ده يا نور مسموش غيرة، ده مُمكن يبقى اسمه تحكّم، سيطرة، رغبة في التسلّط، لكن الغيرة، الغيرة بريئة تمامًا من كُل الكلام ده! الغيرة حُب، الغيرة خوف على اللي بنحبُهم، وإحساسنا إننا.."

فجأة، "هشام" خد باله إننا كُلّنا مركّزين معاه ومُنتبهين جدًا لكلامه، فَـ اتكسف وحس إنّه ماكنش المفروض يتكلم، راح قايم من مكانه وقال:

-"أنا.. أنا الحمد لله شبعت، هقوم أغسل إيدي"

اتحرّك ناحية الحمّام قبل ما أي حد فينا يعلّق أو يقول حاجة، بصّينا لبعض كُلّنا واحنا بنحاول نفهم رد فعله ده، وبعدين لقيت "نور" بتقول:

-"أنا آسفة يا جماعة، نكّدت عليكم وانتوا بتاكلوا"

-"متقوليش كده يا نور، احنا مبسوطين إنّك حكيتي لينا والله"

-"ربنا يخليك يا مُصطفى، ويخليكوا كُلّكوا ليّا، انتوا مش عارفين أنا ارتاحت قد إيه لمّا اتكلّمت معاكم"

رد عليها "يوسف" وقال:

-"دي حاجة تسعدنا جدًا يا نور، بس اللي يسعدنا أكتر إنّك تفضلي مرتاحة على طول، مش دلوقتي بس، وده مش هيحصل إلا لو خدّتي قرار في الموضوع ده"

قال الجُملة الأخيرة في اللحظة اللي خرج "هشام" فيها من الحمّام، واتحرّك ناحية الصالون من غير ما يبُصّ لنا أو يقول حاجة، كان باين عليه إنّه مهموم جدًا، ومش قادرين نفهم ليه، ابتدينا نقوم واحد ورا التاني، شلنا الأطباق ودخلنا بيها المطبخ، وغسلنا إيدينا، وحطّينا بواقي الأكل في التلّاجة، وبعدين طلّعت البرّاد الكبير عشان أعملنا شاي، في اللحظة اللي لقيت فيها "مريم" بتسحب البرّاد من إيدي، وبتوجّه كلامها ليّا أنا و"يوسف" و"مُصطفى وبتقول:

-"خلونا إحنا نعمل الشاي، واطلعوا انتوا اقعدوا مع هشام برّه، شكله كده عنده حكاية كبيرة، اقنعوه إنّه يتكلم لحد ما نيجي"

بصّيت ليها وبعدين بصّيت لـ"ياسمين" و"شروق" و"نور"، لقيتهم موافقينها، هزّيت راسي وسبت لـ"مريم" البرّاد، وطلعنا أنا "ويوسف" و"مُصطفى" لـ"هشام"، كان قاعد على

الكُرسي وباصص للفراغ، وأول ما حس بينا اعتدل في جلسته، قعدت جمبه وخبَطت بالراحة على رجله وقُلت له:

-"إيه يا كابتن مصر، إيه اللي حصل؟"

-"محصلش حاجة يا جدعان، مفيش حاجة"

رد "مُصطفى" بهزار:

-"انت هتتكلم ولا أقوم لك؟ لاا.. اوعى تفتكر إن الفورمة اللي انت عاملها دي هتحوشك عنّي، لا يا اخويا، ده أنا لو قومت لك هقطَعك"

ابتسم "هشام" بتكلّف وبص لـ"مُصطفى"، وبعدين قال بهزار برضو:

-"لا يا راجل؟ طب ورّيني كده؟"

-"ها؟ دلوقتي يعني؟"

ضحك غصب عنّه وضحكنا معاه، وبعدين "يوسف" بصّ له وقال له:

-"هشام، أنا برضو كُنت حاسس إنّي مش عايز أتكلم في الأول، كُنت خايف لا تفهموني غلط أو تهاجموني، وأنا مش حِمل أي كلمة من حد، بس صدّقني أنا لو ماكُنتش اتكلّمت كُنت هخسر كتير أوي"

-"أنا فاهم، بس.."

ردّيت عليه:

-"مفيش بس، انت عايز تتكلّم، واحنا عايزين نسمعك، يبقى إيه بقى؟ ها.."

ابتسمت وأنا بقول آخر كلمة فَـ ابتسم معايا، وبعدين هز دماغه، في اللحظة اللي البنات طلعوا فيها من المطبخ وهُمّا شايلين صواني الشاي وبيقولوا في نفس واحد:

-"الشاي جاهز"

-"حلو أوي، ياللا تعالوا أقعدوا بسُرعة، هشام هيحكي لنا"

وزّعوا علينا كوبايات الشاي، وبعدين قعدوا كُلّهم في أماكنهم، وبصّوا لـ"هشام" باهتمام، في اللحظة اللي ابتدا يحكي لنا فيها حكايته..

****


٨
الحكاية السادسة
هشام

-"لو سمحت، هو حضرتك كابتن هشام؟"
-"اجري على المشّاية نُص ساعة وبعدها بدِّلي على العجلة تلت ساعة وتعالي"
-"نعم؟"

كُنت باصص في الموبايل لمّا ردّيت عليها، ماهتمتش أبُص لها أصلًا من كُتر ما اتعوّدت على الإجابة على السؤال ده، أي حد بيسألني عن اسمي بيكون لسّه مُشترك في الجيم جديد، وبيكون مش عارف يعمل إيه، فَـ بيجيلي أنا بقى، عشان أقول له أو أقول لها نفس الجُملة كُل مرة، فَـ حبّيت أقصّر الكلام المرة دي، وردّيت عليها قبل ما تكمّل سؤالها، لحد ما قالت لي "نعم؟!" باستنكار، ساعتها بس قفلت موبايلي وبصّيت لها وملامح اللامُبالاة مرسومة على وشّي، وفجأة، حسّيت إنّي بتخطف! قلبي اتقبض مرّة واحدة، قبضة قوية وحلوة في نفس الوقت، وملامح اللامُبالاة ابتدت تتحوّل لملامح انبهار مقدرتش أتحكم فيها، معرفش إيه اللي حصَل لي وقتها، هي مش أجمل بنت في الدُنيا يعني، بس.. بس ملامحها ريّحتني، شدّتني بشكل أنا نفسي مكُنتش مصدّقه، وكإنّي مشوفتش بنات حلوة قبلها، ولا هيفرق معايا أي جمال بعدها، كُل ده حسّيته في اللحظة دي، وهيَّ رافعة حاجبها اليمين لفوق، وبتبُصّ لي بعينيها العسلي بدهشة، فضلت مركّز في تفاصيلها أكتر، شفايفها الرُفيّعة ومناخيرها الصُغيّرة، وشعرها اللي ربطته ديل حُصان، ورقبتها الطويلة اللي تشبه لرقبة نفرتيتي، كانت بتُملك جمال مصري أصيل، بريء، وقوي، وجذّاب، ركّزت على لبسها في اللحظة اللي اكتشفت فيها إنّها لابسة بلوزة خروج وبنطلون جينز، مش لبس تمرين يعني، فَـ اتكسفت من ردّي عليها اللي ماكنش في محلّه المرة دي، حاولت أسيْطر على ارتباكي وقُلت لها بصوت واطي:

-"أنا.. أنا آسف معلش، أصلي افتكرت إنّك.."

رفعِت حاجبها التاني وبصّت لي باستغراب وهيَّ بتكافح عشان متبتسمش، حسّيت ساعتها إن شكلي بقى وحش أوي، تمالكت نفسي بسُرعة ونفخت جسمي كده، وتخّنت صوتي وقُلت لها:

-"أيوة أنا كابتن هشام، تحت أمرِك، أي خدمة؟"
-"أنا كُنت عايزة أشترك في الجيم هنا وكُنت حابّة أتفرج على المكان وكده، فَــ الشاب اللي واقف في الريسيبشن قال لي أجيلك يعني"

-"أيوة بس ده من اختصاص كابتن عادل مش من اختصاصي أنا"

-"يعني أروح أدوَّر على كابتن عادل ده ولا أعمل إيه مش فاهمة؟"

-"أيوة، لأ، بُصّي.. ثواني وهرجع لِك تمام؟"

بصَّت لي باستغراب تاني والمرة دي مقدرتش تمسك نفسها، فَـ ضحكِت على ارتباكي، قلبي دق على إيقاع ضحكتها للمرة التانية، فَـ ابتسمت لها ببلاهة، في اللحظة اللي هزّت فيها راسها، سبتها واتحرّكت بسُرعة ناحية الريسيبشن، ووجُهت كلامي للشاب اللي قاعد فيه وقُلت له:

-"هو كابتن عادل مشي ولا إيه؟"

-"لأ.. مامشيش يا كوتش، بس عايزينوا في الإدارة"

-"آه، طب قول لي، أعمل إيه مع البنت دي؟ أفرجها على المكان إزّاي يعني؟"

-"مفيش، هتفرّجها بس على الأجهزة والمُعدّات والصالات، توريها مكان الجاكوزي والساونا، وكده يعني"

-"آه"

-"لو مش حابب مُمكن أفرجها أنا عادي"

-"لا لا.. خلاص هتصرف"

-"يا كوتش والله عادي تعالى مكاني بس وأنا هفرجها"

-"يا عم والله ما حد مفرجها غيري"

طلعت منّي بصوت عالي شوية، لدرجة إن الناس اللي كانوا بيتمرنوا وقّفوا تمرين وبصّوا لي فجأة، اتكسفت جدًا، ودّيت وشي الناحية التانية وعملت نفسي وكإنّي مبكلّموش، وقُلت له من تحت ضرسي:

-"خدت بالها ها؟"

-"بصراحة آه"

-"طب إيه؟ بتبص لنا ولا بتعمل إيه؟"

-"بتبص لك وبتضحك وحاطّة إيدها على بُقّها عشان تداري ضحكتها"

-"الله يخربيتك، أعمل إيه أنا دلوقتي؟ رُد عليّا أعمل إيه؟"

الولد سكت للحظة كده، وبعدين ابتسم وقال لي:

-"أفرجها أنا؟"

-"ولاااا"

-"بهزر معاك يا كوتش والله، متقلقش، موقف وهيعدّي، يلّا بقى روح الحقها قبل ما تزهق وتمشي"

بصّيت له للحظة وبعدين هزّيت راسي، خدت نفس عميق وطلّعته، حاولت أسيطر على نبضات قلبي، وبعدين اتحركت ناحيتها، ابتسمت لها ابتسامة واحد واثق من نفسه وقُلت لها:

-"اتفضلي معايا.."

-"خلاص؟"

-"خلاص إيه!"

-"هتفرجني انت يعني؟"

ضحكِت وهيّ بتقولها، فَـ مقدرتش أمسك نفسي وضحكت معاها، وبعدين هزّيت راسي، فَـ اتحرّكِت معايا فعلًا، وريتها الصالة اللي فيها المشّايات والعجل، وبعدين ورّيتها الصالة اللي فيها الأجهزة التقيلة، بعدها فرّجتها على صالة الأوزان، وأخيرًا ورّيتها مكان الجاكوزي والساونا، في النهاية شكرتني، وسلّمت عليّا عند باب الجيم، ومشيت قبل ما أعرف حتّى اسمها إيه، مشيت من غير ما تقول إذا كانت هتيجي تاني ولا لأ، حسّيت إحساس غريب يمكن أول مرّة أحسّه، إحساس إن كان معايا حاجة حلوة أوي، أوي، وضاعت منّي فجأة! وماكُنتش عارف هل هلاقيها تاني ولا لأ، زعلت، مقدرش إنّكر إنّي زعلت جدًا، ولومت نفسي إنّي محاولتش أعرف منها أي حاجة، اسمها، رقمها، أي حاجة، وفضلت أسبوع عايش في توتر وعذاب دائم، بصحى كُل يوم وأروح الشُغل، وأفضل قاعد مستنّي اليوم كُلّه، على أمل إنّها هتقرر تيجي تاني، بس اليوم كان بيخلص ومكانتش بتيجي برضو، كُنت بحس بخيبة أمل كبيرة كُل يوم بليل، وبرجع أصحّي الأمل جُوّايا تاني يوم الصُبح، معرفش ليه، بس كُنت حاسس إنّها هتيجي تاني أو إنّي هشوفها تاني، كُنت حاسس إن اللي جُوّايا ده حقيقي أوي، ويستاهل إنّي أشوفها مرة تانية علشانه، وفعلًا، بعد أسبوع من وقتها، لقيتها

داخلة من باب الجيم في نفس اللحظة اللي كُنت بفتحه فيها عشان أمشي بعد ما خلّصت شُغلي، طبعًا عارفين حسّيت بإيه في لحظتها، كُنت فرحان! فرحان جدًا، ومقدرتش أداري سعادتي اللي بانت جدًا على وشّي، هيَّ كمان اتفاجئِت لمّا شافتني، وابتسمِت ابتسامة جميلة جدًا وقالت لي:

-"إيه ده! إزيّك يا كابتن هشام عامل إيه؟"

-"الحمد لله، إزيّك انتي يا.."

-"فرح، اسمي فرح"

معقول تكون صُدفة إن اسمها يعبّر عن حالتي وقتها؟ مش عارف! بس الأكيد إنّي عُمري في حياتي ما كُنت فرحان قد ما فرحت في اللحظة دي، اللحظة اللي شُفت فيها "فرح"، ابتسمت من قلبي وقُلت لها:

-"اسم على مُسمّى، قولي لي انتي.. انتي بتعملي إيه هنا؟"

-"مفيش، قررت أشترك في الجيم بتاعكوا، فَـ قُلت أعدّي بعد الكُليّة وأدفع الفلوس، انت ماشي ولا إيه؟"

-"هو أنا كُنت ماشي، بس خلّيني أخلّص معاكِ إجراءات الإشتراك وبعدين نمشي مع بعض"

-"مش عايزة أتعبك"

-"مفيش تعب خالص والله، اتفضلي"

شاورت ليها بإيدي عشان تُدخل، فَــ دخلِت وهيَّ لسّه مُبتسمة، اتحركنا ناحية الريسبشن في اللحظة اللي لقيت فيها الولد اللي قاعد بيبُصّ لنا وهو متفاجئ، ضحك وكان هيقول حاجة بس نظرتي منعته، كُنت مبرّق له جامد وكإنّي بحذّره إنّه يقول أي حاجة يكسفني بيها قُدّامها، فَــ سكت وكتم ضحكته، وبعدين ابتدا يعمل إجراءات الإشتراك لـ"فرح"، كُنت واقف جنبها وهيّ بتملى الأبلكيشن، وبعد ما خلّصنا اتحرّكنا ناحية الباب مرة تانية، وخرجنا برّه الجيم، عرضت عليها إنّي أوصّلها، فضلت تقول لي ملوش لزوم وكده، بس أنا أصرّيت لإن الوقت كان متأخر شوية، في النهاية وافقِت، وفي الطريق ابتدينا نتعرف على بعض أكتر، عرفت إنّها في سنة تالتة في كُليّة إدارة أعمال، وحكت لي عن دراستها، واكتشفت إنّها بنت طموحة جدًا، وإنّها بتشترك في أنشطة طُلابية كتير في الجامعة،

وبتحضر مؤتمرات وبتشارك في مُعسكرات تبع مجالها، حبّيت ده جدًا، وحبّيت الشغف اللي كانت بتتكلم بيه عن أحلامها وأهدافها، كان نفسي أتكلم معاها وأسمعها أكتر بس كُنّا خلاص، وصلنا بيتها، فَــ اتفقنا نكمّل كلامنا لمّا تيجي الجيم، وفعلًا ده حصل، لمّا كانت بتيجي كُنت بهتم بيها اهتمام زيادة شوية عن بقية الناس، كُنت بشجّعها عشان تكمّل النُص ساعة كاملة على المشّاية، وكُنت بعلّمها إزّاي ترفع الأوزان صح عشان العضلة توصلها أكبر قدر من الاستفادة، وكُنّا بنتكلم وبنرغي واحنا بنتمرن برضو، وبعد كُل تمرينة كانت بتروّح معايا، فضلنا على الحال ده لمُدّة شهر، اكتشفنا فيه بعض أكتر وأكتر، والراحة بيننا فضلت تزيد، لحد ما لقيت نفسي مش قادر أستحمل أكتر من كده، وقُلت لها، قُلت لها إنّي مُعجب بيها! فجأة كده، من غير أي ترتيب أو مُقدّمات، اتفاجئِت جدًا، وحسستني برد فعلها إنّي اتسرّعت، فكّرت إن معاها حق، ما يمكن تكون هيَّ مشافتنيش زيّ ما أنا شُفتها، لومت نفسي إنّي قُلت كده، وإنّي سبت مشاعري هيَّ اللي تقودني بالشكل ده، حسّيت إنّي مُرتبك ومتلخبط جدًا، وقررت إنّي أعتذر لها على اللي قُلته، في اللحظة اللي لقيتها بتقول لي فيها:

-"هشام.."

-"أيوة يا فرح.."

ابتسمِت، وبصّت في الأرض وهيَّ مكسوفة، وبعدين قالت لي من غير ما تبُص في عينيا:

-"أنا.. أنا مجتش الجيم في المرة التانية عشان أشترك فيه"

بصّيت لها بعدم فهم، وقُلت لها:

-"أمّال جيتي ليه؟"

ضحكِت غصب عنها ودارت وشّها بإيديها، فَــ ابتديت أفهم! بصّيت لها وأنا مش مصدّق، اتنهّدت وبعدين قُلت لها:

-"قصدِك.. قصدِك إنّك جيتي علشان..؟"

حاولت تسيطر على ضحكتها، وبعدين رفعت عينيها وبصّت لي، وقالت لي بنظرة كُلّها حُب:

-"علشان أشوفك يا حُمار"

سكتت لحظة وهيّ بتراقب انفعالات وشّي، وبعدين قالت:

-"أنا كمان مُعجبة بيك يا هشام، ومُمكن أكون بحبّك كمان!"

....

"بحبّك"، كلمة من أربع حروف بس، قادرة تهز كيانك وتحوّلك لإنسان تاني، إنسان مُقبل على الحياة وشايف كُل حاجة بنظرة مُختلفة، حسّيت إن حياتي أخيرًا بقى ليها معنى، يمكن لإنّي طول عُمري عايش لنفسي وبس، بذاكر لنفسي وبنجح لنفسي، وأي إنجاز بحققه بيكون لنفسي، مجرّبتش قبل كده الإحساس ده، إحساس لمّا حد بحبّه يشاركني إنجازي، عارفين.. الموضوع بيكون مُختلف، بيكون رائع، قرأت زمان مقولة حلوة أوي كانت بتقول، "لو عايز توصل أسرع، امشي لوحدك، لكن لو نفسك تمشي مسافة أطول، وعايز توصل لأبعد مكان تقدر توصل له، امشي مع حد بيحبّك، ومؤمن بيك"، كُنت دايمًا بستخف بالمقولة دي، ماكُنتش فاهم معناها، لإنّي ببساطة مجربتهاش، لحد.. لحد ما عرفت "فرح"! ولقيت معاها كُل المعاني اللي كُنت مُفتقدها في حياتي، ومكُنتش أعرف إنّي محتاجها أوي كده، وإنّها هتفرق معايا بالشكل ده، "فرح" كانت فرحتي، الأولى والأخيرة، علاقتنا استمرت سنتين كاملين، واتفقنا إننا منقولش لحد خالص على اللي بيننا، حتّى أقرب أصدقائنا، يعني، من باب داري على شمعتك تقيد، وحقيقي الموضوع كان أجمل وألطف بمراحل، في خلال السنتين دول "فرح" وقفت جمبي وشجّعتني عشان أبقى أحسن وأحسن في شُغلي، أقنعتني أخُد كورس في التمارين الرياضية والتغذية، وفعلًا بدأت فيه، مع إنّي ماكُنتش مُقتنع في الأول إنّي أرجع أدرس وأذاكر تاني بعد الكُليّة، بس في النهاية سمعت كلامها، وحاولت أوفّق بين الدراسة والشُغل، كانت في الفترة دي بتاخُد بالها منّي كويس جدًا، وبتنظم لي جداول مُذاكرة مُحترمة عشان الدروس متتراكمش عليًا، لحد ما خلّصت الكورس وجبت درجة عالية فيه، بعدها، اكتشفت إن كان معاها حق من الأول، وشهادة الكورس ده خلّتني أقدر أقدّم في أحسن جيم في مصر، واتقبلت! بمُرتب تلات أضعاف مُرتبي وقتها، فرحتها بيّا فاقت كُل الحدود، كانت طايرة بيّا حقيقي، وأنا كمان مقصّرتش خالص من ناحيتي، بالعكس، كُنت أنا أول واحد بتجري عليه في الأوقات اللي كانت بتحس فيها بالضعف أوالفشل، زيّ امتحان صعب عندها في الكُليّة، مشاكل في مشروع التخرّج، أو مُشكلة في نشاط طُلّابي من اللي كانت مُشتركة فيهم، "فرح" كانت بنت مليانة طاقة وحيوية، مُشتركة في خمس لجان مُختلفة في خمس أنشطة طُلّابية، وده طبعًا كان بيمثّل ضغط كبير عليها، كانت بتبان جامدة وقوية قُدّام أصحابها وزمايلها في الأنشطة دي،

وتيجي في آخر اليوم تكلمني، وتشتكي لي، أوقات كانت بتعيّط لمّا كانت بتحس إنّها خلاص مش قادرة تشيل المسؤولية أكتر من كده، وهنا كان بييجي دوري، كُنت بسمعها بهدوء ومكُنتش بقاطعها خالص، لحد ما تطلّع كُل الكلام اللي جُوّاها، وبعدها أبدأ أهزر معاها، وأحاول أضحكها، وبمُجرد ما كُنت بلمح ابتسامتها كُنت ببدأ أرفع من روحها المعنوية، وأشجعها عشان تكمّل، وفي نهاية كلامي كُنت دايمًا بفكرها بالبداية، وليه قررت إنها تشترك في كُل الأنشطة دي من الأول، كُنت دايمًا بفكرها إنّها عملت كده عشان إنجازاتها في الأنشطة دي تكون لها إضافة قوية بعد التخرج في الـ C.V بتاعها، كانت في كُل مرة بتسمعني وهيّ بصّه لي باهتمام، وفي النهاية كانت بتهز راسها، وتبتسم ابتسامتها الجميلة، فَـ كُنت وقتها بعرف إنها بقت أحسن، عُمري ما أنسى أبدًا لمّا قالت لي في مرة، "هشام، أنا بحمد ربنا على وجودك في حياتي كُل يوم قبل ما أنام، ربنا ما يحرمني منّك!"..

طبعًا انتوا أكيد مش مصدّقيني، زمانكم بتقولوا بينكم وبين نفسكوا "معقول؟ هشام اللي بيمشي يدبّش في خلق الله بكلامه، بيعرف يقول كلام حلو!"، عارف إنُها حاجة صعب تتصدّق، بس مفيش حاجة كبيرة على ربنا، سُبحانه مُغيّر الأحوال، خلّاها تغيّرني، كُنت ببقى معاها شخص تاني خالص غير اللي انتوا عرفتوه واتعودتوا عليه، كُنت بحس إنّي بتغيّر للأحسن وأنا ويّاها، على كُل المستويات، وابتديت أفكّر إنّي أخُد خطوة رسمي، وأقول لها إنّي عايز أكلّم أهلها، استنّيت لحد ما اتخرّجِت من الكُليّة، وأنهِت تواجدها في كُل الأنشطة الطُلابية اللي كانت فيها، وكان كُل اللي فاضل إنّها تلاقي شُغل مُناسب، بعد تعبها السنين اللي فاتت دي كُلّها، كان ده بس اللي فاضل، عشان أقدر أتقدم لها، ونبدأ حياتنا مع بعض، بشكل مُختلف..

لحد ما في يوم لقيتها بتكلمني وأنا في الشُغل، وبتقولي إنّها واقفة برّة وعايزة تشوفني ضروري، صوتها كان مليان بهجة، وكُنت حاسس إن عندها خبر حلو عايزة تقوله ليا، نزلت بسُرعة وقابلتها على مدخل الجيم، فضلت بصّه ليا وهيّ بتضحك لحد ما وصلت لها، ومقدرِتش تستنّى حتّى لمّا تسلّم عليّا، لقيتها بتقول لي:

-"فاكر الشُغلانة اللي قُلت لك إنّي قدّمت عليها من أسبوع وكُنت مستنيّة ردّهم؟"

-"طبعًا فاكر، استنّي، متقوليش إنّك..."

-"قبلوا الـ C.V بتاعي وهعمل الانترفيو النهاردة"

قالت الجُملة الأخيرة وهيّ بتتنطط في مكانها، الفرحة ماكنتش سايعاها، ولا سايعاني، ضحكت غصب عنّي وحطّيت إيديّا الاتنين على وشّي من كُتر ما كُنت متفاجئ، كان هاين عليّا أخُدها في حُضني بس مقدرتش طبعًا، الكلام طلع منّي مش مترتب ومش مفهوم، بس في النهاية قدرت أبارك لها، كان باين عليّا إنّي مبسوط جدًا، زيّها وأكتر كمان، حاولت أتمالك نفسي وقُلت لها:

-"قولي لي طيب الانترفيو فين وإمتى وكده؟"

-"النهاردة، كمان ساعة بالظبط في مدينة نصر"

-"طب تمام، استنيني خمس دقايق، هاخُد بقية اليوم أجازة عشان أجي معاكي"

سيبتها من غير ما أسمع ردّها وكُنت لسّه هتحرك ناحية الجيم، في اللحظة اللي لقيتها بتقول لي فيها:

-"لا لأ مش مستاهلة، أنا جيت بس عشان أقول لك وأفرّحك، وكده أنا رايحة مع وليد"

وقفت مكاني فجأة، استغربت ردُها، فَــ لفّيت وواجهتها، وقُلت لها والابتسامة لسّه على وشّي:

-"وليد مين؟"

-"وليد يا ابني، صاحبي من الكُليّة ما انت عارفه"

-"آه، طب هتروحي معاه ليه ما أنا موجود يا بنتي"

-"عشان وليد كان مقدّم معايا في الشُغل واتقبل هو كمان، والانترفيو بتاعه في نفس ميعاد الانترفيو بتاعي فَــ طبيعي نروح مع بعض، خلّيك انت في شُغلك متعطّلش نفسك، وأنا هطمّنك لمّا أخلّص وهقول لك اتقبلت ولا لاء"

بصّيت لها بعدم فهم، والابتسامة اختفت من على وشّي، ردّيت وقُلت:

-"شُغلي؟ شُغل إيه يا فرح.. أنا عايز أجي معاكي!"

-"يا هشام ما أنا قُلت لك مش مستاهلة خلاص"

ابتدا صوتي يعلا:

-"ما أنا مش فاهم يعني إيه مش مستاهلة؟ هو مين اللي بيحدد إذا كانت مستاهلة ولا لأ انتي؟"

-"في إيه يا هشام؟ ده جزائي يعني عشان مش عايزة حاجة تأثر على شُغلك؟"

-"هو أنا اشتكيت لك يا فرح؟ أنا بقول لِك إنّي عايز أجي معاكِي، عايز أشارِكِك تفاصيل يوم مُهم زيّ ده، وأبقى أول واحد تشوفيه وانتي خارجة من الانترفيو وتبلّغيه بإنّك اتقبلتي إن شاء الله"

-"ما أنا قُلت لك هكلّمك لمّا.."

-"وليه تكلّميني لمّا مُمكن أكون موجود!"

-"عشان وليد.."

-"برضو هتقولي وليد! وليد مين ده اللي بيجي معاكِي بدالي عايز أفهم!"

-"خلاص يا هشام.. المرّة الجايّة إن شاء الله هبقى.."

-"المرة الجايّة!"

فجأة لقيتها بتنفجر فيّا وبتقول لي:

-"أيوة يا هشام المرّة الجايّة، لإنّي خلاص اتفقت معاه وهو نزل وزمانه مستنيني في الشارع كمان! المفروض أقول له إيه بقى أنا دلوقتي؟ معلش مش هقدر أجي معاك عشان هشام ميزعلش؟ ولمّا يسألني هشام مين أقوله إيه؟ محدّش يعرف إن انت موجود في حياتي أصلًا يا هشام!"

الدم غلي في عروقي، كُنت حقيقي غضبان ومش عارف أفكّر كويس، فجأة لقيتني بقول لها بصوت مليان غضب:

-"ماشي يا فرح، اتفضلي روحي معاه!"

-"هشام انت بتعمل إيه؟ انت جاي تتخانق معايا دلوقتي؟!"

قالتها والدموع بتنزل من عينيها، معرفتش أرُد، فجأة لقيتها بتديني ضهرها وبتسيبني وبتمشي، كُنت عايز أجري وراها بس مقدرتش، الغضب كان مسيطر عليّا في اللحظة دي، فضلت واقف في مكاني لأكتر من خمس دقايق، مشيت بعدها من غير ما أبلّغ حد في الشُغل إنّي ماشي، وفضلت أتمشّى في الشوارع، على أمل إنّي أهدى شوية، على أمل إنّي أبقى

أحسن، بس مبقتش أحسن ولا حاجة، ماكُنتش قادر أفهم إزّاي هيَّ مفهمتنيش! إزّاي مفهمتش إنّي كان يهمني أشاركها تفاصيل يوم مُهم زيّ ده! أنا اللي مفروض أكون جنبها مش حد تاني! طول عُمرها بتقول عليّا سندها وعُكّازها، طب إزّاي مفكّرتش إنّها تتسند عليّا النهاردة؟ وقررت تروح تتسند على واحد تاني! طبعًا هيَّ كُل اللي فهمته إنّي بغير منُه وخلاص، غيرة.. غير مُبررة ومُحاولة منّي عشان أتحكم فيها، أكيد اعتبرت رد فعلي مُبالغ فيه جدًا ومالوش أي لازمة، خصوصًا في توقيت زيّ ده، طبعًا هيّ بالنسبة ليها كفاية أوي إنّها جت لحد عندي عشان تبلغني بالخبر، تلاقيها كمان مش فاهمة أنا إزّاي عاملتها بالطريقة دي برغم إنها كانت بتحاول تقدّرني وتقدّر إلتزامي بشُغلي، هيَّ شايفة إنها عملت كده عشان متشغلنيش بتوصيلها في اليوم ده، وأنا شايف إن كون إنّها مفكّرتش في وجودي جمبها وإن ده بالنسبة لي أهم من أي حاجة في الدُنيا، ده في حد ذاته يُعتبر عدم تقدير..!

فضلت ألِف في الشوارع بالساعات لحد ما وصلت لحتّة متدارية على النيل، وقفت هناك شوية، لحد ما لقيت واحد صاحبي في الشُغل بيكلّمني وبيقول لي إن المُدير خصم لي يومين عشان مشيت من غير استئذان، وإنُه كان ناوي يمشّيني خالص لولا إن صاحبي ده اتدخل وقال له إنّي أكيد حصل لي ظرف طارئ، شكرته وقفلت معاه، واستنّيت مُكالمة "فرح"، اللي اتأخرِت، طبعًا كانت زعلانة منّي وقررت متكلمنيش زيّ ما قالت لي، كانت مستنيّة أنا اللي أكلّمها وأتطمّن عليها، حاولت أتقمص أنا كمان، بس مقدرتش..

في النهاية لقيتني بكلّمها، فوتِت أول مُكالمتين ومردّتش عليهم، وبعدين ردّت في التالتة وقالت:

-"ما بدري!"

حاولت أتمالك أعصابي، اتنهّدت في نفاد صبر وبعدين قُلت لها:

-"عملتي إيه؟"

-"يهمّك تعرف..؟"

-"ده سؤال يعني يا فرح!"

سكتت للحظة لمّا حسّت إنّها اتمادت في رد فعلها، وبعدين قالت:
-"الحمد لله، اتقبلت وهبدأ في الشُغل من يوم الأحد"
-"الحمد لله، مبروك"
-"الله يبارك فيك"
سكتنا شوية، حوالي 5 دقايق مبنتكلّمش خالص، فضلت باصص على النيل والقمر في السما، وبعدين لقيت نفسي بقول لها فجأة:
-"متزعليش منّي يا فرح، حقّك عليّا"
سكتت شوية، وبعدين قالت:
-"هشام انت خوّفتني منّك النهاردة، بجد! أنا لولا إنّي كُنت محضّرة للانترفيو كويس كان زماني اترفضت بسبب الحالة اللي كُنت فيها"
-"أنا عارف، ومكُنتش هسامح نفسي لو كان ده حصل"
-"أنا بس مش قادرة أفهم، انت ليه عملت كده؟"
اتضايقت من جُوّايا إنّها لسّه مش فاهمة قصدي من اللي حصل، ردّيت وقُلت:
-"عشان بحبّك."
سكتت للحظة، وبعدين قالت:
-"وليد اتقبل هو كمان النهاردة، وعرض عليّا يوصّلني كُل يوم واحنا مروّحين"
-"وقُلتي إيه؟"
-"قُلت له.. قُلت له إن طريقي غير طريقه"
سكت، في اللحظة اللي كمّلت فيها وقالت:
-"فضل يزن شوية، ولمّا لقاني مُصمّمة سكت، وحسّيت إنّه اتضّايق"
مردّتش، كُنت حاسس وكأنّها بتقول لي إنّها عملت حاجة كبيرة عشان خاطري، لمّا لقيتني ساكت ندهت عليّا وقالت لي:
-"هشام.."
-"أيوة يا فرح"
-"مُمكن متخوّفنيش منّك كده تاني؟"

-"حاضر"

-"توعدني بده؟"

سكت، خدت نفس عميق وطلّعته بالرّاحة، وبعدين قُلت:

-"أوعدِك.. أوعدِك يا فرح"

....

ودي كانت أكبر غلطة عملتها في حياتي، إنّي وعدت بحاجة زيّ دي، لإنّي ابتديت أجي على نفسي في حاجات كتير عشان مخلفش وعدي ليها، "فرح" اعتبرت اعتذاري وقتها اعتراف منّي إنّي كُنت غلطان ومُبالغ في رد فعلي، فَـ بالتالي اعتبرت نفسها مغلطتش، فَـ بقت بتكرر نفس الموضوع بس بصور مُختلفة، كانت مثلًا تُقعد اليوم كُلّه متكلمنيش، فَـ أبقى فاهم إنّها في الشُغل أو في البيت، وبعدين أتفاجئ في نهاية اليوم إنّها كانت خارجة مع صُحابها بتوع الجامعة اليوم ده وراجعين متأخر، وياريتني بعرف منها، لأ ده أنا بعرف لمّا بتنزّل الصور على الفيسبوك، وبعدين تيجي بقى تحكي لي! كُنت بتضّايق لإنّي يُعتبر بشاركها كُل تفصيلة في يومي، كُنت بقول لها على كُل حاجة تقريبًا، حتّى لمّا كُنت بنزل مع صُحابي كُنت بقول لها إنّي نازل معاهم، ولمّا كُنت بكلّمها في حاجة زيّ دي كانت برضو بتعتبرني ببالغ، أو إنّي بحاول أتحكم فيها! وتتقمص وتقلب الترابيزة عليّا، فَـ أجي على نفسي وأحاول أصالحها، أجيب لها هدية حلوة، ونُخرج يوم مع بعض ونتبسط، ميعدّيش وقت طويل وألاقيها بتعمل موقف تاني، زيّ إنّها تنزّل صورة ليها مع واحد صاحبها، ووقفتها جمبه متعجبنيش، وتكتب عليها كلام حلو كتير، كلام ميتقالش بين صُحاب وبعضهم! ولمّا كُنت بقلّب في التعليقات كُنت بلاقي تعليقات سخيفة جدًا، من ناس بتقول مثلًا إنهم لايقين على بعض أوي! فَـ كُنت بتضّايق طبعًا، أجي أكلّمها في ده تقول لي عادي! وإنّها مش هتقدر تمنع الناس من إنّهم يتكلموا أو يقولوا اللي هُمّا عايزينه، وإنّي لمّا ارتبطت بيها كُنت عارف إن علاقاتها كتير، وإنّي كُنت عارف إن عندها صُحاب ولاد كتير، أرُد عليها وأقول لها إنّي معنديش مُشكلة في فكرة الصديق أو الزميل الولد لإن أنا كمان عندي صُحاب بنات من أيام المدرسة، بس المفروض يكون في حدود أكتر من كده، وإن التهاون في الحدود مُمكن يخلّي حد مشاعره تتحرك ناحيتِك، خاصّة إن محدّش يعرف إن احنا مُرتبطين، تفتكرني بتحكم فيها وبحاول أفرض رجولتي عليها! وتتقمص وتقول لي إنّها هيَّ اللي مفروض تحُط الحدود دي وتشوف إذا كانت مُناسبة ولا لأ.. مش أنا! أتضّايق بيني وبين نفسي من طريقتها وكلامها، وبعدين أجي على نفسي مرة تانية وأقرر أصالحها، وهكذا، سلسلة من الأحداث المُرتبطة ببعضها، اللي كُنت دايمًا بوافق أطلع فيها غلطان، لمُجرد إنّي مزعلهاش منّي، ومخوّفهاش، وبعد ما كُنت خلاص ناوي أتقدم لها، لقيت نفسي

بأجّل الخطوة دي، وبرغم إنّي كُنت عايز أعمل ده جدًا، بس الأحداث اللي حصلت دي كُلّها خلتني أحس إنّي مش مرتاح أوي، ومش مُتأكد من اللي جاي، ببساطة، عشان مخوّفهاش منّي بقيت أنا اللي بخاف..

لحد ما من أسبوع بالظبط، قالت لي إنّها هتسافر مؤتمر تبع الشُغل في إسكندرية، وإنّها هتُقعد هناك يومين، قالت لي إنّها هتقدم فيه presentation عن مُنتج من مُنتجات الشركة، وكانت خايفة جدًا، طمّنتها وشجّعتها، وقعدت أفكّر في حاجة مُمكن أعملها علشان تفرّحها وتعلّي من ثقتها بنفسها قبل المؤتمر، لحد ما لقيتها، افتكرت إن ميعاد المؤتمر كان جاي تزامُنًا مع عيد ميلادها، فَـ قررت أعملّها مُفاجأة ونحتفل بيه قبلها، قبل ما تسافر المؤتمر بيومين، عُمرها ما هتتوقع إنّي هعمل حاجة زيّ دي، وفعلًا حصل، خدت يومها أجازة من الشُغل، وجبت لها خاتم دهب كان نفسها فيه من مُدّة، واتفقت معاها تيجي الكافيه اللي دايمًا بنُقعد فيه سوا، واتفقت مع إدارة الكافيه إنُهم يعملوا لها تورتة كبيرة، وأول ما تُدخل يغنّوا لها سنة حلوة يا جميل، ظبّطت كُل حاجة وروحت على الكافيه عشان أستنّاها هناك، ميعادنا كان الساعة 8، وصلت من 7 وتمّمت على كُل حاجة، وفضلت قاعد مستنّيها، الساعة بقت 8 ونُص، قُلت عادي مُمكن زحمة طريق، بقت 9، قُلت يمكن انشغلت في الشُغل ولا حاجة، 9 ونُص، ابتديت أقلق!، لومت نفسي إنّي مكلمتهاش كُل ده، وإنّي مروحتش أجيبها بنفسي، وبعدين افتكرت إنّها أصرّت مجيش عشان كانت هتقابل واحدة صاحبتها قبل ما تيجي لي، كلّمتها، مرة واتنين وتلاتة، مردّتش! القلق ابتدا يتحوّل لرُعب! الساعة داخلة على 10! رنيت تاني، لقيت موبايلها اتقفل! الرُعب اتملّك منّي تمامًا، قُمت من مكاني وجريت في الشارع زيّ المجنون، مكُنتش عارف أروح لها الشُغل ولا البيت ولا أعمل إيه بالظبط، في اللحظة اللي لقيتها بتتصل بيّا فجأة، ردّيت بسُرعة وقُلت بصوت مرعوب:

-"فرح! انتي فين؟ انت كويسة؟!"

صوتها ماكنش واضح خالص، كان في أصوات غُنا ومزّيكا حواليها! مفهمتش، لحد ما لقيتها بتزعّق وبتقول لي بصوت عالي وهيّ بتضحك:

-"أنا كويسة، معلش انشغلت مع العيال ونسيت أكلّمك"

-"عيال مين؟ فرح انتي صوتِك مش واضح، أقُفي في حتّة هادية عشان أعرف أسمعِك."
-"طيّب ثواني"
سابتني متعلّق على السمّاعة شوية، نبضات قلبي وصلت لمُعدل خطر، مكُنتش ملاحق أخُد نَفَسي حتّى، فجأة لقيتها بتبعد عن الدوشة وبعدين بترُد وبتقول لي:
-"معاك يا هشام"
-"انتي فين يا فرح؟ أنا مستنّيكي بقالي ساعتين!"
-"اهدى بس هفهّمك، فاكر لمّا قُلت لك إنّي هقابل واحدة صاحبتي قبل ما أجي لك؟! قابلتها وقالت لي إنّها عايزاني في مشوار، وبعدين وصلنا كافيه كده في المعادي وفجأة، لقيت صُحابي كُلّهم بيفاجئوني علشان عيد ميلادي، وابتدوا بقى يغنّوا لي ويهيّصوا لي و.."
كُنت بسمعها وأنا مش قادر أصدّق اللي هيَّ بتقوله! وصلت لمرحلة من الغضب عُمري ما وصلت ليها في حياتي قبل كده، لدرجة إنّي حسّيت بحرقان في صدري، ودماغي كانت بتغلي، كانت بتتكلم بمُنتهى البساطة، وكإن مفيش أي مُشكلة خالص، فجأة لقيتها بتختم كلامها وبتقول لي:
-"بس يا سيدي، ولسّه واخدة بالي من الموبايل دلوقتي حالًا، معلش بقى متزعلش"
-"مزعلش! مزعلش!"
زعّقت فيها بأعلى صوت عندي، ردّت بصوت مرعوب:
-"في إيه يا هشام؟"
-"في إنّي كُنت هموت من القلق عليكي! عارفة يعني إيه كُنت همـــوت؟ أنا تعبت، تعبت منّك ومن عدم إحساسِك بالمسؤولية، أنا مش فاهم، يعني إيه متكلّمنيش أول ما توصلي وتعرّفيني؟! يعني إيـــــه؟"
-"اهدى يا هشام أرجوك!"
-"متقوليليش اهدى! أنا بقالي ساعتين قاعد مستنيكي وقلبي كان هيتخلع عليكي، وانتي ولا هنا، مبسوطة طبعًا مع صُحابِك وعمّالة تغنّي وتُرقصي، وأنا المفروض أقدّر ده مش كده؟ وأنا مين يقدّرني! لا طبعًا أنا مش مُهم، أولع أنا عادي، مش مُهم أجي على بالِك أصلًا! ما انتي اتعوّدتي في كُل مرّة إنّي لمّا بتعصّب أنا اللي بتأسف وبعتذر، ده طبعًا بعد ما

بتغلّطيني وبتشيّليني الليلة، متعرفيش طبعًا إنِّي كُل مرة كُنت بعمل كده علشان خاطرِك، كُنت باجي على نفسي وأقول معلش، بُكرة تفهم، بُكرة تعقل، وبُكرة ده مبيجيش أبدًا، إذا كان أقل حاجة كان المفروض تعمليها معملتيهاش، إنك تكلّمي البني آدم اللي انتي بتقولي إنّك بتحبّيه وتطمّنيه عليكي، مفكُرتيش للحظة أنا لو مكانِك كُنت هعمل إيه؟ أقولِك.. أنا لو مكانّك كُنت سيبت الدُنيا كُلّها وجيت لِك.

لإنّك أهم بالنسبة لي من أي حد، أي حد، لكن انتي.. انتي كُل يوم بتثبتيلي إنِّي مش أهم حد عندِك، وإنّك بتقدّري صُحابِك وشُغلِك وحاجات كتير قبل ما بتقدّريني، أنا خلاص، مبقتش قادر أستحمل."

انفجرت فيها ومحسّتش بنفسي إلا لمّا خلّصت كلام، كُنت باخُد نَفَسي بصعوبة ومكُنتش شايف أي حاجة من كُتر الغضب، فجأة ابتدت الرؤية توضح قُدّامي، الناس في الشارع كانت واقفة تتفرّج عليّا، وأول ما بصّيت لهم خافوا من نظرتي، وابتدوا يمشوا، إيدي كانت بتترعش وأنا ماسك الموبايل، والوجع في قلبي وصدري كان رهيب، فوق طاقة احتمالي، حسّيت إن رجليّا مش شايلاني، فجأة لقيتني بقعد على الرصيف جمب العربية، وبحاول أهدّي نفسي، سمعتها وهيَّ بتعيّط في الموبايل، وبرغم الحالة اللي كُنت فيها بس مكُنتش قادر أسمعها بتعيّط، فضلت قاعد في مكاني رُبع ساعة كاملة، بحاول أهدّي نفسي وأتمالك أعصابي، سألتني في خلالهم أكتر من مرّة إذا كُنت كويس ولا لأ، ومكُنتش برُد، كانت بتسمع أنفاسي المُتلاحقة بس، وبتفهم منهم إنِّي لسّه على الخط، وإنّي أكيد مش كويس، فضلت في الحالة دي، لحد ما فجأة لقيتني بقول لها:

-"انتي فين يا فرح؟ مكانِك فين بالظبط؟"

سكتت ومردّتش، كانت خايفة منّي، وعرفت وقتها إنِّي خلفت الوعد اللي وعدته ليها قبل كده، مهتمتش وكررت سؤالي:

-"مكانِك فين يا فرح قُلت!"

-"أنا.. أنا في المعادي، شارع تسعة، كافيه اسمه شيخ العرب"

-"متتحرّكيش من عندِك إلا لمّا أجي لِك، فاهمة؟"

-"فاهمة.."

قفلت معاها، وبعدين اتحرّكت ناحية الكافيه اللي كُنت هعمل لها فيه العيد ميلاد، دفعت الفلوس وخدت التورتة، حطّيتها في العربية، وبعدين ركبت واتحرّكت للمعادي، كان كُل اللي في دماغي ساعتها إن الوقت اتأخر، وإن مهما كان اللي حصل بيننا برضو مش هسيبها تروّح لوحدها، أو أسيب حد غيري يوصّلها، نُص ساعة بالظبط وكُنت راكن العربية عند باب الكافيه، بعتّ لها رسالة على الموبايل إنّي وصلت، خرجت بعدها بـ 3 دقايق بس، عينيها لسّه مليانة دموع، وشايلة في إيديها شنطة الهدايا اللي صُحابها جابوها ليها، مش هنكر إنّي اتضّايقت إنّي نكّدت عليها بالشكل ده في ليلة زيّ دي، بس في نفس الوقت ماكُنتش قادر أغلّط نفسي ولا ألوم نفسي على اللي عملته، أنا كُنت مكبوت! والكبت بيوّلد الانفجار، بعدت عيني عنها في اللحظة اللي ركبت فيها جمبي، مقولتش أي حاجة، اتحرّكت بالعربية من غير ما أتكلم، وفضلنا طول الطريق ساكتين مبنتكلّمش، كُنت سامع بس صوتها وهيّ بتحاول تمنع نفسها من العياط، وأنا كُنت بحاول مضعفش المرة دي، فضلنا على الحال ده لحد ما وصلنا البيت، وقبل ما تنزل لقيتني بقول لها:

-"ثانية واحدة"

مدّيت إيدي في الكنبة اللي ورا وشدّيت علبة التورتة، وإدّيتها ليها في إيدها، وبعدين مدّيت إيدي في جيبي وطلّعت علبة الخاتم وإديته ليها هو كمان، بصّت لي باستغراب وبعدين سألِت:

-"إيه دول؟"

-"دي التورتة اللي كُنت مجهزها لعيد ميلادِك اللي كُنت عاملهولِك مُفاجأة، عيد ميلادِك اللي سيادتِك محضرتيهوش النهاردة، ولا حتّى فكّرتي تكلّميني وتِعلميني بخططِك المُفاجأة عشان أكنسله أو أتصرف في الحجز بتاعه، ودي تبقى هديّتِك اللي كان نفسِك فيها من مُدّة، كلّميني أكتر عن التقدير يا فرح!"

-"هشام أنا.. أنا أسفة"

-"وأنا كمان آسف، آسف لإنّي مش هقدر أقبل أسفِك ده دلوقتي، اتفضلي"

-"هشام!"

مدّيت إيدي وشاورت لها عشان تنزل، وكررت طلبي بصوت أكثر حدّة:

-"اتفضلي انزلي يا فرح.. لو سمحتي!"

بصّت لي للحظة والدموع نازلة من عينيها، منعت نفسي من إنّي أبُصّ لها عشان مضعفش، في اللحظة اللي نزلت فيها من العربية، واتحرّكت ناحية عمارتها وهيَّ شايلة التورتة وشنطة الهدايا، فضلت أراقبها وأنا حاسس بكُل الأحاسيس المُتضاربة اللي مُمكن تتخيّلوها، متضّايق وزعلان ومخنوق وغضبان وقلبي واجعني عليها، فضلت أراقبها، لحد ما اتطّمنت إنّها طلعت خلاص، ساعتها بس قدرت أسمح لنفسي إنّي أعيّط، فضلت أعيّط في مكاني بحُرقة، لأول مرة من ساعة ما عرفت "فرح"، فضلت أعيّط وأنا مش قادر أتخيّل إن "فرح"، بعد ما كانت سبب فرحتي، بقت سبب حُزني بالشكل ده..!

****

خلّص "هشام" حكايته ومال لُقدّام بجسمه، مسح دموعه اللي نزلت منّه غصب عنّه، وفضل ساكت شوية، كانت أول مرة نشوف "هشام" في الحالة دي، "مُصطفى" قام وقعد جمبه بسُرعة وفضل يطبطب عليه عشان يهدّيه، في اللحظة اللي "نور" كانت بتمسح دموعها فيها من كُتر ما كانت متأثرة، كُلّنا خدنا بالنا من تشابه المواقف بين "نور" و"هشام"، ومكُنّاش قادرين نعلّق، فضلنا ساكتين لحد ما "هشام" هدي شوية، وقرر يكمّل كلامه:

-"النهاردة يبقى اليوم الرابع اللي متكلمناش فيه، محصلش إننا بعدنا عن بعض الفترة الطويلة دي من أول ما ارتبطنا، كان كبيرنا نزعل ونتقمص يوم وخلاص، اتصلِت بيَا كتير جدًا، بس أنا ماكُنتش قادر أرُد عليها، بعتت لي رسايل اعتذار وقالت لي إنّها مش هتقدر تسامح نفسها لو خسرتني، وبرضو مقدرتش أرُد، مقدرتش أصفى من ناحيتها، حاسس.. حاسس إنّي تعبت، تعبت ومبقتش قادر أستحمل طريقة تفكيرها دي! كُل تصرّف بتتصرفه بتفتكره تحكّم أوسيطرة! كُل غلط ببقى أنا السبب فيه بشكل أو بآخر! طب وأنا؟ مبتفكّريش فيّا؟ مبتفكريش في إحساسي؟ ولا أنا عشان ببيّن طول الوقت إنّي جامد وصلب يبقى خلاص، تخبّطي وتجرحي فيًا زيّ ما انتي عايزة؟"

رد "يوسف" وقال:

-"طب وبعدين يا هشام؟ إيه اللي حصل؟"

-"ولا حاجة، فضلِت تتصل وأنا مرضتش أرُد، وسافرت امبارح المؤتمر اللي قُلت لكم عليه، والمفروض إنْها هترجع النهاردة بليل"

-"وناوي على إيه؟"

-"مش عارف، بجد مش عارف"

ردّت "ياسمين":

-"انت لسّه بتحبّها، مش كده؟"

بصّ لها ومردّش، فَـ ردّت "نور" بداله وقالت:

-"في عز ما كان متضايق منها ومش قادر حتّى يسمع صوتها مهانتش عليه برضو وراح لها لحد المكان اللي كانت فيه عشان يوصّلها البيت، يبقى أكيد لسّه بيحبّها!"

قالتها بصوت مكسور، فَـــ فهمنا كُلّنا إنّها ربطت الموقف ده بالموقف اللي "أيمن" سابها فيه في الشارع، "هشام" مسح دموعه ووجّه كلامه ليها وقال:

-"أنا آسف يا نور، مش قصدي أقارن بيني وبين أيمن يعني بس.."

-"أنا فاهمة، مش محتاج تتأسف يا هشام بالعكس، ده أنا اللي مفروض أشكُرك، انت فتّحت عينيّا على حاجات كتير ماكُنتش شايفاها"

ابتسموا لبعض في اللحظة اللي موبايل "هشام" رن فيها، طلّعه ومسكه في إيده، وملامحه اتغيّرت، فَـــ فهمنا كُلّنا إنّها "فرح"، "ياسمين" بصّت له وقالت له:

-"رُد يا هشام!"

-"أرُد أقول إيه؟"

-"متقولش! اسمع منها بس، اسمع هيَّ عايزة تقولك إيه"

-"مش قادر يا ياسمين"

ردّت "مريم" وقالت:

-"خلاص يا هشام، متعملش حاجة انت مش حاببها، هيَّ متستاهلكش أصلًا!"

"شروق" اتضايقت من رد "مريم" وقالت:

-"حرام عليكي يا مريم مش للدرجة دي، هشام، بصراحة كده يعني ومن غير ما تزعل منّي، أنا شايفة إنّك المفروض ترُد عليها وتسمع منها، متنساش وقفتها جمبك وحُبّها ليك! دول مش كافيين يخلّوك تدّيها فُرصة تانية؟"

ردّت "نور":

-"ما هو كمان وقف معاها يا شروق! ومع ذلك هيَّ مقدّرتش ده وجت عليه ووصّلته للحالة اللي هو فيها دلوقتي دي!"

-"سُبحان الله! أول مرّة أشوف بنت مُتحيّزة لقضيّة ولد بالشكل ده، إيه يا بنات جرالكم إيه؟!"

"مُصطفى" قال الجُملة الأخيرة بأسلوب ساخر، في اللحظة اللي موبايل "هشام" بطّل يرن فيها، راحت "مريم" معلّقة وقايله:

-"لإن الموضوع حقيقي مُستفز يا مُصطفى! سواء مُشكلة نور أو مُشكلة هشام، انتي يا نور بتشتكي من تحكّمه الزيادة فيكي، وانت يا هشام بتشتكي من عدم تقديرها لغيرتك عليها! تعرفوا أنا بقى.. أنا حبّيت واحد الغيرة كلمة مش موجودة أصلًا في قاموسه، عُمره ما حسّسني إنّه بيغير عليّا ولو للحظة، انتوا مُتخيّلين؟"

"مريم" قالت كلامها الأخير بأسلوب هجومي شوية، لدرجة إننا كُلّنا اتصدمنا من طريقتها، بصّت لنا وخدت بالها من انفعالها المُفاجئ، وبعدين قالت:

-"مش مُهم الكلام ده دلوقتي، المُهم إنّك تقرر يا هشام إذا كُنت هتكلمها ولا لأ"

"هشام" سكت للحظة، وبعدين قال لها:

-"مش هاخُد قرار في الموضوع ده إلا لمّا أسمع حكايتِك الأول يا مريم، انتي عايزة تحكي، مش كده؟"

بصّت لنا ولقتنا بنبُصّ لها كُلّنا، فجأة لقيناها بتمد إيدها في شنطتها وبتطلّع علبة سجاير وولّاعة، سحبت سيجارة من العلبة وولّعتها، بصّينا كلنا بدهشة، معتقدش حد فينا كان عارف إن "مريم" بتشرب سجاير، سحبِت نفس طويل من السيجارة، وبعدين طلّعته وقالت بطريقة ساخرة شوية:

-"طبعًا عايزة أحكي، هيّ جت عليّا أنا يعني؟"

ضحكت من ردّها، وبعدين بصّيت لها وقُلت لها:

-"تمام يا مريم، كُنتِ بتقولي إنّه عُمره ما حسّسِك إنه بيغير عليكي"

-"آه، بس مش هي دي المُشكلة يا حاتم"

سكتت للحظة، ابتسمت بعدها بتكلّف، وبعدين قالت:

-"المُشكلة اللي بيني وبينه، أكبر من كده بمراحل!"

****



الحكاية سابعة

مريم

-"الناصية الجايّة لو سمحت"

نزلت من التاكسي بعد ما حاسّبت السوّاق، اللي كان طول الطريق بيبُصّ لي في المرايا بشكل مُستفز، تقريبًا ماكنش عاجبه شكلي، أو كان عاجبه بزيادة شوية، ملومتوش، خلاص اتعوّدت على نظرات الناس المُستفزة ليّا في كُل مكان، وكإنّي عملت جريمة لمّا قررت أصبُغ شعري باللون الأحمر وأهتم بشكلي شوية، كان عاجبني شكلي كده، وكان لايق على شخصيتي الجديدة، شخصية العازفة المُبتدئة، خرّيجة كُليّة التربية الموسيقية، واللي عايزة تشق طريقها في أوساط الـ **underground bands**، اليوم ده كان البداية لتحقيق حلمي، شلت الجيتار على ضهري واتحرّكت ناحية العمارة اللي كُنت قاصداها، بصّيت على الدور الرابع، خدت نفس عميق، وبعدين طلعت، دخلت من باب الإستوديو، لقيت بنت قاعدة في الإستقبال، فَــ سألتها على اللي أنا جايّة علشانه، ابتسمت لي وطلبت منّي أقعد لحد ما تنده عليّا، شكرتها واتحرّكت ناحية الصالة، خدت بالي إن المكان كان زحمة شوية، شباب وبنات كتير قدّي في السن أو أكبر منّي بحاجة بسيطة، ومُعظمهم معاهم آلات موسيقية، فضلت أبُص حواليا لحد ما لقيت مكان فاضي فَــ قعدت فيه، طلّعت الجيتار من الشنطة، وبدأت أظبّط في أوتاره، في نفس اللحظة اللي لقيت فيها حد بيُقعد جمبي، انتبهت لريحة البيرفيوم اللي كان حاططها، كانت حلوة جدًا، ولقيت نفسي ببُصّ له غصب عنّي، عيونه كانت واسعة، ومناخيره مُدببة، شعره كان طويل ومفرود على كتفه زيّ مُغنيين الروك أند رول بتوع زمان، رقبته كانت طويلة، وتُفّاحة آدم ظهرت فيها بوضوح، كان رُفيّع، بس كان باين عليه إنّه قوي، كان لابس تي شيرت إسود وبنطلون نفس اللون، وكان باصص لي وهو مُبتسم، نظراته كانت في العادي هتخلّيني أهزّقه أو أهينه، بس في حاجة فيه خلّتني معملش ده، معرفش إيه هيَّ، بس تقدروا تقولوا إنّي حسّيت للوهلة الأولى كده إنّه.. إنّه عاجبني! أيوة، متكسفتش أقولها لنفسي وقتها، فَـــ ردّيت له الإبتسامة، في اللحظة اللي مد إيده فيها عشان يسلّم، مدّيت إيدي أنا كمان وهو بيقول:

-"هاي، إزيّك.."

-"أنا تمام، انت كويس؟"

-"الحمد لله، انتي جاية عشان تجربة الأداء ولا حاجة تانية؟"

-" آه، انت جاي علشانها برضو؟"

-"أيوة"

-"مش شايفة معاك آلة يعني، بتلعب إيه؟"

-"لأ أنا مش بلعب حاجة، أنا بغني، كانوا قايلين إنهم محتاجين مُغنّي في الفرقة فَــ قُلت أجي أجرّب حظّى"

-"أها، ربنا يوفقك"

-"يارب وانتي كمان، ده أكوستيك جيتار مش كده؟"

-"أيوة، بتحبّه؟"

-"بحبُه أكيد، بس بحب الإليكتريك أكتر"

-"أنا كان نفسي أتعلّم إليكتريك زمان، بس الظروف ساقتني للأكوستيك، ومندمتش بصراحة"

-"لقيتي نفسِك فيه؟"

-"جدًا، حقيقي"

ابتسم، وبعدين قال لي:

-"معرفتش اسمِك"

سكت للحظة، وكُنت هرُد عليه، في اللحظة اللي سمعنا فيها البنت اللي في الريسبشن بتنده بصوت عالي وبتقول:

-"أحمد الورداني ومريم عمرو.."

ردينا احنا الإتنين في صوت واحد وقُلنا:

-"أيوة.."

بصّينا لبعض وضحكنا، في اللحظة اللي البنت ردّت فيها وقالت:

-"اتفضلوا إحنا جاهزين ليكم دلوقتي"

قُمنا إحنا الإتنين واحنا لسّه بنضحك، واتحرّكنا ناحية الـ room اللي البنت شاورِت عليها، وقبل ما نوصل بخطوة واحدة لقيته بيسبقني، وبيفتح الباب بكياسة وبيقول لي:

-"بتمنى لِك التوفيق يا مريم"

اتكسفت ومعرفتش أرُد، طول عُمري مش بعرف أرُد على الكلام الحلو، اكتفيت بإني ابتسمت له ودخلت الأوضة، وبعدين دخل هو ورايا وقفل الباب، وبصّينا احنا الإتنين للولد والبنت اللي كانوا قاعدين على المكتب اللي قُدّامنا، ابتسموا لينا هُمّا الإتنين، وبعدين الولد قال:

-"مساء الخير، أنا فريد اللي نزّلت الإعلان على الفيسبوك، ودي بسمة صاحبتي وشريكتي، انت أحمد وانتي مريم مش كده؟"

-"تمام"

قُلناها في صوت واحد، وبعدين لقينا "بسمة" بتوجه كلامها لينا وبتقول:

-"طيّب زيّ ما قريتوا في الإعلان كده إحنا بنكوّن فرقة جديدة، لسّه مستقرّيناش على نوع المزّيكا اللي هنقدّمها، فَـ بنسمع حاجات مُختلفة يعني، إحنا للأسف مزنوقين جدًّا في الوقت ومش هنقدر نسمع كُل واحد فيكم لوحده، فَـ كُنّا حابّين إنّكم تعملوا حاجة كده مع بعض، إيه رأيكوا؟"

بصّينا لبعض أنا و"أحمد"، وبعدين لقيته بيميل عليّا وبيقول لي بصوت واطي:

-"بتعرفي تعزفي إيه؟"

-"حاجات كتير، انت بتحب إيه؟"

-"حاجات كتير برضو، طيب ليكي في الروك الشعبي؟"

-"أكيد، مُمكن Let her go لـPassengers لو حافظها؟"

ابتسم، وبصّ لي بنظرة غريبة شوية، سكت للحظة وبعدين قال:

-"تمام، يبقى Let her go، جاهزة؟"

-"دايمًا جاهزة."

قُلتها بثقة وأنا بعدِل الجيتار، فَـــ ضحك بعفوية، وبص لـ"فريد" و"بسمة"، وقالهم إننا جاهزين، بصّينا لبعض مرة تانية، عدينا من واحد لأربعة، وبعدين ابتديت أعزف، بلُطف وعذوبة، Let her go تُعتبر الأغنية الأقرب لقلبي، معرفش ليه، بس بحس إن مزّيكتها الهادية في بداية الأغنية بتودّيني لعالم تاني، وكلماتها، كلماتها بتلمسني بشكل رهيب،

فضلت أعزف باستمتاع لحد ما جت اللحظة اللي كان هيبدأ فيها غُنا، وبمُجرد ما غنّى أول كوبليه في الأغنية وسمعت صوته، حسّيت برعشة بتسري في جسمي، لدرجة إنّي كُنت هوقّف عزف من كُتر ما صوته أثّر فيّا، تمالكت نفسي وكمّلت عزف وأنا سامعاه بيغنّي الأغنية، وكإنّي أول مرة أسمعها، وكأنّها أول مرة تلمس قلبي كده، صوته شجّعني، خلاني ألعب في المزّيكا وأخرُج برّه النوتة، طريقته في الغُنا خلّتني أعزف سولو مُختلف عن الأغنية الأصلية في كُل مرة كان بيقول فيها "and you let her go"، سرحت معاه، وهو كمان سرح معايا ومع عزفي، وحسّيت إنّه بيطلّع أحسن حاجة عنده، لحد ما وصلنا لآخر الأغنية، ونبرة صوته هديت، وأنا كمان هديت بالمزّيكا، في اللحظة اللي ختم بيها الأغنية وقال:

-"Only know you love her when you let her go, and you let her go"

في اللحظة دي، لقينا "فريد" و"بسمة" بيبصّوا لينا وعلامات الدهشة مرسومة على وشوشهم، فضلوا ثابتين في مكانهم شوية، وبعدين قاموا من مكانهم هُمّا الإتنين وفضلوا يصقّفوا وهُمّا مُنبهرين، ضحكنا من قلبنا في لحظتها، وبصّيت لـ"أحمد" اللي كان بيبُصّ لي برضو، في اللحظة اللي لقينا "بسمة" بتقول فيها:

-"مش مُمكن! برافو، حقيقي برافو!"

حسّيت إنّي مبسوطة جدًا، حسّيت إن ده كان أفضل أداء عملته عملته في حياتي، كُنت هرُد عليها وأعبّر لها عن سعادتي، في اللحظة اللي لقيتها بتبُص فيها لـ"أحمد" وبتقول له:

-"انت صوتك رائع يا أحمد! ما شاء الله عليك بجد، جبت الإحساس العالي ده منين؟"

رد عليها "فريد" وقال:

-"متهيألي إحنا مش محتاجين نسمع مُغنيين تانيين، أحمد، انت هتبقى المُغني الأساسي للفرقة، إحنا خلاص اخترناك، مش كده ولا إيه يا بسمة؟"

-"طبعًا! هيَّ دي طبقة الصوت اللي إحنا محتاجينها، معتقدش هنحتاج نسمع حد تاني خلاص"

فضلوا هُمّا الإتنين يعبّروا عن انبهارهم بأداء "أحمد" وصوته، ومحدّش فيهم وجّه كلامه ليّا خالص، وكإنّي مش موجودة أصلًا، فجأة حسّيت الفرحة اللي جُوّايا ابتدت تطْفي شوية، وابتسامتي ابتدت تروح وأنا شايفاهم بيتكلموا مع "أحمد" ومش ملاحظين وجودي، لحد ما لقيت "أحمد" بيبُصّ لي، ولاحظ الإرتباك اللي كُنت فيه، فَـ قرر يقاطعهم وقال لهم:

-"طب.. طب ومريم؟"

ودي كانت اللحظة اللي انتبهوا فيها هُمّا الإتنين لوجودي، لقيتهم بيبتسموا لي بتكلُّف، وبيبُصّوا لبعض، وبعدين لقيت "بسمة" بتقول بنبرة هادية:

-"عزفِك حلو يا مريم طبعًا، عندِك بس شوية أخطاء كده عايزة تتظبّط، بس إجمالًا كان أداء مش بطّال، مش كده يا فريد؟"

-"مظبوط أنا كمان شايف كده، عمومًا إحنا مبسوطين جدًا إنّك جيتي النهاردة يا مريم، ولو اتقبلتي معانا هنكلمِك إن شاء الله"

هزّيت راسي من غير ما أقول حاجة، بصّيت لـ"أحمد، لقيته باصص لي بارتباك برضو، ابتسمت له، وبعدين اتحرّكت ناحية الباب، في اللحظة اللي كان "فريد" بيُطلب من "أحمد" فيها إنّه يُقعد عشان يتكلّموا في تفاصيل الشُغل، فتحت الباب وخرجت، وبصّيت لـ"أحمد" للمرة الأخيرة وأنا بقفل الباب، كان باصص لي هو كمان، عيوننا فضلوا متقابلين، لحد ما قفلت الباب خالص، ومبقتش شايفاه ولا هو شايفني، فضلت واقفة للحظة، وبعدين مشيت، خرجت من الإستوديو ونزلت من العمارة، وأنا حاسّة إحساس سخيف جدًا، بعد ما كُنت مبسوطة وحاسّة إنّي طايرة، حسّيت إنّي وقعت فجأة على جدور رقبتي، كُنت حاسّة بالزعل والقهرة، هو أنا كُنت عاملة حسابي إنّي احتمال كبير متقبلش، بس متخيّلتش أبدًا إنّي هزعل كده، يمكن.. يمكن لإنّي حسّيت إنّي عزفت كويس، أو يمكن لإنّي حسّاسة زيادة وباخُد كُل حاجة على مشاعري، أي موقف يمُر بيه مهما كان تافه بيأثر فيّا وبيخليني أتوجع وأتألم، مش عارفة، المُهم إنّي حقيقي كُنت زعلانة، نزلت ووقفت مكاني للحظة، مكُنتش عارفة أروح فين أو أعمل إيه، وبعدين قررت أتمشّى يمكن أفُك شوية، مشيت خطوتين وأنا بحاول أتحاشى نظرات الناس السخيفة ليّا، وفجأة، سمعت صوته، صوته اللي حبّيته وعشقته، صوت "أحمد":

-"مريم.."

لفّيت ورايا بسُرعة وأنا مش مصدّقة وداني، لقيته نازل من العمارة وبيجري ناحيتي وهو مُبتسم، وصل عندي وبعدين قال:

-"إيه يا بنتي؟ مشيتي على طول كده ليه؟ ده أنا ملحقتش حتّى أخُد رقمِك!"

بصّيت له وأنا متفاجئة إنُه نزل ورايا، وبعدين قُلت له:

-"معلش أصلي.. مكُنتش أعرف إنّك هتخلّص معاهم بُسرعة كده، قول لي عملت إيه؟"

-"مفيش، سمعت عرضهم، ورفضته"

بصّيت له باستغراب، وبعدين قُلت:

-"ليه كده؟ مكانش عرض كويس؟"

-"بالعكس، كان عرض مُغري جدًا، هيّ بس الفكرة إنُه.."

-"إنُه إيه؟"

سكت للحظة، بص بعيد وابتسم، وبعدين بصّ لي مرة تانية، وقال لي بارتباك:

-"هُمّا قالوا لي يعني إنّهم خلاص اختاروا الجيتاريست بتاعهم، وإن الجيتاريست ده.. مش انتي"

-"طيب وده إيه علاقته إنّك تُرفض عرضهم؟"

-"بُصّي، أنا مش عارف انتي هتفهميني ولا لأ، بس أنا.. أنا غنّيت حلو النهاردة بسببِك"

-"إيه؟"

قُلت الكلمة الأخيرة وأنا مصدومة، مكُنتش فاهمة هو يُقصد إيه، فَــ كمّل وقال:

-"انتي بتعزفي حلو أوي، أوي يا مريم، يمكن هُمّا ملاحظوش ده، بس أنا لاحظته وحسّيته جدًا، عزفِك هو اللي خلّاني أغنّي كده، خروجِك برّه النوتة هو اللي خلاني أعلا بصوتي في حتت وأنزل بيه في حتت تانية، مريم.. أنا مش هبقى ببالغ لو قُلت لِك إنّي عُمري ما حسّيت بتناغم بين صوتي ومزّيكا زيّ النهاردة لمّا سمعت مزّيكتِك! عشان كده رفضت عرضهم، عشان أنا عايز أغنّي معاكِ انتي، عايز أغنّي وانتي بتعزفي جمبي، مش حد تاني"

دمّعت وأنا بسمع كلامه، كان أول مرة حد يُجبر بخاطري بالشكل ده، فجأة لقيت إحساس الحُزن اللي كُنت حاسّاه من لحظة بيتحول لسعادة مرة تانية، سعادة غمرتني بالكامل، بصّيت له ودموعي بتنزل منّي غصب عنّي، وبعدين قُلت له:

-"أنا.. أنا مش عارفة أقول لك إيه بجد!"

-"متقوليش حاجة، ملامح وشّك بتقول بالنيابة عنِّك"

-"أنا آسفة والله بس مش بعرف أتحكم في مشاعري خالص"

-"دي حاجة حلوة مش حاجة وحشة، قولي لي، كُنتي رايحة فين كده؟"

مسحت دموعي وابتسمت له وأنا بقول:

-"مش عارفة، كُنت هتمشّى شوية وبعدين أروَح"

-"يضايقِك طيب لو اتمشّيت معاكي؟"

-"لأ طبعًا"

ابتسم لي، ومشي جمبي، وقتها حسّيت إن قلبي بيُرقص، فضلنا ساكتين شوية، ماكُنتش لاقية حاجة أقولها، لحد ما لقيته بيقول لي فجأة:

-"عايز أقول لِك على حاجة بس خايف متصدّقنيش"

-"قول متخافش، هصدّقك"

-"لمّا.. لمّا قُلت لِك إنّي حابب أغنّي حاجة روك شعبي.."

-"أيوة.."

-"كُنت في الحقيقة هقول لِك بعدها إنّي عايز أغنّي Let her go، بس انتي سبقتيني"

بصّيت له بانبهار، وقلبي اتقبض للحظة، وبعدين قُلت له:

-"بجد؟!"

-"أها، هو في أغاني كتير أنا بحبها في الكاتيجوري دي، بس Let her go بالنسبة لي حاجة تانية خالص، الأغنية دي أنا بعتبرّها أكتر أغنية قُريِّبة لقلبي بجد"

قال الجُملة الأخيرة في اللحظة اللي ابتسمت فيها غصب عنّي، ابتسامة اترسمت على وشّي ومقدرتش أمنعها أو أوقفها، بصّ لي وهو مستغرب شوية من ابتسامتي اللي كانت صادقة جدًا، وقبل ما يقول أي حاجة لقيتني بقوله بصوت مليان بهجة:

-"صُدفة غريبة، بس جميلة"

-"عندِك حق، هيَ جميلة"

سكت لحظة وبصّ لي بنظرة إعجاب واضحة، وبعدين كمّل جُملته وقال:

-"جميلة جدًا"

....

ودي كانت أول مرة حد يقول لي كده وأحس بيها بالقوّة دي، كُنت عارفة إنّه بيلمّح عشان يقول لي إن أنا اللي جميلة، بس طبعًا مردّتش عليه، مع إنّي كان نفسي أرُد، كان نفسي أقول له إنّي شايفاه هو اللي جميل، يمكن مقولتهاش وقتها، بس نظرتي ليه أكيد قالتها، اتقابلنا كتير بعدها، وعرّفني على شلّة صُحابه اللي كان دايمًا بيُقعد معاهم في وسط البلد، كانت شلّة حلوة ولطيفة مُكوّنة من 3 ولاد وأربع بنات، وبمرور الوقت بقوا صُحابي أنا كمان، وحقيقي كُنت مبسوطة بوجودي وسطهم، يمكن لإنّي معملتش صُحاب كتير في الكُليّة، وما صدّقت لقيت صُحاب جُداد قابليني زيّ ما أنا، بستايل لبسي وبجناني وشقاوتي، "أحمد" كمان كان قابلني زيّ ما أنا، وكان دايمًا بيحسّسني إنّي شكلي حلو وإنّي جميلة، ابتدت العلاقة بيننا تتبني بهدوء، خروجات وفُسح وهدايا، غُنا ومزّيكا مع صُحابنا، وكلام حلو بيتقال في الموبايل بليل، مع مسكة إيد بعفوية على الكورنيش، مرورًا بأول مرّة يقول لي فيها "بحبّك" ولمّا ردّيت وقُلت له "وأنا كمان"، صُحابنا فرحولنا جدًا لمّا عرفوا إننا ارتبطنا، أنا كمان كُنت فرحانة، فرحتي كانت حقيقية أوي، يمكن لإن دي كانت أول مرة أحس فيها إنّي بحب بجد، وإن كُل اللي مرّيت بيه قبل كده كان إعجاب، شيء عظيم لمّا تحب حد بيشاركك نفس شغفك، وحلمه هو حلمك، بمرور الوقت ابتدينا نفكّر في حلمنا، وقررنا إننا نشتغل مع بعض، وفعلًا حصل، بدأنا بعمل covers لأغاني أجنبية، وسجّلناها ونزّلناها على الإنترنت، معدّاش وقت طويل والأغاني انتشرت وعجبت الناس، فَـ عملنا كذا أغنية تانية ونزّلناها، المُتابعين ابتدوا يزيدوا والناس حبّتنا، وبدأوا يطالبونا إننا نعمل حفلات! الفكرة كانت مجنونة جدًا، فكرنا كتير، وبعدين لقينا نفسنا بنقول ليه لأ؟! احنا كويسين! ونقدر نعمل ده، كُل اللي كُنّا محتاجينه حد بيلعب درامز كبداية، وهنعمل أحلى حفلة! حسّيت إننا بنكبر، وإن أحلامنا بتتحقق، لقيت "أحمد" بيحمّسني وبيشجّعني عشان نعمل الخطوة دي، واتفق مع واحد صاحبه درامر، وعملنا إيفنت للحفلة على الفيسبوك، ابتدينا نعزم الناس عشان تيجي، وفضلنا أسبوعين كاملين نعمل بروفات ونتدّرب على الأغاني اللي هنقدّمها، لحد ما جه معاد الحفلة، اللي حضرها عدد كويس جدًا بالنسبة لأول مرة لينا، كُنت مرعوبة، بس "أحمد" كان جمبي عشان يطمّني، كان واثق فيّا وواثق إننا هنأدّي كويس، خدني من إيدي وطلعنا على المسرح، وحيينا الجمهور، وابتدينا

الحفلة، سبت نفسي مع المزّيكا وصوت "أحمد"، وطلّعت أحسن حاجة عندي، الناس كانت مُتفاعلة معانا جدًا، وكانوا بيصقّفوا وبيهيّصوا بعد كُل أغنية، لحد ما غنّينا آخر أغنية وكانوا وصلوا معانا لأقصى درجات النشوة، فضلوا يهيّصوا لينا بصوت عالي، في اللحظة اللي لقيت فيها "أحمد" بيقرّب مني، وبيحضُنّي بكُل قوّته، وبيلف بيّا على المسرح، الناس هيّصت أكتر وأكتر، وصُحابنا فضلوا يصوّرونا عشان يفكّرونا بالمشهد ده، بعدها "أحمد" مسك إيدي وقرّبها من شفايفه، وباسها، ومال على ودني وهمس فيها وقال، "بحبّك يا مريم، أكتر من أي حاجة في الدُنيا"، لو عشت عُمر بحاله أحاول أوصف لكم سعادتي في اللحظة دي أكيد مش هعرف، سعادتي بتحقيق حلمي، وسعادتي بإنّي بحققه مع الشخص اللي حبّيته، مسك إيدي وبصّينا للجمهور، وحيّيناه، في اللحظة اللي اتقفلت فيها الستارة، عشان تعلن عن نهاية الحفلة، وبداية طريقنا مع بعض، أنا و"أحمد"..

طبعًا ليلة زيّ دي كان لازم نحتفل بعدها، صُحابنا خدونا وطلعوا بينا على كبابجي معروف في باب اللوق، كلنا الأكلة التمام، وبعدين طلعنا على محل حلويات في السيّدة عشان نحلّي، وفي الآخر رجعنا لقعدتنا على القهوة بتاعتنا في وسط البلد، وفضلنا نرغي ونضحك ونتسامر، لحد ما الساعة كانت قرّبت على 12 بليل، اتأخرت وكان لازم أروّح، كُنت لسّه هقول لـ"أحمد" عشان يروّحني في اللحظة اللي لقيت فيها حد من صُحابنا بيقول:

-"بقولكوا إيه يا جدعان.. ما تيجوا نكمّل حفلتنا في السُخنة؟ نروّح ننام ساعتين كده ونجهّز الشُنط، ونتقابل على الفجر، قُلتوا إيه؟"

افتكرته بيهزّر، ضحكت غصب عنّي وكُنت لسّه هعلّق على اللي قاله بسُخرية، في اللحظة اللي لقيت فيها بنت من الشلّة بترُد عليه وبتقول له:

-"طب والله فكرة مش بطّاله، أنا بقالي كتير مغيّرتش جو"

فجأة لقيتهم كُلّهم بيوافقوه وبيشجّعوه على الفكرة، الفكرة اللي كانت مُستحيلة بالنسبة لي! قُلت لنفسي أكيد "أحمد" هيُرفض وهيتريق عليهم زيّي، بصّ لي ولقيته بيقول لي:

-"ها.. إيه رأيك؟ احنا عُمرنا ما سافرنا مع بعض خالص قبل كده"

استغربت إنّه بيسألني عن رأيي، بصّيت له باستغراب وقُلت له:
-"رأيي في إيه يا أحمد؟ لأ طبعًا مش هينفع!"
-"ليه يعني؟"
-"هو إيه اللي ليه! أنا أصلًا كُنت هقول لك إنّي اتأخرت ولازم أروّح، تقوم تقول لي سفر والفجر؟! وبعدين أنا عُمري ما سافرت لوحدي مع ولاد قبل كده!"
-"ما البنات هيُبقوا معانا يا مريم! إيه المُشكلة في ده؟!"
سكت شوية كده، فَـ استغلوا سكوتي في إنّهم يحاولوا يقنعوني، قلّبت الموضوع في دماغي، ومعرفش ليه خوفت، خوفت من إنّي أسافر معاهم لوحدي، حتّى لو معانا بنات، حتّى لو مسافرة مع "أحمد"، الفكرة نفسها كانت جديدة بالنسبة لي، ومرفوضة بالنسبة لأهلي كمان! فكّرت شوية، وبعدين لقيت نفسي بقول لّهم:
-"معلش يا جماعة مش هعرف، روحوا انتوا لو حابّين، بس أنا بجد مش هقدر أعمل ده"
سكتوا كُلّهم وفضلوا يبصّوا لي ويبصّوا لبعض باستغراب، وكإنّي بقول حاجة غريبة أو خارجة عن المألوف بينهم، توقّعت إنّهم هيتخلّوا عن الفكرة وهيفكّروا في أي حاجة نعملها هنا من غير ما نسافر، توقّعت إن "أحمد" هيتقبّل رفضي وهيقول لهم بلاش نسافر، بس اللي حصل إنّي لقيته بيبُصّ لي باستغراب زيّهم، وبيقول لي:
-"أنا شايف إنّك مكبّرة الحوار أوي يا مريم، بس عمومًا اللي يريّحك، يلا، هروّحِك وبعدين أروّح عشان نجهز ونسافر، وانتوا كمان يلا قوموا ومتضيّعوش وقت، عشان نلحق اليوم من أوله هناك"
قاموا كُلّهم وقُمت معاهم، مكُنتش مُتوقّعة ردّة الفعل دي أبدًا، سبناهم وركبنا مُواصلة لحد البيت، وفي الطريق فضل يتكلم معايا في الموضوع، وإنّها حاجة عادية وإنّهم دايمًا بيعملوها سوا، وإنّي لازم أفُك شوية ومحبّكهاش أوي كده، ولو على الأهل، في مليون حجّة نقدر نقولها ونضحك عليهم بيها، بس المُهم إننا ننبسط ونفرفش، ومنخلّيش حاجة تتحكم فينا! مكُنتش عارفة أرُد أقوله إيه، مكُنتش عارفة أجادله أصلًا، سبته يتكلم لحد ما وصلنا، ولمّا لقاني لسّه ساكتة ومش برُد مسك إيدي وبصّ لي وقال لي:

-"مريم، السفرية هتبقى أحلى بكتير لو جيتي، ومتنسيش إننا أصلًا مسافرين عشان نحتفل بنجاحنا النهاردة، أرجوكي حاولي، هستنّى مُكالمتِك، ماشي؟"

ابتسمت له بتكلُّف وهزّيت راسي، وبعدين ودّعته واتحرّكت على البيت، دخلت لقيت ماما لسّه صاحية، بصّت لي من فوق لتحت وهزّقتني على التأخير بصوت واطي عشان بابا ميصحاش، وقالت لي إنّي لو متعدلتش هتقول له على التأخير ده، وهو يبقى يتصرّف معايا، كُنت مشحونة من الكلام اللي "أحمد" قاله، وكُنت متضايقة عشان هيسافر من غيري، فَـ سبتها من غير ما أرُد عليها هيَّ كمان، وقفلت على نفسي أوضتي وفضلت أفكّر، ومكُنتش عارفة أوصل لقرار، هل عادي إنّي أسافر معاهم فعلًا وأنا اللي مكبّرة الموضوع؟! ولا مش عادي وغلط؟! طب ماهو حتّى لو غلط، ما أنا باجي بليل متأخر وده غلط! وبعمل حاجات كتير أوي غلط! بشرب سجاير مثلًا وده بيضُرّني، بحضُن "أحمد" وبقول الحُضن مفيهوش حاجة يعني، وده برضو مش صح، فيها إيه لمّا أغلط المرة دي كمان! ده لو اعتبرناها حاجة غلط من أصله، طب.. طب وهقول لماما إيه لمّا تشوفني نازلة الفجر؟ عادي، مُمكن أقول لها إنّي نازلة ماراثون جري ولا حاجة، ما أنا نزلت أجري كتير قبل كده في الوقت ده، وهيَّ هتصدّق، ومُمكن كمان أقول لها إنّي هبات عند واحدة صاحبتي من الشلّة، وهبقى أكلّمها أو أخلّي بنت من بنات الشلّة تكلّمها، أو مُمكن أصلًا مباتش معاهم، مُمكن أروح يوم صد رد كده وأرجع بليل و.. إيه اللي انتي بتقوليه ده يا "مريم"! هيَّ وصلت إنّك تفكّري إنّك تكذبي على مامتِك عشان حاجة زيّ دي؟ حاجة انتي أصلًا رافضاها من جُوّاكي وخايفة منها؟! انتي مش بتفكري تروحي عشان عايزة تروحي، انتي بتفكري تروحي عشان نظراتهم ليكي النهاردة، وإحساسِك إنّك غريبة وسطهم، ومُختلفة عنهم بأفكارِك المُتخلّفة، انتي بتفكري تروحي لمُجرد إنّهم كُلّهم رايحين، فَـ مش عايزة تحسّي بإنّك الوحيدة المتسابة هنا وهُمّا بيستمتعوا وبيقضّوا وقت حلو من غيرِك، انتي عايزة تروحي عشان "أحمد" حسّسِك بكلامه ونظراته إنّك.. إنّك مأفورة! ومكبّرة الموضوع! مفكّرتيش ليه في إنّه كان المفروض يتقبل تفكيرِك ويقول لهم خلاص يا جماعة مش هنسافر؟ مفكّرتيش ليه في إنّه كان المفروض يقول إنّه حتّى لو كانت فكرة السفرية حلوة فَـ الأهم بالنسبة له إنه يبقى معاكي انتي، حتّى لو معملناش حاجة وفضلنا قاعدين على

القهوة! فجأة، حسَيت إنِّي بلوم "أحمد" أكتر ما بفكّر في إنّي عايزة أروح، لإنّي في الحقيقة فعلًا ماكُنتش عايزة أروح، فجأة، لقيت نفسي بميل على موبايلي، وبعت رسالة لـ"أحمد" بقوله فيها إنّي مش هسافر معاهم وإنّي تعبانة وعايزة أنام، وفضلت قاعدة مستنيّة ردّه، لحد ما لقيته بيبعت لي رسالة وبيقول لي فيها:

"طيّب اللي تشوفيه، هبقى أكلمِك لمّا نوصل عشان اتطّمن عليكي، أشوفِك بخير يا حبيبتي"

بصّيت للرسالة بشيء من الحُزن، وبعدين قررت أقفل موبايلي خالص، ونمت، نوم طويل مليان قلق، وبدل ما الليلة تقفل على حاجة حلوة أفضل فاكراها على طول، قفلت على نكد وحُزن، حُزن غير مُبرر بالنسبة لـ"أحمد"، وبالنسبة لأصحابه..!

....

أسبوع عدّى من وقتها، كان يُعتبر أسوأ أسبوع يمُر عليّا من فترة طويلة، كانوا قالوا إنُهم هيسافروا يومين، بس اليومين بقُدرة قادر بقُوا أسبوع، "أحمد" كان بيكلّمني كُل يوم مرّة علشان يطّمن عليّا، أو علشان يذّلني ويندّمني إنّي مجتش، كان بيحكي لي كُل الحاجات الحلوة اللي بيعملها في السفر وإن قد إيه هو مُستمتع مع أصحابه هناك، وبعدين يقول لي في نهاية المكالمة إن السفرية كانت ناقصاني، فَـ أرُد عليه بتكلّف وأقول له معلش، تتعوّض إن شاء الله، وأقفل معاه وأنا دمّي محروق، كُنت متضّايقة، مقدرش أُنكر إنّي كُنت متضّايقة من فكرة إن "أحمد" بيستمتع بوقته كده ومش حاسس بيّا ولا عامل إعتبار لمشاعري، كُنت متضّايقة لإنّي عوّدت نفسي الفترة اللي فاتت منبسطش ومستمتعش غير وأنا ويّاه، فَـ لمًا سابني وسافر لقيت نفسي فجأة لوحدي، ومش قادرة أستمتع بأي حاجة! حاولت أشغل نفسي بالمزّيكا والعزف، حاولت أجرب أعزف أي حاجة جديدة، بس معرفتش، ماكنش ليّا نِفس! لحد ما رجع بعد أسبوع، كلمني وقال لي إنّي وحشته وإنّه عايز يقابلني، هو كمان كان واحشني، مقدرش أقول غير كده، فَـ نزلت وقابلته في المكان اللي بنُقعد فيه سوا على الكورنيش، أول ما شُفته ابتسمت، وهو كمان ابتسم، وبعدين لقيته جاي ناحيتي وهو فاتح دراعاته على الآخر، وعايز يُحضني! فجأة ابتسامتي اختفت، ولقيتني ببعده بإيدي، استغرب رد فعلي في اللحظة اللي بصّيت له فيها باقتضاب وقُلت له:

-"في إيه يا أحمد؟ إحنا في نُص الشارع!"

-"أنا اللي في إيه؟ هو أنا مش واحشِك زيّ ما انت واحشاني ولا إيه؟"

-"واحشني طبعًا، بس الناس تقول إيه يعني؟!"

-"ما يولعوا يا مريم! هو حد ليه عندنا حاجة؟ وبعدين ما أنا حضنتِك على المسرح قُدّام الناس ومتكلمتيش وقتها، فرقِت إيه بقى؟!"

ارتبكت للحظة ومعرفتش أرُد، حسّيت إنّه ابتدا يلعب في دماغي، مال ناحيتي، وحضنّي بالراحة، استخبّيت في حُضنه عشان مشوفش الناس وهيّ بتبُص علينا، وبعدين بعدت عنّه شوية، كان باين عليّا إنّي مش مرتاحة، بصّ لي باستغراب، وهزّ كتافه ومعلقش، حسّيت إنّه زعل، من كلامي ومن طريقتي، فَـ حاولت أتكلم معاه وأفُكّه شوية، قُلت له يحكي لي على

اللي حصل في السفرية، فَـ ابتدا يحكي، وطلّع موبايله وبدأ يفرّجني على الصور والفيديوهات اللي اتصوروها هناك، ولقيت نفسي بتضّايق تاني غصب عنّي، بس المرة دي متضايقتش من فكرة السفر نفسها، اتضايقت من الطريقة اللي كان متصوّر بيها مع بنات الشلّة! كُلّهم كانوا لابسين مايوهات، وكان في تجاوز في اللمس بينهم بشكل واضح! ده غير الفيديوهات وهُمّا بيعوموا مع بعض وهزارهم في المايّة! اللي ماكنش هزار عادي! فجأة حسّيت.. حسّيت إن دي مش حاجة طبيعية المفروض أتقبّلها، ولقيت نفسي غصب عنّي بكلّمه في ده، لقيته بيرُد عليا بمُنتهى الهدوء وبيقول لي إنهم صُحابه من زمان، من أيام المدرسة، وبيعتبرهم اخواته، وإنهم اتعوّدوا على كده بينهم وبين بعض، كان شايف إن مفيش مُبرر بالنسبة لي إني أغير منهم، حاولت أفهّمه إن الموضوع مش غيرة بس! وإن طبيعي إن ده يبقى رد فعلي لإن ببساطة.. دي حاجة غلط! كان ردّه وقتها إن الصح والغلط ده شيء نسبي، وإن إحنا اللي بنحدّده وفقًا لمعاييرنا ومبادئنا، ونوايانا، كان شايف إن مدام نيّته مش وحشة يبقى خلاص، عادي! ماكُنتش عارفة أرُد عليه، ماكُنتش قادرة حتّى أعارضه أو أقول له إني مش مُتقبلة تفكيره، لإنّي.. لإنّي كُنت خايفة أخسره! ماكُنتش عايزاه يشوفني مقفّلة أكتر من كده، فَـ طاوعته، وقُلت له طيّب، وأنا من جُوّايا متضايقة ومش راضية عن اللي اتقال، حاولت أتغاضى عن أفكاره دي، بس مرور الوقت اكتشفت إنّه بيغيّرني معاه، بقيت بحضُن صُحابي الولاد عادي، وهو كان بيتقبّل ده، بقيت بزوّد في السجاير، ولساني بقى فالِت زيّه، ومفيش مرة لقيته بيكلمني في إن دي حاجات غلط والمفروض نبطّلها ومنعملهاش، اتسحبت لدُنيته واحدة.. واحدة وأنا مش حاسّة، يمكن لإنّي كُنت مركزة في حاجة أهم بالنسبة لي، حلمنا والفرقة بتاعتنا، اللي ابتدت تكبر يوم بعد يوم، دخل معانا أعضاء جُداد، وحفلاتنا كترت واتشهرنا، عارفين.. دلوقتي بقول لنفسي ياريتني ما طاوعته، لإن اللي بقى بيحصل بعد كده منّه كان غير مُحتمل بالنسبة لي، بمرور الوقت ابتدا يبُصّ لي بشكل تاني، بشكل متوقّعتش إنّه ييجي منّه، كُنّا لمّا نُقعد لوحدنا ويحصل بيننا كلام حلو أو حاجة، ألاقيه فجأة بيحاول يبوسني، أو بيحاول يتجاوز حدوده معايا، وأنا كُنت دايمًا بصُدّه، مش عارفة هتفهموني ولا لأ، بس أنا ماكُنتش حابّة إن الحاجات دي تحصل بيننا غير واحنا متجوّزين! طبعًا هو كان شايف إن البوسة واللمسة

مش حاجة كبيرة يعني، دول يدوب حاجات خفيفة بنصبّر بيها نفسنا زيّ.. زيّ الأحضان!
وكان دايمًا بيضرب المثل بالمُرتبطين حوالينا، وإن ده بقى شيء عادي خلاص، كُنت بحس إنّي هضعف وأسمع كلامه، لإنّي كُنت بحبّه، وكُنت بحس إنّي نفسي في ده زيّه، بس كان في حاجة جُوّايا بتمنعني إنّي أعمل كده، وفضلت ثابتة على موقفي، أمّا هو، فَـ استغرابه ليّا كان بيزيد يوم عن يوم، وبمرور الوقت ابتديت أحس إنّه بيبعد، وكأن.. وكأن الحاجات دي هيَّ السبيل الوحيد لاستمرار حُبّنا، كُنت بشوف نظراته للبنات والتجاوز اللي بيحصل بينهم، خاصّة مع مُعجباته اللي كانوا بيرموا نفسهم عليه في حفلاتنا، كُنت بشوف ده وبتقهر، وبكدّب نفسي وبقول عادي، الكلام ده بيحصل مع كُل المُغنيين المشهورين، متزعليش، مش أزمة، وبعدين لو هو بيبعد فَـ أكيد انتي السبب، انت اللي مبقتيش تهتمي بيه زيّ الأول، ومبقتيش بتهتمي بشكلِك زيّ زمان، لومت نفسي على التغيير اللي حصّل له، وقررت أغيّر من الأستايل بتاعي، تزامُنًا مع حفلتنا الكبيرة اللي كُنّا هنعملها آخر الشهر، الحفلة اللي كان هيحضرها موزّعين ومُنتجين كُبار في الوَسط، واللي كانت هتفتح لنا باب جديد في طريق حلمنا، باب النجومية! غيّرت تسريحتي ولون شعري، غيّرت اللينسيز بلون جديد، وعملت بيرسينج، شكلي بقى مُختلف عن الأول، ومكدبش عليكم، كُنت مبسوطة إنّي عملت كده، وكُنت عارفة إن هو كمان هينبسط بده، قررت أفاجئه، جبتله ورد، وأكتر نوع شيكولاتة بيحبّه، وبعدين كلّمته علشان أشوفه فين، موبايله كان مقفول، روحت على الإستوديو، ولقيت اتنين من صُحابنا الولاد قاعدين في الريسيبشن، مشغلين الراديو وبيسمعوا أغاني أجنبي باستمتاع، أول ما شافوني قاموا وابتسموا لي، سألتهم عليه، قالوا لي إنّه مشي من ساعتين ومقالش هو رايح فين، وإنّه تقريبًا روّح، استغربت إنّه مشي ومكلّمنيش، بصّيت لهم وابتسمت، وبعدين سلّمت عليهم واتحرّكت ناحية الباب، في اللحظة اللي شمّيت فيها ريحة مألوفة جايّة من باب الـ room اللي بنسجّل فيها، ريحة أنا عارفاها كويس، وبحبّها، ريحة البيرفيوم بتاع "أحمد"، فضلت واقفة للحظة وأنا باصّة ناحية باب الأوضة، وبعدين بصّيت لهم، لقيت ملامحهم ابتدت تتغيّر، قلبي اتقبض من الفكرة اللي جات لي وقتها، للحظة كُنت همشي عشان أهدمها من جذورها، بس

مقدرتش، فجأة لقيت نفسي بتحرك ناحية الأوضة بسُرعة، حاولوا يمنعوني بس ملحقوش، فتحت الباب فجأة ودخلت، وشُفته..

شُفت "أحمد".. نايم على الكنبة.. قالع هدومه.. ومعاه بنت نايمة في حُضنه..

....

للحظة، حسّيت إن قلبي وقف لجُزء من الثانية، وبعدين رجع يدُق تاني، كُل الأصوات اختفت من حواليا، تركيزي كلّه كان مُنصب على المنظر اللي شُفته قُدّامي، ومقدرتش أحيد بنظري عنّه، "أحمد"، نايم على الكنبة، واخد واحدة في حُضنه، بيمُر بشفايفه على رقبتها بشهوة، وبيحسس بأنامله على تفاصيل جسمها، اتخض فجأة لمّا سمع الباب بيتفتح، فَـ ملحقش يكمّل اللي كان بيعمله، بصّ لي وهو مصدوم! البنت اتخضّت هيَّ كمان، قامت فجأة من تحتيه، و لمّت هدومها بسُرعة من على الأرض، اتأملتها، بنت عشرينية، أصغر منّي بحاجة بسيطة، شبه عريانة، ومُهتمة بشكلها بزيادة، لمُت هدومها وهيّ راكعة على الأرض، وحاولت تداري بيها نفسها، كُل ده وأنا متسمّرة في مكاني، مش قادرة أنطق، مش قادرة حتّى أصدّق إن اللي شايفاه قُدّامي ده حقيقة مش خيال، فجأة لقيتني باخُد نَفَس عميق وطويل، واكتشفت إنّي طول الوقت ده ماكُنتش بتنفّس من شدة الصدمة، فجأة ابتديت أستوعب إنّي مش بحلم، وإن اللي بيحصل ده مش مُجرد صورة موجودة في خيالي، ده واقع، واقع ملموس، الدموع ابتدت تتكوّن في عينيًا، كانت في نفس اللحظة اللي حاول يتكلم فيها، بس مقدرش يقول أكتر من اسمي، "مريم"، محسّتش بنفسي وقتها، جريت ناحيته فجأة بدون أي سابق إنذار، واترميت عليه قبل ما يفكّر يقوم أو يعمل أي حاجة، في نفس اللحظة اللي البنت جريت فيها ناحية الباب، وخرجِت منّه بسُرعة، رميت نفسي على "أحمد" وفضلت أضرب فيه بعشوائية، وأنا بصرُخ، وأنا بعيِّط، ماكنش عارف يدافع عن نفسه أو يمنع ضرباتي عنّه، فضلت أضرب فيه لحد ما لقيت صُحابه بيمسكوني فجأة وبيشدُوني بعيد عنّه، حسّيت إنّي مش قادرة أقاومهم، كُنت مُنهارة وحاسّة إن هيجرا لي حاجة، كُنت بعيِّط بحُرقة، وعلى لساني جُملة واحدة عمّالة أرددها، "ليه؟ ليه تعمل فيّا كده؟!"، فضلت أكرر نفس الجُملة وهُمّا ماسكيني من دراعاتي وبيبعدوني عنّه، في اللحظة اللي لقيته بيقوم فيها من على الكنبة وبيقول بانفعال:

-"مش عارفة! بجد مش عارفة ليه يا مريم؟"

بصّيت له وأنا مذهولة من رد فعله، وقف على رجليه واتحرّك ناحيتي وهو بيوجّه لي أصابع الاتهام وبيقول:

-"انتي السبب في كده! انتي اللي كُنتي بتمنعيني عنك بحجج واهية وضعيفة! معلش أصل مش هينفع! معلش أصل كده عيب! لمّا نبقى نتجوّز يا حبيبي! كُنتي عايزاني أعمل إيه يعني؟! ما أنا كان لازم أضعف وأدوّر على اللي مش لاقيه معاكي مع حد تاني!"

-"انت بتبرر إيه؟ بتبرر خيانتك؟ بتقول لي إن أنا السبب في إنك تخوني؟ انت مجنون!"

-"لأ أنا مش مجنون! أنا بني آدم، وكُل بني آدم في الدُنيا عنده احتياجات لازم يشبعها"

-"متقدّمتليش ليه؟ لمّا انت مش قادر تتحكّم في رغباتك خالص كده، ليه معرضتش عليّا الجواز؟ كُنت هرفُض! كُنت هقولك لا يا حبيبي مش وقته؟!"

ارتبك للحظة وبعدين قال:

-"انتي عارفة إن الجواز مسؤولية إحنا مش قدّها دلوقتي، ولا جاهزين نتحمّلها"

-"آه، صح، معاك حق، فَـ أنا إيه بقى.. المفروض أسيب لك نفسي وأعمل معاك اللي مش مفروض يحصل غير بين اتنين متجوزين، علشان انت مش قادر تُصبر، ولو رفضت، يبقى من حقّك تروح تخوني عادي! مش كده؟! مش ده اللي انت عايز تقوله؟!"

-"يا مريم أنا مقولتش إنّي مغلطتش، أنا بس بقول إن غلطي ده كان رد فعل مش أكتر، وبعدين أنا مطلبتش منّك حاجة كبيرة للدرجة دي! أنا مقولتلكيش تعالي نامي معايا يعني!"

قال الجُملة الأخيرة بمُنتهى البرود، لقيتني بسكُت للحظة، وفضلت بصّه له من غير ما أتكلم، قرّب منّي في اللحظة اللي صُحابه سابوني فيها ورجعوا خطوتين لورا، بصّ لي وقالي بنبرة صوت أهدى شوية:

-"مريم، مريم أنا بحبّك، والله العظيم بحبّك، وعُمري ما روحت بمشاعري لأي بنت تانية غيرك، انتي البنت الوحيدة اللي هتفضل ساكنة قلبي مهما حصل، أنا.. أنا عارف إنّي غلطت، بس انتي كمان غلطتي لمّا بعدّتيني عنك الفترة اللي فاتت، وأنا.. أنا كُنت محتاج ده، حقيقي كُنت محتاجه، بس في نفس الوقت محتاجِك، ومقدرش أبعد عنك أبدًا"

كان بيلعب على مشاعري زيّ عادته دايمًا، قلبي اتهز من كلامه، بصّيت في الأرض..

في اللحظة اللي سمعت فيها الراديو برّه بيشغّل أغنية لحنها مش غريب عليّا، لحن عارفاه وحافظاه كويس، لحن أغنية Let her go، الأغنية اللي لعبناها سوا أول مرة شُفته

فيها، ركّزت مع الأغنية ومسحت دموعي بإيدي، خدت نفس عميق وبعدين بصّيت له شوية وكإني بتملّى في ملامحه، لما سمعت المُغنّي في الراديو وهو بيقول:

"Only know you love her when you let her go, and you let her go"-

فجأة لقيت نفسي بقوله بمُنتهى الهدوء:

-"عارف يا أحمد إيه الأوسخ من إنك تكون بني آدم وسخ؟!"

جمّعت كُل قوّتي في إيدي اليمين، ورفعتها فجأة، ونزلت بيها على وشّه، الصفعة كانت قوية لدرجة إنّه رجع لورا خطوتين وفضل يترنّح في مكانه من شدّة الصدمة، بصّ لي بذهول وكأنه مش مصدّق إنّي عملت كده فعلًا، كمّلت كلامي وقُلت:

-"إنك تحاول تبرر وساختك"

****

"مريم" كانت بتعيّط وهيّ بتحكي مُعظم الوقت، ووصلت لأقصى درجات الإنهيار وهيّ بتنهي حكايتها، "ياسمين" و"شروق" و"نور" مقدروش يمسكوا دموعهم اتحرّكوا هُمّا التلاتة ناحيتها، وحضنوها بكُل قوّتهم، لاحِظت إن "مُصطفى" كمان كان بيدمَع، بس مسح دموعه بسُرعة عشان محدش ياخُد باله، "يوسف" و"هشام" بصّوا لبعض وهُمّا متضّايقين من اللي سمعوه، وابتدوا يشاركوني نظراتهم في اللحظة اللي لقينا "مريم" بتقول فيها رغم دموعها:

-"كان بالنسبة لي أول حُب، وأجمل حُب، وفجأة قرر ياخُد منّي كُل حاجة، مش بس كده، ده كمان بيلومني وبيقول إن أنا السبب! أنا السبب علشان متساهلتش معاه، أنا السبب علشان.. علشان.."

-"اهدي يا مريم أرجوكي، متعمليش في نفسِك كده، محدّش في الدُنيا يستاهل إنّك تتعبي علشانه بالشكل ده!"

"ياسمين" قالت الجُملة الأخيرة بصوت مكتوم من العياط، راحت "شروق" مكمّلة وقايله:

-"ياسمين معاها حق يا مريم، وبعدين انتي لازم تبقي فخورة بنفسِك، اللي عملتيه ده هو أكبر صح!"

رد "يوسف" وقال:

-"أيوة! أنا حقيقي كُنت خايف وانتي بتحكي إنّك تقولي إنّك ضعفتي، وإنّه قدر يخليكي تتنازلي عن مبادئِك عشانه، انتي قوية يا مريم!"

-"قوية؟"

قالتها "مريم" باستهزاء، قام "مُصطفى" بصَ لها وقال:

-"طبعًا قوية! انتي وقفتي قُدّام أكتر حد حبّتيه! وقفتي قُدّامه ومسلّمتيش نفسِك ليه! لإنّك كُنتي عارفة إن دي حاجة غلط ومش المفروض إنّها تحصل، مش أي حد يقدر يعمل كده!"

-"وفادتني بإيه قوّتي دي يا مُصطفى؟ ماهو في الآخر كسرني! كسرني ودمّرني!"

ردّيت عليها:

-"متقوليش كده يا مريم، مفيش حد في الدُنيا مهما كان يقدر يدمّرك! لازم تكوني راضية تمامًا عن اللي عملتيه، اوعي تندمي للحظة أو تفكّري إنّك غلطتي، هو اللي زبالة، هو اللي ميستاهلش واحدة نضيفة زيّك!"

قُلت الجُملة الأخيرة بحُرقة واضحة، كُنت حقيقي متضّايق لـ"مريم"، وماكُنتش عايزها تحس إنّها كان المفروض تعمل حاجة عكس اللي عملِتها، سكتت للحظة، وبعدين ردّت عليّا وقالت بصوت ضعيف:

-"بس.. بس أنا لسّه بحبّه!"

"هشام " انفعل غصب عنّه وهو بيرُد عليها وبيقول:

-"إيه اللي انتي بتقوليه ده يا مريم؟ إزّاي؟ إزّاي لسّه بتحبّيه بعد ما شُفتيه بعينيكي وهو.."

-"أنا عارفة إنّها مش حاجة منطقية وإنّي مش المفروض أقول كده، وعارفة إنّي مينفعش أرجع له مهما حصل، بس.. بس أنا قُلت اللي أنا حسّاه! أنا صحيح مش قادرة أسامحه علي اللي عمله، بس في نفس الوقت مش قادرة أبطَل أحبّه! اللي بيني وبينه كان أكبر من مُجرد علاقة حُب! إحنا كان في بيننا حلم! حلم واحد وهدف مُشترك بنسعا له إحنا الإتنين، إحنا بدأنا سوا، وكبرنا سوا، وكُنّا خلاص هنحقق حلمنا، لولا اللي حصل، أنا.. أنا لحد دلوقتي مش قادرة أصدّق، مش قادرة أصدّق إنّي المفروض أنسى كُل حاجة بيننا، وأتخلّى عن كُل حاجة وصلنا ليها سوا، وبرغم كُل الوجع اللي سبّبهولي والألم اللي حسّسني بيه، إلا إنّي مش قادرة، مش قادرة أنساه، أنا.. أنا فعلًا لسّه بحبّه!!"

ضغطت بكلماتها على كُل وتر في قلبي، حسّيت الدموع وهيّ بتتكوّن في عينيا، بس رفضت إنّي أبيّن لها، كلامها عن إنّهم كانوا بيتشاركوا حلم واحد آثر فيّا، وفكّرني بحاجات ماكُنتش حابب أفتكرها، فجأة لقيتني بقولها بصوت حزين:

-"فاهمِك، فاهمِك يا مريم، وحاسس بكُل كلمة قُلتيها"

بصّت لي وابتسمِت، ابتدت تهدى ومسحت دموعها، في اللحظة اللي "نور" اللي قالت لها فيها:

-"وبعدين يا مريم؟! إيه اللي حصل بعد ما سبتيه يومها؟!"

-"مسابنيش هو، حاول يوصل لي بشتّى الطُرق، كلمني ومردّتش عليه، بعتلي رسايل كتير جدًا، زق صُحابه عليًا عشان يقنعوني أسامحه ونرجع، ولمّا ملقاش منّي رجا بعت يقولي إنّه محتاجني، وإنّه مش هيقدر يحيي الحفلة لوحده! قال لي إنّه مش عايز منّي حاجة غير إننا نكمّل حلمنا سوا، ومنهدّوش، حلّفني بكُل حاجة حلوة بيننا، حلّفني بحلمنا اللي حلمنا بيه مع بعض، وحسّسني إنّه فعلًا محتاجني أقُف جمبه في الحفلة اليوم ده!"

-"وعملتي إيه؟"

-"لسّه مردّتش عليه يا شروق!"

-"هي الحفلة إمتى بالظبط؟"

-"بعد بُكره!"

-"طب.. طب ناوية على إيه؟ هتروحي؟"

سكتت وغمّضت عينيها للحظة، اتنهِّدت بعُمق، وبعدين ردّت بصدق حقيقي:

-"مش عارفة، بجد مش عارفة؟"

قُمت من مكاني فجأة وأنا مُنفعل، انفعال ممزوج بحُزن واضح، وقُلت بصوت عالي:

-"لا يا مريم متروحيش! إلا الخيانة! إلا الخيانة يا مريم! إحنا.. إحنا مُمكن نعدّي أي حاجة، ونسامح على أي غلطة، بس الخيانة لأ! الخيانة شيء لا يُغتفر! متعمليش كده، متعمليش كده علشان خاطري!"

-"اهدى، اهدى يا حاتم! في إيه بس مالك؟"

"يوسف" قام ومسكني من إيدي بالرّاحة وهو بيقول الجُملة الأخيرة، بصّيت له، وبعدين بصّيت لهم كُلّهم، لقيتهم بيبصّوا لي بخوف وهُمّا مش فاهمين أنا عملت كده ليه، حسّيت إنّي اتماديت في رد فعلي، وحاولت أتمالك أعصابي، سبتهم واتحرّكت ناحية ترابيزة السُفرة ببُطء، وصبّيت لنفسي كوبّاية مايّة، وبعدين شربتها كُلّها على مرة واحدة، فضلت واقف في

مكاني شوية وأنا مدّيهم ضهري، وبدأت أفتكر كُل حاجة حصلت معايا، من الأول، من الأول خالص، في اللحظة اللي سمعت فيها صوت "ياسمين" وهيَّ بتنده عليّا وبتقول لي:

-"حاتم؟ حاتم انت كويس؟!"

لقّيت في مكاني بالرّاحة وواجهتهم، بصّيت لهم واحد واحد، اتملّيت في وشوشهم وملامحهم، كان باين عليهم إنّهم قلقانين عليّا، بصّيت لـ"ياسمين" وهزّيت دماغي، وفضلت واقف في مكاني للحظة، لقيت نفسي بقول بعدها بصوت واطي:

-"عندكم.. عندكم إستعداد تسمعوا حكاية كمان؟"

****


الحكاية الثامنة حاتم

البداية إزّاي..!

البداية كانت مُختلفة، بعيدة تمامًا عن أسطورة الحُب من أول نظرة، وإنّي أشوفها لأول مرة فَـــ تخطفني وتخطف قلبي، لأ خالص، البداية كانت عادية، عادية جدًا، ويمكن ده اللي خلاها مُميزة..؛

كان عندي 16 سنة لما شُفتها أول مرة، يعني كُنّا طالعين أولى ثانوي، يومها كُنت نازل أجيب شيبسي من كُشك عم أشرف اللي في الميدان، ركبت عجلتي واتحركت بيها، ولاحِظت إن كان في عربية نقل كبيرة راكنة تحت العمارة اللي قُدّامنا الناحية التانية، وبينزلوا منها عفش، مهتمتش أوي، وصلت بالعجلة عند كُشك عم أشرف، ركنتها ودخلت عشان أجيب الشيبسي، بصّيت على فرشة الكُتب اللي عنده، لقيته جاب عددين جُداد من سلسلة ما وراء الطبيعة لدكتور.. أحمد خالد توفيق، "أسطورة أرض الظلام" و"أسطورة نادي الغيلان"، كُنت دودة قراية ما انتوا عارفين، وكُنت بحب السلسلة دي جدًا، عدّيت الفلوس اللي معايا، لقيتها مش هتكمّل أجيب العددين والشيبسي، فَـــ قررت أجيب عدد واحد بس، "أسطورة أرض الظلام"، آخر مُغامرات "سالم" و"سلمى" في السلسلة، كُنت هموت وأعرف اللي هيحصل لهم المرة دي، اشتريت العدد والشيبسي وبعدين خرجت وحطّيتهم في الباسكت بتاع العجلة، ورجعت بيها على البيت، فضلت أبدّل بسُرعة عشان ألحق أقرأ القصّة الجديدة، في اللحظة اللي شُفت فيها عربية بتركن قُدّام العربية النقل اللي كانت بتنزّل العفش، وشُفتها، شُفتها وهيّ بتنزل من الباب الخلفي للعربية، وغصب عنّي لقيتني بركّز في ملامحها، ملامحها البريئة والمُميزة، كانت بتُملك عيون واسعة، لونهم غريب، مقدرتش أحدده في لحظتها، رموشها كانت تقيلة، وبشرتها كانت صافية، أمّا شعرها فَـــ كان اسود وطويل، ناعم ومُنسدل على كتفها، عينها جت في عيني وهيّ نازلة من العربية، ركّزت معاها لكام ثانية وأنا مش واخد بالي من الطريق، وفجأة، لقيت نفسي بخبط في بلاعة وبتقلب بالعجلة، مقدرتش أتحكم في توازني ووقعت بعد عربيتها بشوية، كانت واقعة جامدة، نزلت بتُقلي كُلّه على رُكبتي، ووجعتني جدًا في لحظتها، فجأة لقيتها بتجري ناحيتي باهتمام بالغ، نزلت جمبي على الأرض وقالت لي:

-"انت كويس؟"

بصّيت في عينيها مرة كمان، والمرة دي قدرت أحدد لونها، أو ألوانها، كان فيها من درجات البُنّي والاسود والأزرق الداكن، متحاوطين بدايرة لونها دهبي، زيّ زهرة عبّاد الشمس، فتحت بُقّي عشان أرُد عليها، في اللحظة اللي لقيت باباها فيها بينزل من العربية، اتحرك ناحيتي وهو بيقول:

-"ألف سلامة يا ابني، مش تخلّي بالك!.. طمنّا عليك حصل لَك حاجة؟"

-"لأ أنا تمام، الحمد لله جت سليمة"

-"الحمد لله، بس بردو خلّي بالك، أنا كُنت ماشي بالعربية عمّال أتفادى الحُفر والمطبّات وأنا مش فاهم في إيه، ماكُنتش أعرف إن الطُرق في مصر بقت وحشة أوي كده!"

هزّيت راسي في اللحظة اللي سمعنا فيها صوت حاجة بتخبط في الأرض، بصّينا ناحية عربية العفش ولقينا واحد من العُمّال بيخبط كُرسي بغشومية شوية، فجأة لقيت باباها بيسيبنا وبيتحرك ناحية العامل وهو بيقول بصوت عالي:

-"يا ابني بالراحة على العفش! ده لسّه جديد، هو مفيش حاجة بتتعمل صح في البلد دي أبدًا؟"

حسّيتها اتكسفت من أسلوب باباها، هزّت دماغها وقالت لي:

-"معلش أصل بابا بقاله كتير منزلش مصر، احنا كُنّا عايشين في الكويت ولسّه راجعين من أسبوع واحد، انت.. انتَ ساكن قُريّب من هنا؟"

-"في العمارة اللي قُدّامكم"

قُلت الجُملة الأخيرة وأنا بشاور على عمارتي وبلكونتي، وبعدين حاولت أقوم، حسّيت بشوية وجع في رُكبتي، بس مبيّنتش ده، لقيتها بتمد لي إيدها عشان تقوّمني، شكرتها وقُمت من غير ما أتسند عليها، حسّيتها اتكسِفت مرت تانية، فَـ قررِت إنها تلم لي الحاجة اللي اتنطورت من باسكت العجلة، شالت الشيبسي، وبعدين بصّت للقصّة باهتمام، عينيها لمعت وبصّت لي وهي بتبتسم، ابتسامتها كشفِت عن غمّازة في خدّها اليمين، واكتشفت وقتها إن عينيها بتقفل بشكل حلو أوي لمّا بتبتسم، لقيتها بتقول لي بحماس بالغ:

-"ده العدد الجديد من ما وراء الطبيعة؟"

-"أيوة، بتحبّيها؟"

-"انت بتهزر! أنا بعشقها، وبعشق الأجزاء بتاعة سالم وسلمى بالذات، قرأت الجُزء اللي فات بتاعهم؟ أسطورة أرض العظايا؟"

-"طبعًا.. واترعبت من الفكرة بتاعتها!"

-"وأنا كمان، هي دي آخر مُغامرة ليهم في السلسلة مش كده؟"

-"أيوة"

-"ياترى إيه اللي هيحصل لهم؟"

بصّيت لها وهيَّ ماسكة القصّة وبتتفرّج على الغُلاف باهتمام، سكت للحظة، وبعدين لقيت نفسي بقول لها فجأة:

-"انتي.. انتي مُمكن تاخديها على فكرة"

-"بجد!"

-"بجد، بس ترجعيها تاني طبعًا"

نطّت في مكانها من كُتر ما كانت فرحانة وبعدين قالت لي بصوت مليان بهجة:

-"أكيد هرجّعها، أنا بجد مش عارفة أقول لَك إيه، أنا كان نفسي أقراها جدًا!"

ابتسمت لها وهزّيت راسي، في اللحظة اللي باباها نده لها فيها وقال:

-"سلمى! ياللا يا حبيبتي بقى"

بصّيت لها وابتسمت بعفوية، وبعدين قُلت لها:

-"سلمى! اسمِك سلمى؟"

-"أيوة يا سيدي، شُفت الصُدفة! إوعى تقول لي إن انت كمان اسمك سالم!"

ضحكت غصب عنّي، وردّيت وقُلت:

-"لا لا مش للدرجة دي، أنا اسمي حاتم"

-" مممم، حلو، مش بطّال برضو"

ضحكنا في وقت واحد، وبعدين باباها نده عليها مرة تانية، شكرتني على القصّة، وبعدين طلعت تجري ناحية باباها، فضلت أراقبها لحد ما وصلِت لمدخل العمارة، وقبل ما تُدخل لقيتها بتلف وبتبُصّ لي، وبتشاور لي من بعيد، شاورت لها أنا كمان، وبعدين مِلت على عجلتي وعدلتها، وزقّيتها بالراحة لحد البيت وأنا بعرُج، كُنت مُبتسم ابتسامة هبلة، وكُنت بفكّر في فكرة واحدة وقتها، إن أنا والبنت دي مُمكن نبقى صُحاب، لأ، احنا أكيد هنبقى صُحاب..

....

رُكبتي فضلت واجعاني فترة بعدها، وماكُنتش بقدر أنزل حتّى من البيت، وفي يوم لقيت الباب بيخبّط، بابا فتح الباب وبعدين جه وقال لي إن في بنت عايزاني على الباب برّه، سألته بنت مين؟ قال لي إنّها تقريبًا بنت جيراننا الجُداد، قُمت واتسنّدت على العُكّاز بتاع بابا، ورُحت لها عند الباب، لقيتها واقفة وهيّ بتبتسم لي، بس أول ما لاحظِت اصابتي ابتسامتها اختفت، وحسّيت في عيونها نظرة قلق، سلّمِت عليّا واتطمّنِت على حالتي، وبعدين قالت لي إنّها كانت حاسّة إنّي تعبان، عشان اختفيت فجأة ومنزلتش خالص من وقتها، فَـ قررِت تيجي تطمّن عليّا وترجّع لي القصّة، ولقيتها بتديني معاها عدد تاني، "أسطورة نادي الغيلان"، العدد اللي كُنت عايز أجيبه من كُشك عم أشرف ومكانش معايا فلوس تكمّل، قالت لي إنّها كانت نازلة تجيب حاجة من هناك وشافته، فَـ قررت تجيبه، وقالت إنّها مش هتقراه غير لمّا أقراه أنا الأول، عشان متبقاش سابقاني بعددين كاملين، فرحت جدًّا إنّها فكّرت فيّا بالشكل ده، وشكرتها على اهتمامها، في اللحظة اللي ماما كانت معدّية فيها من جمبي، ندهت عليها وعرّفتهم على بعض، راحت ماما مسلّمة على "سلمى" وعزمت عليها تُدخل تشرب حاجة، حاولِت تخلع بشياكة من عزومتها، فَـ ماما مرضيتش تضغط عليها، سلّمت علينا في النهاية، واتفقنا نتقابل تاني بعد ما خدنا أرقام بعض، كُل حاجة بعد كده جت لوحدها بمُنتهى السلاسة، خفّيت وبقيت بنزل عادي، وكُنت بقابلها صُدفة كتير، كانت بتروح المدرسة الأميريكان اللي كانت جمب مدرستنا فاكرينها؟ فَــ كُنّا بنتمشّى مع بعض لحد هناك، ونرغي، حكيت لها عنكوا، وعرّفتها شوية حاجات بسيطة عن أهلي، قُلت لها إن بابا بيشتغل مُصوّر فوتوغرافي، وإن ماما فنانة تشكيلية، وحكيت لها على حُبّي للكتابة، علّقِت وقالت إن الفن شكله بيجري في دمّنا، وقالت إن هيَّ كمان نفسها تشتغل في المجال ده، في حاجة ليها علاقة بالأفلام والسينما، قالت لي إنّها بتحب السينما جدًّا، ولمّا بتقرأ بتُقعد تتخيّل الأحداث وكإنّها بتتفرج على فيلم، بترسم الكادرات في خيالها وبتلوّن المشاهد، وكأنّها حقيقة ملموسة، كُنت فاهمها جدًّا لإن أنا كمان كُنت بعمل كده، محكيتليش حاجات كتير عن أهلها، قالت لي بس إنّها وحيدة باباها ومامتها زيّي، وإنّها اتولدت في الكويت وعُمرها ما نزلت مصر قبل كده، قالت لي إنّها ماكنش ليها صُحاب في الكويت خالص، كانت مُنطوية جدًّا من وهيَّ صُغيّرة،

يمكن لإنّها كانت بتحب حاجات ماكنش حد بيحبّها غيرها، زمايلها في المدرسة كانوا بيحبّوا اللعب والتنطيط، وهيَّ كانت بتحب الهدوء، والقراية، قالت لي إنّها كانت فرحانة جدًا لمّا عرفت إنهم نازلين مصر، وحسّت إنّها هتقدر تعمل صداقات كتير هنا، وفعلًا حصل، صداقتنا كانت أول صداقة تكوُنها، وبعد كده ابتدت تكوّن صداقات تانية في مدرستها، بس مفيش شك إنّي كُنت أقرب صديق ليها، لإنّي كُنت أول صديق، مكدبش عليكوا هيَّ كمان كانت قُريّبة منّي أوي، معرفش ليه! بس كُنت بحس إنّي بقدر أتكلم معاها براحتي، براحتي جدًا، كُنت أحكي لها عن المدرسة ومُغامراتنا في المدرسة، وهيَّ تحكي لي عن نظام الدراسة عندهم اللي كان مُختلف تمامًا عن نظامنا، أحكي لها على إنّي بفكّر أحترف فن السيناريو وإنّي عايز أدخُل معهد سينما بعد الثانوية، ألاقيها بتشجّعني وبتقول لي إنها كمان حابّة تدرس إخراج، وإننا مُمكن نُدخل معهد سينما سوا، أحكي لها عن البنت اللي عاجباني في الفصل ومش عارف أكلّمها، وهيَّ تدّيني نصايح عشان أقدر أقرّب منها وأقول لها إنّي مُعجب بيها، وفي الآخر أتكسف ومقولهاش برضو، فَـــ تقول عليّا خايب، وتُقعد تتريق عليّا لحد ما تشد انتباهي بنت تانية، وأقول لها إنّي مُعجب بيها برضو، وهكذا، علاقتنا فضلت تتطوّر بمرور الوقت، لحد ما اتخرّجنا من الثانوية، وقدّمنا في معهد السينما، واتقبلنا إحنا الإتنين زيّ ما كُنّا بنحلم، هيَّ في قسم الإخراج وأنا في قسم السيناريو، وهنا.. بدأنا مرحلة مُختلفة في حياتنا، انتوا ابتديتوا تختفوا من حياتي واحدة واحدة، وصُحابها كمان بدأوا يبعدوا عنها بحُكم اختلاف الكُليّات وكده، ماكنش لينا غير بعض وقتها، وبرغم إننا كُنّا في أقسام مُختلفة إلا إن ده مأثّرش علينا وعلى صداقتنا، بالعكس، كُنّا بنُقعد نذاكر سوا برغم اختلاف المواد اللي كُنّا بناخُدها، وطبعًا كُنّا بنروح المعهد ونيجي كُل يوم مع بعض بما إننا كُنّا جيران، كُنّا شاطرين جدًا في المعهد، وكُل حاجة كانت بتقول إننا هنطلع من الأوائل، وهيبقى لينا شأن كبير في المجال ده، كُنّا مصدّقين ده جدًا.. جدًا، بس محدش فينا توقع اللي حصل بعد كده، وإنّه مُمكن يأثّر علينا بالشكل ده..

في سنة تالتة، بابا جات له ذبحة صدرية مُفاجأة زيّ ما انتوا عارفين، ومقدرش يتحملّها، مات فجأة، واختفى من حياتي بشكل نهائي، محدش كان يعرف خالص العلاقة بيني وبين أبويا كانت عاملة إزّاي، ولا حتّى "سلمى"، أنا.. أنا كُنت بعشقه! بابا كان بالنسبة ليا هو

بطل حياتي، السوبر هيرو بتاعي، كُنت دايمًا بتعامل معاه على إنّه هيفضل على طول، مش هيمشي، أو على الأقل مش هيمشي دلوقتي، مش هيمشي بدري كده، اتدمّرت، اتدمّرت تمامًا، فاكرين شكلي في العزا كان عامل إزّاي؟ أكيد فاكرين، أنا كمان فاكر لمّا جيتوا عشان تعزّوني، ونظرات القلق على حالي اللي كانت مالية وشوشكم، تقريبًا دي كانت آخر مرّة نتجمع فيها كُلّنا، فاكر برضو لمّا حاولتوا تسندوني وقتها وتُقفوا جمبي، بس انتوا كُنتوا عارفينّي كويس، وكُنتوا عارفين لمّا بتعب أوي كده بعمل إيه، بنعزل، بقفل على نفسي ومبكلمش أي حد، لحد ما أخرُج من الحالة اللي أنا فيها لوحدي، انتوا كُنتوا فاهمين ده لإنّكوا حضرتوا أوقات زعلي واكتئابي، بس "سلمى".. سلمى" مكانتش فاهمة! حاولت تُقف جمبي في الأول وبعدين لقتني ببعد فجأة، ببعد ومبرُدّش عليها خالص، كانت بتيجي تزور ماما وتطمّن عليها، وتلاقيني قافل باب أوضتي عليّا ورافض أخرُج، فضلت على الحال ده أسبوعين، وهيَّ مبطّلتش تتصل، ومبطّلتش تيجي، عارفين.. برغم الحالة اللي كُنت فيها وحُزني على بابا، وبرغم إنّي كُنت محتاج للعُزلة دي جدًّا، بس.. بس ماكُنتش مرتاح! كنت أول مرة أنعزل ومحسّش إنّي مرتاح، حسّيت.. حسّيت إن "سلمى" وحشتني! وإنّي محتاج أتكلم معاها، حسّيت إنّي عايز أنعزل عن كُل الناس ماعدا هيَّ، حسّيت إنّي عايز أشركها في عُزلتي، إزّاي وليه؟ معرفش! بس اللي كُنت مُتأكد منّه وقتها إنّي ماكُنتش مرتاح في بُعدها عنّي، لقيت نفسي بخرُج من أوضتي فجأة بعد أسبوعين من عُزلتي، عشان ألاقيها قاعدة في الصالة مع ماما وبتزورها زيّ عادتها، أول ما شافتني قامت وقفت، واتنهّدت بوجع، شُفت في عينيها خوفها عليًا، وشُفت في عينيها إن أنا كمان وحشتها، اتحرّكت ناحيتها في اللحظة اللي ماما قامت فيها عشان تعملّنا حاجة نشربها، وعشان تسيبنا لوحدنا شوية، قعدنا، وفضلنا ساكتين مبنتكلمش، لحد ما لقيتها بتقول لي فجأة:

-"انت كويس؟!"

-"لأ"

-"كُنت حاسّة، ليه بعدت كده؟ أنا كُنت هموت من الخوف!"

-"أنا آسف، بس أنا متعوّد على كده"

-"يعني إيه متعوّد على كده؟!"

-"يعني.. مبرتاحش إلا كده، لمّا بكتئب مبرتاحش إلا لمّا بنعزل عن كُل الناس، بحتاج أقعد لوحدي فترة، لكن.."

-"لكن إيه؟ بقول لك كُنت هموت، انت فاهم؟ أنا كُنت حاسّة بالعجز وأنا عارفة إنك موجوع ومش عارفة أعمل لك حاجة، مش عارفة أقف جنبك، ولا عارفة حتّى.."

-"لكن المرة دي مرتاحتش.."

قاطعتها بصوت مبحوح، وقُلت الجُملة الأخيرة بنبرة صادقة جدًا، فَــ سكتت، بصّت لي والدموع مالية عينيها، فَــ كمّلت وقُلت:

-"المرة دي، حسّيت إن راحتي ناقصها حاجة، حاجة مُهمّة جدًا، واكتشفت إن راحتي كان ناقصها وجودِك"

نزلت من عينها دمعة، وبصّت لي بنظرة مُختلفة، نظرة عُمري ما شُفتها في عينيها قبل كده، الغريب.. إنّي برغم كُل الظروف اللي كُنت فيها وقتها، بس حسّيت إن أنا كمان بقيت شايفها بعين تانية، وبحس ناحيتها بإحساس جديد، حسّيت.. حسّيت في اللحظة دي إنّي بحبّها، وإن هيَّ كمان بتحبّني، حسّيت إن إحنا الإتنين اكتشفنا ده في نفس الوقت، وإن إحساس الحُب نوّر قلوبنا في نفس اللحظة، بس محدش فينا قدر يقول للتاني في وقتها، أنا بحُكم الظروف اللي كُنت فيها وحُزني على أبويا، وهيَّ بحُكم إنها بنت، حياءها منعها، بس برغم إننا مقولنهاش بألسنتنا، إلا إن عيوننا قالوها، قالوها بمُنتهى الوضوح، أو.. أو أنا اللي كُنت فاكر كده!

فجأة لقيتها بتبُصّ لي وبتقول:

-"حاتم، انت لو بعدت تاني أنا مش هقدر.. مش هقدر!"

-"فاهم يا سلمى"

-"لأ انت مش فاهم، أنا مش هقدر أسامحك! مش هقدر أسامحك لو عملت كده تاني!"

سكت للحظة، حسّيت فيها بإنّي حقيقي وجعتها لمّا بعدت عنها الفترة دي كُلّها، قُمت من مكاني وروحت قعدت جمبها، مسكت إيدها، ولقيت نفسي بقول لها من غير تفكير:

-"مش هبعد، أوعدِك إنّي مش هبعِد تاني يا سلمى"

-"مهما حصل؟"

هزّيت راسي بصدق، وبعدين ردّيت وقُلت:

-"مهما حصل"

....

أيوة يا "هشام"، عملت زيّك، وعدتها، عارف.. عارف إحنا مُشكلتنا إيه؟! مُشكلتنا إننا لمّا بنوعد مبنفكّرش في اللي جاي، بنفتكر إننا هنكون قد وعودنا، مُشكلتنا إننا لمّا بنوعد بنكون في حالة صدق وثقة، بنكون واثقين من كلامنا وفاكرين إننا نقدر نعمل أي حاجة عشان اللي بنحبّهم، أي حاجة مهما كانت، بس وقت التنفيذ الأمور بتختلف، بنلاقي إننا بنبقى محتاجين أوقات عشان نحافظ على وعدنا ده ومنخلفوش.. إننا نيجي على نفسنا، ونتحمّل حاجات مش المفروض إننا نتحمّلها، لمُجرد إننا وعدنا، لمُجرد إننا منخلفش الوعود..!

رجعت لـ"سلمى" وأنا مقرر إنّي مش هبعد عنها تاني، رجعت ليها بعد ما انتقلِت بالنسبة لي من خانة الصديقة لخانة الحبيبة، وبعدها بفترة بسيطة صارحتها بحُبّي ليها، وهيَّ كمان قالت لي إنّها بتحبّني، بس هيَّ كانت حابّة إننا منعرّفش حد إننا بنحب بعض لحد ما نقدر ناخُد خطوة رسمية، وأنا كُنت مُتقبل ده جدًا، كان كُل همها الفترة دي إنّها تكون جمبي، تسمعني وتشاركني حُزني، ولقيت نفسي بحكي لها على حاجات محكيتهاش لحد قبل كده، حكيت لها عن علاقتي بأبويا، وقد إيه كُنت بحبّه، حكيت لها عن التفاصيل العظيمة اللي كانت بيننا، وإزّاي كان بيربّيني عشان يطلّعني إنسان كويس، حكيت لها على اليوم اللي بابا قفشني فيه وأنا بشرب سجاير بعد المدرسة، وإنّه بدل ما يتعصّب عليّا أو يضربني زيّ مُعظم الأبهات، لقيته بيبكي، بيبكي بحُرقة! فضل باصص لي شوية وبعدين مشي، حسّيت وقتها إنّي أسوأ بني آدم في الكون، فضلت واقف مكاني مش عارف أعمل إيه، وبعدين جريت وراه على البيت، ولمّا وصلت لقيت ماما بتقول لي إنّه حابس نفسه في أوضته ومش عايز يكلّمها، مقالش لماما، مقالهاش على اللي شافه منّي، حاولت أمسك دموعي وأنا بخبّط على باب أوضته، وفضلت أنده عليه بصوت واطي من برّه، فتح لي، لقيته لسّه بيبكي، قلبي وجعني ومقدرتش أمسك دموعي المرة دي، عيّطت أنا كمان ورميت نفسي في حُضنه وأنا بوعده إنّي مش هكررها تاني، وإنّي مش هزعّله منّي تاني، طبطب عليّا ومسح دموعه، وقال لي إنّه مقدرش يمسك دموعه لإنّه حس بالتقصير! حس إنّه قصّر معايا، وإنّه شايف إن ده السبب اللي خلاني أشرب سجاير من وراه!

بابا يقصّر معايا أنا؟ ندمت على اللحظة اللي فكّرت فيها إنّي أجرب السجاير عشان زعّلته بالشكل ده، ومن وقتها وأنا باخُد بالي من صحّتي ومن أخلاقي علشانه، علشان الناس تمشي تدعي له، تدعي للشخص العظيم اللي ربّاني، حكيت لـ"سلمى" كُل ده، ومخبّيتش عنها حاجة، لقيتها هيّ كمان بتحكي لي عن حياتها الخاصة، اللي ماكُنتش أعرف تفاصيل كتير أوي عنها، حكت لي على علاقة والدها السيئة بوالدتها، وقالت لي إنهم بيتخانقوا مع بعض مُعظم الوقت، وإن محدّش فيهم عُمره قدّرها أو حسّسها باهتمامه، قالت لي إنها أوقات كتير كانت بتحس إنّها خلاص، مش قادرة تعيش معاهم أكتر من كده، وإنّها نفسها تعيش حياة طبيعية مع أب وأم طبيعيين، زيّ أي بنت في الدُنيا، حكت لي على تفاصيل دقيقة جدًّا زيّ انشغال أبوها الدائم عنها، وعصبيته المُفرطة، وإنّها عُمرها ما حسّت إنها بتحبُه، لإنه عُمره ما حسّسها إنه بيحبّها في المُقابل، وكأنّه.. وكأنّه ماكنش عايز يخلّفها من الأساس، حكت لي كُل ده، لقيت نفسي مش عارف أرُد! اتأسفت لها على كُل اللي شافته في حياتها بسبب أهلها، قالت لي "أنا مش بحكي لَك عشان تعتذر لي، أنا بحكي لَك عشان أقول لَك قد إيه انتَ محظوظ، محظوظ لإنّك كان عندك أب زيّ باباك"، كانت مبسوطة عشان قدرت أعمل علاقة عظيمة زيّ دي مع بابا، وفتّحِت عيني على حاجات كتير ماكُنتش شايفها بسبب حُزني، بعدها، حاولِت تخرّجني من الحالة اللي كُنت فيها، وبدأت تورّيني الحياة بعينيها هيّ، عملنا كُل حاجة مُمكن تتخيّلوها، ودّتني الملاهي، كانت بتدخّلني السينما كُل أسبوع، وودّتني عروض لمسرحيات كتير، ده غير الحفلات الموسيقية اللي كانت بتفاجئني بيها كُل فترة! حقيقي مكُنتش أعرف هيَّ كانت بتعرف الحاجات دي كُلّها إزّاي، كُل ده كان كوم، وسفرياتنا كانت كوم تاني، بدأنا بسفرية لوادي الريان في الفيوم، وبعدين روحنا سانت كاترين في الشتا وتسلقنا الجبل والتلج بينزل علينا، روحنا أسوان واتفرجنا على المعابد هناك، وروحنا الأقصر وركبنا منطاد سوا، لفّينا مناطق كتير في مصر، بس كُل ده ميجيش حاجة جمب اليوم اللي ختمنا بيه سفرياتنا، لمّا روحنا إسكندرية وقضّينا اليوم كُلّه هناك، عارفين ليه ده كان أجمل يوم؟! عشان في نهاية اليوم روحنا قعدنا على الأحجار الصخرية جمب القلعة، البحر كان قُدّامنا بالظبط، والساعة كانت تقريبًا 10 بليل، قعدنا نرغي كام ساعة، ضحكنا وهزّرنا كمان، وبعدين سكتنا، وسكوتنا طوّل، فضلنا قاعدين قُدّام

البحر بالساعات، بنراقب الموج، وبنتفرّج على النجوم، وفضلنا قاعدين في مكاننا ساكتين، لحد ما نور الفجر ابتدا يظهر في السما، والشمس ابتدت تطلع من ورا المايّة، بشويش، بشويش، فضلنا نراقب شروق الشمس وإحنا في قمّة سعادتنا، لحد ما نورها شد وغمرت قلوبنا بشُعاعها الدافي، وقتها اكتشفنا إننا قعدنا أكتر من ست ساعات مبنتكلمش، قاعدين جمب بعض وبنستمتع بجمال الجو والبحر والشروق، من غير ما نقول ولا كلمة، حسّيت ساعتها إن حُبّنا لبعض، قوي، قوي جدًا، وإنّي حتّى لو جه عليّا وقت وحسّيت إنّي عايز أبقى لوحدي، فَــ أنا هختار إنّي أبقى لوحدي وأنا ويّاها..

....

دخلنا سنة رابعة، آخر وأهم سنة في المعهد، السنة اللي فيها مشروع التخرّج، مشروعات التخرّج في معهد سينما بتكون عُبارة عن أفلام روائية قصيرة إحنا اللي بنعملها، والجروب بتاع المشروع بيكون عُبارة عن طالب من كُل قسم، طالب من قسم سيناريو وطالب من قسم إخراج، وهكذا يعني، وإحنا اللي بنختار بعضينا، كُنّا مُتحمّسين جدًّا أنا و"سلمى" عشان هنكون مع بعض في نفس المشروع، أنا كَـ كاتب سيناريو وهيَّ كَـ مُخرجة، وكان عندنا أفكار حلوة جدًّا كُنّا بنناقشها مع بعض من قبلها، كُنّا بس مستنيين الدراسة تبدأ علشان نبتدي، ومعملناش حسابنا على اللي حصل بعد كده، لأول مرة من سنين العميد قرر إن تقسيمة جروب المشروع متكونش إختيارية، وإن الدكاترة هُمّا اللي هيقسّموا الطلبة بنفسهم! فجأة لقيت نفسي واقع في جروب مُختلف عن جروب "سلمى"! وحلمنا إننا نشتغل مع بعض في مشروع واحد اتهد من قبل ما يبتدي، كانت حاجة تضايق جدًّا، بس دي مش الحاجة الوحيدة اللي ضايقتني، لإن الفترة دي كانت بداية ظهور "خالد" في حياة "سلمى"، و"نانسي" في حياتي أنا!

"خالد" كان زميلي في قسم سيناريو، ولد شاطر ومُجتهد جدًّا، عبقري في شُغله ومحدش يقدر ينكر ده، بس أنا ماكُنتش بحبّه أوي، معرفش ليه، يمكن ماكُنتش بحب شخصيته، ويمكن لإنّه كان كُل شوية يرتبط ببنت ويسيبها، حقيقي معرفش، المُهم إنّي ماكُنتش بطيقه وخلاص، أمّا "نانسي" فَـ كانت زميلة "سلمى" في قسم إخراج، بنت جميلة ومُثيرة جدًّا، وأنوثتها طاغية، من نوعية البنات اللي تخلّيك تتشدّلها غصب عنّك، وهيَّ طبعًا كانت عارفة ده، وكانت بتعرف تستغله لمصلحتها كويس جدًّا، طبعًا مش محتاج أقولكم إن "سلمى" كمان مش بتحب "نانسي"، وكانت دايمًا بتقول إنّها مش شاطرة أوي وشُغلها مش قد كده، المُهم، "نانسي" وقعت معايا في نفس المشروع، ومن وسط كُل الطلبة اللي في قسم سيناريو تفتكروا مين اللي وقع في جروب "سلمى"؟! بالظبط، "خالد"!

"خالد" اللي أنا مش بحبّه! اتضّايقت جدًّا، خاصّة لمّا كُل واحد فينا ابتدا ينزل مع زمايله في الجروب عشان نجهّز لمشاريعنا، وابتديت أحس إن "خالد" ده مُهتم بـ"سلمى" زيادة عن اللزوم، ده غير إن "سلمى" نفسها بدأت تقولي إنّها مرتاحة له جدًّا وشايفة إنّه شخص كويس وشاطر في شُغله، حسّيت إنّي مش مرتاح وهيَّ بتقول لي كده، ولقيت نفسي غصب

عنّي بحذّرها منّه من غير ما أقول تفاصيل، فضلِت تسأل ليه وكده، مدّيتهاش عُقاد نافع خالص، ماكُنتش عارف أقول لها إيه، أقول لها إنّه بتاع بنات؟! وأنا إيه اللي أكد لي ده! ما يمكن يكون شخص مُحترم وحظّه في العلاقات وحش مش أكتر، أقول لها إنّي بغير عليها منّه؟! مقدرش، كانت حاجة تقيلة عليّا أوي إنّي أقول لها كده، ده غير إنّها كان مُمكن تفهم إنّي بغير منّه هو ومن نجاحه وشطارته في الشُغل، فَـــ مرضتش أدخُل في المنطقة دي، توّهت في الكلام على قد ما قدرت، وهيَّ مفهمتنيش، وقالت لي بعدم اقتناع، "طيب، هبقى أخُد بالي".

بس هيَّ مخادتش بالها ولا حاجة، مخادتش بالها إنُه كان بيحاول يقرّب منها بشكل مُستفز، وإنّه كان بيعمل حاجات سخيفة جدًا، أوقات كان بيُطلب منها إنّهم يُخرجوا لوحدهم من غير بقية الناس اللي معاهم في المشروع، على أساس إنّهم يتكلّموا في التفاصيل الخاصّة بالإخراج والسيناريو مع بعض، بما إنّهم أهم حاجتين في العمل كُلّه، وهيَّ كانت بتوافق، الموضوع فضل يضغط عليّا وعلى أعصابي جدًا، ده غير كمان إحساسي بالإهمال من ناحية "سلمى"، اللي كانت مشغولة جدًا مع "خالد" في مشروع التخرّج، ومبقيناش بنتكلم أو بنسمع بعض زيّ الأول، بس أنا قدّرت ده، قدّرت ظروفها وإنّها مضغوطة في الدراسة ومشروع التخرّج، وإنّها عايزة تعمل مشروع مُحترم، قدّرت ومتكلّمتش في أي حاجة، وده طبعًا كان أنسب وقت "نانسي" تُدخل حياتي فيه، كانت حاسّة إنّي مخنوق ومتضّايق، وخدت بالها إن الحالة اللي كُنت فيها كانت مأثرة على شُغلي في المشروع، بدأت تبيّن اهتمام وسألتني إذا كُنت عايز أتكلم، بس أنا في الحقيقة ماكُنتش عايز أتكلم معاها هيَّ! أنا.. أنا كُنت عايز "سلمى".

"سلمى" وبس، فَـ لقيت نفسي بَصُد "نانسي"، وكُنت بعاملها بأسلوب سخيف أحيانًا عشان تبطّل اهتمام..

"سلمى" على الجانب الآخر معملتش زيّ ما أنا عملت، وده مش بس ضايقني، ده أذاني، واللي زاد وغطّى إن تقرّب "خالد" منها كان كُل ما دا عمّال يزيد.. ويزيد، الموضوع كان مسبب لي عدم راحة بشكل عُمركوا ما هتقدروا تتخيلوه، كان نفسي أكلمها فَـ ده، كان نفسي أقول لها إنّي باجي على نفسي بشكل غبي وانتي مش حاسّة بيّا! ولا حاسّة إن قُربِك

من "خالد" بيؤذيني! بس مقدرتش، عشان مَجيش عليها وأبقى حمل زيادة عليها أنا كمان، وقررت أكتم في نفسي كُل الكلام ده، كُنت بحاول أقنع نفسي إن اهتمامه بيها ده مش مُهم.. المُهم إنّها بتحبّني أنا، وإنّها عايزاني أنا، فضلت أقول لنفسي الكلام ده، ودخلت في حالة نفسية مش كويسة، وكُنت بعرف أمثّل قُدّامها إنّي كويس وزيّ الفُل عشان متحسّش بحاجة، وفضلنا على الحال ده لحد ما السنة خلصت، وقدّمنا مشاريعنا، واستنّينا النتيجة بفارغ الصبر، عارفين إيه اللي حصل؟ المشروع بتاع "سلمى" و"خالد" حصل على تقدير امتياز، والعميد كَرّمهُم قُدّام الدُفعة كُلّها، وقال على مشروعهم إنّه أحسن مشروع اتعمل في المعهد من سنين، أمّا بالنسبة لمشروعي فَـ ماكنش قد كده، تقديرنا كان جيّد، وأنا بعترف إن شُغلنا ماكنش حلو أوي، منكرش إنّي زعلت عشان معملتش حاجة كويسة، بس فرحتي بِـ"سلمى" غطّت على زعلي وقتها، كُنت حقيقي فرحان بيها جدًّا.. وفرحان إنّها قدرت تعمل حاجة حلوة أوي كده، شاركتها فرحتها وفرحت معاها من كُل قلبي، وعشّمت نفسي إن خلاص كده، كُل حاجة هترجع زيّ الأول، "سلمى" هترجع لي مرة تانية، و"خالد" خلاص مش هيبقى موجود في حياتها، بما إن الشُغل انتهى بينهم، وإن كُل حاجة هتبقى كويسة.

وفعلًا ده اللي حصل، اهتمام "سلمى" بيّا رجع زيّ الأول وأكتر كمان، متهيألي لإنها حسّت إنّها كانت مقصّرة معايا، بمُجرد ما رجعت ليّا حياتي ابتدت تنوّر من تاني، وابتديت أنسى كُل الأوجاع النفسية اللي حسّيتها الفترة اللي فاتت دي كُلّها، مرضتش طبعًا أتكلم في أي حاجة لإن خلاص، كُل حاجة خلصت، وحقيقي كُنت فخور بنفسي إنّي قدرت أستحمل كُل الأذى ده علشانها، والنتيجة في الآخر كانت أجمل نتيجة مُمكن أتخيّلها، نجاحها العظيم في مشروع التخرّج، كُنت فخور بيها وفرحان ليها يمكن أكتر منها هيَّ نفسها، وهيَّ كانت شايفة ده في عيوني، أو.. كُنت فاكر إنُها كانت شايفة ده، دخلنا بعد كده في مرحلة ما بعد التخرّج، وسعينا طول الوقت إننا نلاقي شُغل في مجالنا، اتحمّلنا صعوبات كتير أوي سوا، قدّمنا في أماكن كتير واترفضنا، وحسّينا إن تعبنا طول السنين دي في المعهد مش جايب همّه مع شركات الإنتاج وشركات الدعاية اللي مبيفرقش معاهم غير الوسايط، زعلنا جدًّا،

وأوقات كتير كُنّا بنحس باليأس، بس اللي كان دايمًا بيدفعنا عشان نكمّل إننا كُنّا سوا، كُنّا.. سوا!

وعمري ما اتخيّلت أبدًا إن اللي حصل بيننا قبل كده، مُمكن يحصل تاني، أو إن "خالد" يظهر في حياتها، مرة تانية..!

....

فجأة لقيتها جَت في يوم وهيَّ فرحانة جدًا وهتطّير من الفرحة، ابتسمت لها وأنا مستغرب، وحسّيت إنّها جايبة ليا خبر حلو، لقيتها بتقول لي إنّها كانت لسّه مع "خالد" من شوية، وإنّه كان بيكلّمها في شُغل، قال لّها إن في شركة إنتاج كبيرة شافت مشروع التخرّج بتاعهم وعجبهم جدًا، كلّموه وطلبوه بالاسم هو و"سلمى" وواحد تاني كان معاهم في المشروع من قسم تصوير اسمه "بهاء"، وإنّهم عايزينهم يشاركوا معاهم في مشروع فيلم روائي طويل، هيكون بطولة مُمثلين كُبار وسيناريو وإخراج حد تقيل جدًا في الوَسَط، "سلمى" كانت بتحكي وهيَّ مش قادرة تسيطر على فرحتها، أمّا أنا، فَـ ابتسامتي راحت من على وشّي غصب عنّي بمُجرد ما سمعت اسم "خالد"، وكُل اللي جه في دماغي وقتها إنّه رجع مرة تانية! مش بس كده، ده كمان عايزها تشتغل معاه في فيلم روائي طويل، يعني شُغل شهور، ومش بعيد الفيلم لمّا ينجح يفضلوا مكمّلين مع بعض ويشتغلوا في أعمال تانية سوا، يعني.. يعني كُل حاجة وحشة حسّيتها واحنا في المعهد هترجع تاني، ويمكن ترجع أسوأ من الأول كمان! فكّرت في كُل ده وهيَّ بتحكي لي، ومقدرتش أتحكم في ملامح وشّي اللي بيّنِت جدًا إنّي متضّايق، أو متوتر، أو مش مرتاح، لقيت "سلمى" بتبُصّ لي وهيَّ مش فاهمة، مش فاهمة أنا مفرحتش ليه، وبعدين لقيتها بتقول لي فجأة، "أنا آسفة يا حاتم، أنا مش قصدي أضايقك أو أزّعلك، إن شاء الله انتَ كمان هتيجي لك فُرصة حلوة قُريب، وأنا هقول لخالد برضو عشان لو عرف يدخّلك معانا"، قلبي وجعني من كلامها، معقولة فهمِت إنّي اتضّايقت عشان كده؟ عشان هيَّ اشتغلت وأنا لأ؟! بدّلت ملامحي بسُرعة لملامح واحد مبسوط وفرحان، توّهت في الكلام وقُلت لها إنّي مبسوط جدًا، بس المُفاجأة هيَ اللي خلّتني مش عارف أعبّر، حاولت أشيل من دماغها فكرة إنّي زعلت عشان كده، وشجّعتها على الخطوة دي واحتفلت معاها بكُل سعادة، وأنا من جُوّايا كُنت بموت، وبتخيّل كُل التفاصيل اللي مُمكن تحصل بين "خالد" و"سلمى"، وكُل المسافات اللي هتتبني بيني وبينها مرة تانية..!

طبعًا مش محتاج أقول لكم إن هو ده اللي حصل فعلًا، في البداية كُل حاجة كانت عادية ومفيش أي مشاكل، وبعدين ابتدت تختفي من حياتي مرة تانية، بشويش.. حاولت على قد ما أقدر إنّي أكون جمبها وأسأل عليها وأهتم بتفاصيلها في الشُغل وكده، في الأول كانت

بتحكي لي كُل التفاصيل، حتّى التفاصيل المُستفزّة اللي كانت بتحصل بينها وبين "خالد"، وأنا كُنت بستحمل وبحاول مبيّنش ضيقي عشان مضغطش عليها كالعادة، في الأول كانت بتسألني على أخباري وبتتكلم معايا حتّى لو كانت تعبانة أو مشغولة، وأنا كُنت مقدّر ده جدًا، بس لمّا الشُغل ابتدا يزيد عليها مقدرتِش تفضل مُهتمة بنفس القدر، اهتمامها فضل يقل واحدة واحدة، بقت بتيجي تحكي لي عن تفاصيل يومها وبعدين تسألني إذا كُنت كويس ولا لأ، أقول لها إنّي كويس، فَـ تقول لي "طب الحمد لله، أنا لازم أقفل بقى علشان ورايا شُغل بكره"، حسَيت إن الموضوع مأثّر عليّا أكتر من أيام المعهد ومشروع التخرّج، وأقنعت نفسي إنّي حاسس بكده بس عشان أنا فاضي، أيام المعهد كان ورايا مُذاكرة ومشروع تخرّج، بس دلوقتي أنا قاعد في البيت لا شُغلة ولا مشغلة، بقابل "مُصطفى" و"شروق" كُل فين وفين، وصُحاب المعهد اختفوا تمامًا بعد التخرّج، ما عدا "نانسي"، فاكرينها؟! المُخرجة اللي كانت معايا في المشروع واللي كانت بتهتم بيّا بزيادة وقتها، سابِت الإخراج ودخلِت في سكّة التمثيل، وبدأت بتصوير كام إعلان خليع كده، واتشهرِت بسُرعة، هيَّ الوحيدة اللي كانت بتتصل بيّا من صُحابنا في المعهد، وياما لحّت عليّا ننزل نتقابل ونتكلم، بس كُنت برفُض، طبعًا عارفين كُنت برفُض ليه، عشان "سلمى"، المُهم إنّي حسّيت فجأة إنّي لوحدي، خاصّة إن "سلمى" دخلت في معمعة الشُغل أكتر ومبقتش حتّى تحكي لي عن حاجة، فَـــ قررت إنّي أدوّر على شُغل برّه مجالي خالص بما إنّي مش لاقي شُغل في مجالي، وأهو أبقى نزلت جبت فلوس، وفي نفس الوقت أشغل نفسي شوية عن التفكير في "سلمى" و"خالد"، وفعلًا اتقبلت في شُغلانة كول سنتر في شركة اتصالات كبيرة! وبدأت أسحل نفسي في الشُغل ومشاكل العُملاء وقرفهم عشان مفكّرش كتير، بس في النهاية ده برضو مساعدش ومخفّفش كتير، أولًا لإنّي كُنت بشتغل حاجة أنا أصلًا مش حابيها ولا طايقها وبحاول أهرب بيها بس من أفكاري وتهيؤاتي، وثانّيا لإن "سلمى" كانت خلاص، شبه بتختفي من حياتي، تيجي بس كُل كام يوم تعمل الواجب وترمي السلام وخلاص، ويوم أجازتها كانت بتنام اليوم كُلّه تقريبًا، وتقوم تتكلم معايا شوية وبعدين تقول لي إنها هتقوم تخلّص شوية شُغل مُتراكم عليها، حتى مش عارفين نُخرج سوا، ماكُنتش عارف

أشوفها حتّى! ساكنة في العمارة اللي قُدّامي ومش عارف أشوفها! فضلنا على الوضع ده 4 شهور!

4 شهور كاملين.. حسّيت فيهم إن كُل حاجة بيننا بتموت ومبقاش في بينا شغف زيّ زمان، حسّيت إنّها خلاص، نسيتني، أو شغلت نفسها بحاجات تانية أهم منّي، شُغلها، و"خالد"، وفي الوقت ده ابتدت فكرة واحدة بس تهاجمني بقوّة، فكرة إن "سلمى" مُمكن تكون خلاص، بطّلت تحبّني! وإن "خالد" قدر بشكل ما يستحوذ عليها وعلى اهتمامها لدرجة إنّها استبدلتني بيه، بقى هو الشخص اللي بتروح وتيجي معاه كُل يوم، بقى هو الشخص اللي بيشاركها حلمها وشغفها، وبقى هو الشخص اللي بترتاح له وبتقدر إنّها تتكلم معاه! معقول؟ معقول تكون بتعمل معاه نفس اللي كانت بتعمله معايا؟! معقول تكون بتشاركه نفس التفاصيل اللي شاركناها سوا؟ معقول تكون فعلًا.. بطّلت تحبّني!!

كُنت خلاص بجيب آخري..؛

مقدرتش أبطّل تفكير في الموضوع ده، وماكُنتش لاقي مُبرر تاني لبُعدها عنّي وعدم اهتمامها بيّا بالشكل ده، وحسّيت إنّها هتيجي في أي وقت وتقول لي إنّها مش قادرة تكمّل، وإنّها مش عايزة تفضل معلّقاني بيها وهيَّ حاسّة إن مشاعرها خلصت من ناحيتي! الفكرة استحوذت على تفكيري لدرجة إنّي مبقتش قادر أشتغل ولا قادر أعمل حاجة، فَـ قررت إنّي أبعد، قررت إنّي أبعد عنها فترة ومكلّمهاش ومسألش عليها، ولمّا تكلّمني مرُدّش، يمكن وقتها تحس إن في مُشكلة، يمكن تحس بأهمية وجودي في حياتها، وحتّى لو محستش بكده، فَـ على الأقل مبقاش استنّيتها هي اللي تنهي كُل حاجة، وتقول لي العيب مش فيك العيب فيّا أنا! عملت كده فعلًا، وبعدت نفسي عنها، فضلِت يومين مبتسألش، وفي اليوم التالت ابتدت تكلّمني، مرضتش أرُد، فضلت تكلّمني كتير وأنا مبرُدش، بعتت لي رسايل وتجاهلتها، وكُنت بقاوم عشان مكلّمهاش، قُلت لـ"ماما" تقول لها إنّي مش في البيت لو جت سألت عليّا، وقفلت موبايلي في اليوم الرابع عشان أبعد دماغي عن الدوشة دي خالص، كُنت خلاص تعبت وجبت آخري، وكُنت حقيقي، حقيقي.. محتاج أرتاح، وكُنت فاكر إنّي فعلًا هرتاح..

بس للأسف.. مرتاحتش!

أي راحة كانت هتيجي وأنا بعيد عن "سلمى"؟ أي راحة كُنت هحس بيها وأنا بتخيل إنها مُمكن تكون محبّتنيش؟ وإنّها رايحة بمشاعرها لواحد تاني؟! الإنسانة الوحيدة اللي حبّيتها، الإنسانة الوحيدة اللي مبرتاحش غير معاها، أنا دلوقتي مش معاها، يبقى.. يبقى هرتاح إزّاي؟!

مقدرتش أستحمل أبعد عنها أكتر من أسبوع، كُنت محتاج أتطّمن عليها، كُنت محتاج أعرف إذا كانت كويسة ولا لأ..

وقررت.. قررت في النهاية إنّي أكلمها، وأقول لها على كُل اللي أنا حاسّه من ناحيتها، حتّى لو قالت لي إنّها بطّلِت تحبّني، على الأقل تبقى عرِفت أنا بعدت ليه وزعلت ليه، وإحساسي ناحيتها عامل إزّاي، كُنت قاعد في البيت وقتها، مسكت الموبايل ودوست على الزُرار عشان يفتح، في اللحظة اللي لقيت ماما بتخبُط فيها على الباب وبتُدخل، بصّت لي وقالت لي:

-"انت لسّه مبتكلُمش سلمى يا حاتم؟!"

-"آه يا ماما لسّه"

-"معقول يا ابني متبقاش واقف جمبها في الظروف اللي هيَّ فيها دي؟!"

قلبي اتقبض فجأة، قومت من مكاني وقُلت لها:

-"ظروف.. ظروف إيه؟!"

-"انت متعرفش!"

-"ظروف إيه يا ماما قولي لي؟!"

سكتت لحظة، وبعدين بصّت لي بحسرة وقالت لي:

-"والد سلمى طلّق والدتها من كام يوم، والبنت مُنهارة يا حبّة عيني!"

بصّيت لماما وأنا مش مصدّق اللي بتقوله، في اللحظة اللي لقيت موبايلي بيفتح فيها، وبينوّر برسالة موصلتنيش من "سلمى" إلا دلوقتي، رسالة كانت بتقول:

"عُمري ما اتخيّلت إنّك مُمكن تسيبني في الوقت ده، انت وعدت!.. وعدت إنّك مش هتمشي تاني، حقيقي شُكرًا يا حاتم، شُكرًا على الخذلان اللي حسّيته بسببك!"

قريت الرسالة وفضلت ثابت في مكاني للحظة، ومفكّرتش بعدها، لقيت نفسي بخرُج برّه الأوضة بسُرعة، وبفتح باب الشقّة وبجري على السلّم، كلّمتها مرتين مردّتش عليًا، نزلت الشارع وبصّيت على بلكونتها، لقيتها مقفولة، جريت ناحية عمارتها وسألت البوّاب عليها، قال لي إنّها نزلت من بدري وميعرفش راحت فين، رنّيت عليها تاني، وتالت ورابع، مردّتش برضو، لحد ما قررت أكلّم "بهاء" زميلها اللي معاهم في الفيلم، يمكن يعرف مكانها، دوّرت على رقمه في الموبايل لحد ما لقيته، كلمته واستنّيته يرُد، ورد عليًا فعلًا في الآخر، سألته إذا كان يعرف مكان "سلمى"، قال لي إنّها معاهم في الاستوديو، وإنّه مُمكن يدّيهاني أكلّمها، لحقته وقُلت له "لا متقولّهاش إنّي كلّمتك، قولي بس عنوان الاستوديو وأنا هاجي دلوقتي"، وصف لي العنوان فعلًا، روحت واخد عربية بابا الله يرحمه وطلعت بيها بسُرعة على المكان، رُبع ساعة بالظبط وكُنت واصل، نزلت من العربية وأنا قلبي بيدُق وحاسس إنّه بيسابق الريح، دخلت الاستوديو وفضلت أدوَّر عليها بعيني، لحد ما لقيت "بهاء" بيبُصّ لي من بعيد وبيشاور لي، روحت له وسلّمت عليه باستعجال، وسألته على مكان "سلمى"، بص حواليه وقال لي إنّها كانت لسّه هنا! وبعدين قال لي إنّها مُمكن تكون نزلت تريّح في أوضتها شوية، خلّيته يوصف لي مكان الممر اللي فيه الأوض وسبته وجريت بسُرعة ناحيته، مشيت فيه وفضلت أتابع العناوين على أبواب الأوض بلهفة، لحد ما فجأة سمعت صوت "سلمى وهيَّ بتعيّط، صوتها كان جاي من آخر باب خالص على اليمين، الباب اللي كان موارب وخارج منّه نور أصفر ضعيف، اتحرّكت ناحية الأوضة بسُرعة وأنا سامع صوتها عمّال يوضح أكتر، وأكتر، لحد ما وصلت عند الباب وكُنت خلاص هفتحه، في اللحظة اللي سمعت فيها صوت تاني بيكلمها، صوت أنا عارفه كويس جدًا، صوت "خالد"!

وقفت في مكاني فجأة، ومقدرتش أتحرك، صوته كان واطي وماكُنتش سامعه كويس، فَـ قرَّبت أكتر وبصّيت عليهم من ورا الباب من غير ما ياخدوا بالهم، لقيت.. لقيت "سلمى" قاعدة على كُرسي، عينيها كانوا معيّطين ومُنهكين، كانت مُجهدة جدًا، فوق الوصف، وكانت بتعيّط بحُرقة، وسّعت زاوية الرؤية، وشُفت خالد قاعد جمبها، ماسك إيدها بإيديه الإتنين، وبيطبطب عليهم بحنيّة واضحة، كان بيكلمها وبيقول لها "متخافيش، متخافيش يا سلمى، أنا هنا، جمبِك، ومش هسيبِك أبدًا.. أبدًا يا سلمى"، حسّيت إن قلبي وقف للحظة

وبعدين رجع يدُق تاني، حسّيت.. حسّيت بحُزن في قلبي مش طبيعي، ومقدرتش أمسك دموعي وأنا شايفها بتعيّط قُدّام واحد تاني، وإنّها سايباه يقول لها كده، ويقرّب منها بالشكل ده، حسّيت إنّي متضّايق من نفسي عشان مكُنتش جنبها في الوقت ده، وحسّيت إن كُل حاجة كُنت بتخيّلها قبل كده متجيش حاجة قُدّام المشهد ده، المشهد اللي واحد تاني غيري واقف جمبها فيه، وبيطيّب خاطرها بدالي!

حاولت أتمالك نفسي وأمنعها من إنّي أدخُل عليهم، بس "خالد" قرر إنّه يجيب آخري، في اللحظة اللي "سلمى" كانت مُنهارة وبتعيّط فيها وهيَّ حاطّة إيدها على وشّها، لقيت خالد بيقوم من مكانه بالرّاحة، وبيقرّب ناحيتها، وبيحاول يُحضنها، الدم غلي في عروقي، ونبضات قلبي وصلت لمُعدل خطر، مقدرت أمسك نفسي، زقّيت الباب فجأة ودخلت عليهم، لقيته بيعدل نفسه بسُرعة قبل ما "سلمى" تاخُد بالها من حاجة، "سلمى" بصت لي وهيَّ مذهولة! وكأنّها مش قادرة تستوعب إنّي هنا، فعلًا هنا، سحبِت إيدها من إيد "خالد" في اللحظة اللي كُنت بجري فيها ناحيته وبرمي نفسي عليه بكُل قوّتي، سمعت "سلمى" وهيَّ بتُصرخ، صرخة طويلة وحادة من الأعماق، في نفس اللحظة اللي كُنت بضرب فيها خالد بمُنتهى الوحشية، كُل اللي كُنت كاتمه في قلبي من ناحيته طلع مرة واحدة، كُل التراكمات والأوجاع النفسية اللي حسّيتها بسببه طلعت فجأة، كُل ضربة كُنت بوجهها له كُنت بخرّج بيها وجع من جُوّايا، وهو.. هو ماكنش قادر حتّى يدافع عن نفسه، وشّه اتهشم تمامًا في إيدي والدم كان بيسيل منّه بغزارة، مهتمتش، وفضلت أضرب فيه بكُل قوّتي وأنا سامع "سلمى" وهيَّ بتُصرخ جمبي، لحد ما فجأة لقيت كذا إيد بتشدّني بعيد عن "خالد"، وفهمت إن صوت صريخ "سلمى" خلّى ناس من فريق العمل تنزل تشوف في إيه، فضلت أقاومهم، ماكُنتش لسّه شبعت، كُنت لسّه عايز أضربه تاني، بس هُمّا كانوا أكتر منّي، اتخايلت بوش "بهاء" وهو بيشدّني وبيبعدني عنّه معاهم، كُنت لسّه بقاوم وبعافر وبقول لهم يسيبوني، وهُمّا كانوا بيجرجروني برّه الأوضة، بصّيت ناحية "سلمى" لقيتها بتبُصّ لي برُعب، وبغضب في نفس الوقت، وبعدين لقيتها بتنزل على رُكبها عشان تطمّن على "خالد"، اللي كان غرقان في دمّه، وفاقد الوعي تمامًا، طلّعوني برّه الأوضة وأنا شايف "سلمى" وهيَّ هتموت من الخوف عليه، وفضلوا يشدّوني لحد ما دخّلوني

أوضة تانية، وقعدوني على كُرسي بالعافية وهُمّا لسّه مكتّفيني، لقيت "بهاء" بينفعل عليّا وبيمسكني من كتافي بقوّة وبيقول لي "اهدى.. اهدى يا حاتم بقى خلاص! اهدى بدل ما يجرا لَك حاجة."، بس أنا ماكُنتش قادر أهدى، ماكُنتش قادر أهدى وأنا عارف إن "سلمى" معاه دلوقتي في الأوضة وسايباني أنا هنا، فضلت أقاومهم لحد ما لقيتها داخلة من باب الأوضة فجأة، بتبُصّ لي وهيّ متعصّبة وبتعيّط في نفس الوقت، وبتقول لي بصوت عالي قُدّامهم كُلّهم:

-"في إيه؟ إيه اللي انت عملته ده.. انتَ اتجننت؟!"

فجأة، لقيت نفسي بهدى للحظة، وأنا شايفها بتزعّق لي قُدّامهم كُلّهم، مردُتش عليها، فضلت قاعد في مكاني وأنا ببُصّ لها من غير أي انفعالات، فجأة لقيتها بتوجّه كلامها لـ"بهاء" وبتقوله بنفس النبرة اللي مليانة غضب:

-"سيبنا لوحدنا يا بهاء لو سمحت"

-"أسيبِك معاه إزاي وهو في الحالة دي؟ ده مُمكن يعمل فيكي حاجة!"

-"بقوّل لك سيبنا لوحدنا يا بهاء.. روح شوف خالد، الحقه قبل ما يجرا له حاجة!"

"بهاء" بصّ لها بعدم اقتناع، بس في النهاية مقدرش يجادلها، سابني، وبصّ لي للحظة، وبعدين خد الناس اللي معاه وطلعوا برّه الأوضة، فضلت قاعد في مكاني وأنا باصص لها، كُنت بتنفس بصعوبة، وإيدي كانت بتترعش من فرط العصبية، هيَّ كمان لاحظِت ده، بس ده ممنعهاش إنّها تبُصّ لي بغضب وتقول لي:

-"أنا مش قادرة أصدّق اللي انت عملته ده! بقالك أسبوع مُختفي ومتعرفش عنّي أي حاجة، ولمّا تظهر تيجي تفضحني في شُغلي بالشكل ده؟ انت عايز إيه؟! رُد عليّا انت.."

-"انتي كويسة؟"

طلعت منّي فجأة من غير تفكير، مقدرتش أمنع نفسي من إنّي أقول لها بصوت ضعيف، مع إنّها مكانش وقتها خالص، بصّت لي باستغراب وبعدين هزّت دماغها وهيَّ بتقول:

-"لأ، لأ مش كويسة! والفضل يرجع لسيادتك، قولي عايز إيه؟"

-"عايز أطمّن عليكي يا سلمى!"

-"تتطمّن عليًا؟ لاء فيك الخير والله! تقدر تقول لي انت كُنت فين؟ كُنت فين لمّا كُل حاجة حصلت؟ جاي دلوقتي بعد الهنا بسنة وتقول لي عايز أتطمّن عليكي؟!"

-"أنا كُنت تعبان يا سلمى! كُنت تعبان ومقدرتش أفضل وانتي مش حاسّة بيّا ولا حاسّة إنّي تعبان! أنا مش فاهم انتي إزّاي لحد دلوقتي مش قادرة تفهمي إن انتي اللي بعدتي مش أنا! انتي اللي بعدتي واختفيتي من حياتي تمامًا! ولا كإنّي كُنت موجود أصلًا! مش بس كده، ده انتي كمان استبدلتيني بواحد تاني!"

بصّت لي بعدم فهم، وبعدين ابتسمت وقالت بمُنتهى السُخرية:

-"خالد.. انتَ عايز تفهمني إنّك بعدت علشان.. خالد؟!"

-"عُمرك ما هتفهمي، عُمرك ما هتفهمي أنا كُنت حاسس بإيه"

-"لأ أنا فاهمة، بس على الأقل خالد اللي انت متضّايق منّه ده كان موجود! كان موجود في الوقت اللي انت ماكُنتش موجود فيه، على الأقل خالد ممشيش زيّك!"

-"ماكُنتش أعرف إن كُل ده هيحصل!"

-"ده مينفيش احتياجي ليك وإنّك ماكُنتش موجود، بتقول لي مش هفهم كُنت حاسس بإيه، صدّقني انت اللي عُمرك ما تفهم أنا حسّيت بإيه اليومين دول، إحساس زي الزفت، إحساس زيّ الزفت والله العظيم لمّا متلاقيش أقرب حد ليك في أكتر وقت انت محتاجه فيه، وتلاقي حد تاني بيُقف جمبك بداله!"

اتعصّبت وعلّيت صوتي فجأة:

-"يعني كُنتِ عايزاني أفضل معلّق نفسي بيكي لحد ما تيجي تقولي لي إنّك خلاص.. مبقتيش تحبّيني؟! أنا حاولت أكون موجود بس انتي اللي مكُنتيش موجودة! وقررتي تكرري نفس الغلطة اللي عملتيها أيام المشروع لمّا بعدتي برضو!"

-"أنا مبعدتش! ولو بعدت فَـ بعدت غصب عنّي عشان شُغلي! كان المفروض انت تقدّرني وتقدّر الظروف اللي أنا فيها"

-"اوعي تجيبي سيرة التقدير يا سلمى، أنا كُل التعب اللي أنا فيه ده عشان كُنت باجي على نفسي وبقدّرِك أصلًا! بُعدِك عنّي أيام المشروع أذاني وتعبني نفسيًا وماكُنتش بتكلم عشان كُنت بقدّرِك وبقدّر تعبِك، كُنت بسمعِك وانتي بتتكلمي عن خالد وعن قد إيه هو

شخص رائع وعظيم وكُنت بتقطّع وأنا شايفه بيقرب منّك وانتي بتسمحي له بكده عادي، وأقول مش وقته تكلمها في غيرة وقرف! أهم حاجة تفضل جمبها لحد ما تخلّص مشروعها على خير، فضلت مستحمل وأنا شايف اهتمامِك بيّا بيقل واهتمامِك بيه هو بيزيد، فضلت مستحمل لحد ما المشروع خلص، وفرحت لنجاحِك أكتر منّك انتي شخصيًا، كُنت فاكر وقتها إن خلاص، هتفوقي لنفسِك وهتحسّي بَــ اللي عملتيه فيّا، بس لقيتِك حتّى معتذرتيش على بُعدِك ولا على تقصيرِك وكأنّه مكانش فيه مُشكلة من أساسه! وده أكّد لي إنّك ماكُنتيش حاسّة بيّا فعلًا!! بعدها خالد بيه دخل في الصورة مرة تانية، والموضوع رجع أسوأ من الأول بمراحل!

أنا حاولت، حقيقي حاولت أفضل وأسأل وأعمل اللي عليًا، بس انتي.. انتي.."

-"أنا إيه؟ كُنت عايزني أعمل إيه يعني؟ أسيب حلمي وشغفي وطموحي عشان سيادتك بتغير من خالد! أنا عُمري ما هنسى نظرتك ليّا لمّا جيت وقُلت لك إن خالد جاب لي فُرصة الشُغل دي، كُنت فرحانة وبتنطط في مكاني وكُنت مستنياك تشاركني فرحتي! لقيتك بتبُصّ لي وكإنّك.. وكإنّك متضّايق إن الفُرصة دي جات لي أنا ومجتلكش!!

نظرتك حسّستني إنّي مش المفروض أقبل بفُرصة الشُغل دي عشان محسسكش إنّي تفوقت عليك وإنّي بدأت في تحقيق أحلامي وانت لأ!"

-"انتي بتقولي إيه!"

-"اللي سمعته! اللي وصلني منّك ومن طريقتك، حتّى بعد كده، لمّا بدأت شُغل وكُنت برجع أحكي لك عن تفاصيل يومي، كُنت بحسّك بتسمعني بالعافية، كُنت بحس إنّي بتقّل عليك بكلامي وتفاصيلي عن الفيلم والكاستنج وكُل حاجة! حسّيت إنّي.. حسّيت إنّي بتعبك وباجي عليك!

ده اللي خلاني أبطّل كلام عن الشُغل مع إنّي ماكُنتش عايزة أتكلم مع حد غيرك! حاولت أتكلم معاك في أي حاجة تانية، حاولت أسألك كُل يوم عن شُغلك وحياتك على قد ما قدرت، بس انت ماكُنتش بتتجاوب معايا! حسّستني إنّك شايل منّي لمُجرد إنّي لقيت شُغل وانت لأ، وعُمري ما تخيّلت إنّك مُمكن تبعد بالشكل ده عشان كُنت بحاول أقدّرك

ومجرحكش! ولمّا الشُغل خدني ولقيتك بتبعد أكتر وأكتر، حسّستني إن انت اللي هتيجي في أي وقت وتقول لي مش عايز أكمّل!"

-"أنا مبعدتش علشان كده، أنا بعدت علشان.."

-"وأنا كُنت هعرف منين انت بعدت عشان إيه! هشم على ضهر إيدي يعني؟ أنا كُل اللي شُفته إنّك بعدت! بعدت في أكتر وقت كُنت محتاجاك فيه، بعدت رغم إنك وعدتني إنك مش هتمشي"

زعّقت فيها بأعلى صوت عندي:

-"هو أنا علشان وعدت يبقى خلاص، أنا الجاني الوحيد هنا؟ بقول لك أنا تعبت.. تعبت ومبقتش قادر أكمّل في علاقة مُرهقة بالشكل ده! علاقة بتستنزفني وبتستنزف مشاعري، علشان إيه أستحمل كُل التعب والوجع النفسي ده؟ علشان وعدت.. أتعذّب كُل العذاب ده وأفضل وممشيش علشان وعدت وبس؟! طب ولمّا يجرا لي حاجة.. هيفيدني بإيه الوعد؟ هيفيدني بإيه؟"

زعّقت هيَّ كمان وقالت:

-"ولمّا أنا وحشة أوي كده وتعبتك وأذيتك وعملت فيك كُل ده، جاي ليه؟ رُد انت عليًا.. جاي ليه؟!"

شفايفي ارتعشت قبل ما أقول أكتر حاجة كُنت عايز أقول لها، "عشان بحبّك"، مقولتهاش وكتمتها جُوّايا، فضلت ساكت وباصص لها، في اللحظة اللي لقيت "بهاء" داخل فيها علينا، وبيوجه كلامه لـ"سلمى" وبيقول لها:

-"الإسعاف وصلت، خالد حالته خطرة جدًا ولازم يروح المُستشفى، هتيجي معانا ولا إيه؟"

لقيتها بتغمّض عينيها للحظة، وبتتنهد بعُمق، هديت شوية وبعدين قالت له:

-"أنا جاية وراك أهو"

"بهاء" بصّ لي وهو بيحاول يفهم أنا ليه عملت كده في "خالد"، هز راسه يمين وشمال، وبعدين خرج، فضلنا ساكتين لنُص دقيقة كاملة، كُنّا بنحاول نهدى فيها شوية بدل ما يجرا لنا حاجة، لحد ما لقيتها بتبُص للأرض وبتقول لي بنبرة هادية وقوية في نفس الوقت:

-"بُص، أنا حياتي مش ناقصة قرف، كفاية الهم اللي أنا فيه، هم في البيت وهم في الشُغل، ودلوقتي الشُغل كُلّه هيتعطل بسبب اللي انت عملته في خالد، يعني كُل حاجة بايظة، كُل حاجة، فَــ أنا مش ناقصة، مش ناقصة همّك انت كمان!"

قالت الجُملة الأخيرة وبصّت لي للحظة، وبعدين لفّت عشان تُخرج من باب الأوضة، في اللحظة اللي لقيتني بقول لها فيها:

-"هتمشي؟ برضو هتمشي وتروحي له؟"

-"أيوة هروح له! عشان هو وقف جمبي وقت ما انت مشيت! وعشان هو دلوقتي محتاجني، وأنا مقدرش أسيبه في أكتر وقت هو محتاجني فيه، أنا مش زيّك يا حاتم!"

قالتها وخرجت من غير ما تزوّد كلمة تانية، وفي اللحظة دي، حسّيت إن "سلمى" أنهت كُل حاجة، وكإنّها بتقول لي إننا مش هنقدر نكمّل مع بعض أبدًا، مهما حصل..!

....

عدّى شهرين من وقتها، "خالد" دخل في غيبوبة لكام يوم، فاق بعدها وفضل في المُستشفى شوية، وبعدين خرج، قدّم محضر ضدّي في القسم، وبعدها بكام يوم المحضر اتسحب وكأنّه متعملش، فضلت شهرين بعيد عن "سلمى" تمامًا، معرفش عنها حاجة، ومبشوفهاش حتّى صُدفة، ماكُنتش بعمل حاجة في يومي غير إنّي بروح الشُغل وأرجع منّه أحبس نفسي في أوضتي بقية اليوم، لحد ما أنام، وأصحى الصُبح أروح الشُغل، وهكذا، كُنت بجبر نفسي أنساها، كُنت بحاول أقنع نفسي إن هيّ اللي غلطت وهيّ اللي مقدّرتنيش، مقدّرتش تعبي ووجعي منها وغيرتي عليها، ومقدّرتش إن هيّ كانت غلطانة من الأول، بس غصب عنّي كُنت بفكّر في كلامها، وبفكّر إنّها مُمكن تكون تعبانة زيّي دلوقتي، بس لاء، هيّ اللي سابتني وراحت له! هيّ اللي اختارت إنّها تروح له برغم كُل الكلام اللي قُلته ليها! يعني.. يعني حتّى لو كُنت قُلت لها زمان، ده ماكنش هيغيّر حاجة، كانت هتشوفني ببالغ وقتها، وكانت هتلومني على عدم تقديري لظروفها زيّ دلوقتي، وبعدين كُنت برجع أفكر في إنّي اتماديت في التعدّي على "خالد"، وإنّها ماكنش قُدّامها حل تاني غير إنّها تُقف معاه زيّ ما وقف معاها، بس أنا كُنت هعمل إيه يعني! كُنت هعمل إيه وأنا شايفه بيقرّب منها وبيحاول يُحضنها! وكُنت هبقى عامل إزّاي لو كانت تجاوبت معاه و.. وسابته يُحضنها!

ماهو جالها في أكتر وقت كانت ضعيفة فيه! فضلِت أفكاري تصارعني لمُدّة شهرين كاملين، لحد ما في الآخر قررت إنّي أراقبها من بعيد وأحاول أعرف أخبارها، وطبعًا ماكنش قُدّامي أي وسيلة أتابع أخبارها بيها غير الفيسبوك، وهنا، حسّيت إنّي كُنت فعلًا أهبل لمّا ضيّعت الفترة دي كُلّها من حياتي وأنا بفكّر فيها وفي إمكانية رجوعنا لبعض، لإنّها كانت تُعتبر خلاص، شبه تجاوزتني، صورها مع "خالد" كانت مغرّقة البروفايل بتاعها، كانت بتضحك ومبسوطة، وكإنّها خلاص نسيتني وراحت له بمشاعرها، كُل التعليقات كانت بتمدح فيهم وفي علاقتهم الطيّبة، وكأنّهم اتخلقوا عشان يكونوا لبعض، معقول؟! معقول نسيتني بالسُرعة دي؟! خلاص اعتبرتني شيطان وهيّ الملاك اللي مبيغلطش! خلاص بقيت الجاني علشان قررت أبعد عنها شوية لمّا حسّيت إنّها بتيجي عليّا؟ طب والأسباب اللي خلّيتني

أخُد القرار ده! الأسباب دي ملهاش أي اعتبار خالص؟! طب وجعي وتعبي كُل السنين ده مالوش أي معنى؟!

صورهم مع بعض ضغطت على أعصابي بشكل غبي، كُنت خلاص هنفجر، وكُنت محتاج أتكلم مع حد، أي حد أطلّع معاه اللي جُوّايا، "مُصطفى" و"شروق" مكانوش فاضيين في التوقيت ده، وماكنش ليّا حد تاني أقدر أكلّمه، فضلت أقلّب في الأرقام على الموبايل وأنا متعصّب، واكتشفت وقتها إنّي غلطت غلطة كبيرة لمّا اعتمدت على وجود "سلمى" وبس في حياتي، برغم إنّي كُنت دايمًا بتخيّل إنّها مُمكن تمشي في أي وقت، بس عُمري ما صدّقت ده، وعُمري ما حسّيت إنّي هوصل للمرحلة دي، اللي هبقى فيها لوحدي، لوحدي تمامًا، من غير صُحاب أحكي لهم وجعي، ومن غير "سلمى"، فضلت أقلّب في الأرقام لحد ما فجأة عيني ثبتت على رقم مُعيّن، رقم حد حسّيت إنّه مُمكن يقدر يسمعني، رقم.. "نانسي".

مفكّرتش كتير، لقيت نفسي بكلّمها، فضلت مستنّي لحد ما ردّت، صوتها كان مُبتهج جدًا وهيَّ بترُد، قالت لي إنّي واحشها جدًا، وإنّها زعلانة منّي عشان مكلّمتهاش ومسألتش عليها الفترة دي كُلّها، صوتي كان ضعيف جدًا وأنا برُد عليها وبعتذر لها، لاحظِت ده وسألتني باهتمام "مالك؟!"، قُلت لها إنّي تعبان ومحتاج أتكلم معاها، وطلبت منها ننزل نتكلم دلوقتي لو تقدر، لقيتها بترحّب جدًا، اتفقنا نروح نُقعد في كافيه في وسط البلد، وطلبت منّي أعدّي عليها بالعربية وأخُدها في طريقي، وصفت لي العنوان، وبعدين قفلت معاها، بصّيت للحظة في صورة من صور "خالد" و"سلمى" على البروفايل بتاعها، وبعدين بصّيت لصورتي معاها اللي كُنت حاططها في برواز جنب سريري، اتعصّبت أكتر، وبعدين قومت وغيّرت هدومي ونزلت عشان أروح لـ"نانسي"، وأنا بحاول أقنع نفسي إنّي باخُد خطوة كويسة، وإنّه خلاص جه الوقت اللي مفروض أتجاوزها فيه، وأحاول أتكلم مع حد تاني غيرها، يمكن.. يمكن أرتاح!

نُص ساعة بالظبط وكُنت واصل تحت بيت "نانسي"، رنّيت لها كذا مرة، مردّتش عليّا، فضلت قاعد في العربية شوية، بس هيَّ اتأخرت، رنّيت عليها تاني ومردّتش برضو، قلقت عليها، وقررت إنّي أطلع وأشوفها مبترُدش ليه، نزلت من العربية واتحركت ناحية العمارة، وسألت البوّاب على الدور والشقة، وبعدين طلعت، خبّطت عليها واستنّيتها تفتح، لحد ما

لقيت الباب بيتفتح، وشُفتها، بعيونها اللي تشبه لعيون القُطط، وشفايفها اللي عاملين زيّ قطعة الفاكهة، كانت لابسة بلوزة مفتوحة كشفت جُزء لا بأس به من صدرها، وبنطلون ضيِّق ومتجسّم عليها كأنُه جُزء من جسمها، وكانت حاطّة بيرفيوم ريحته حلوة جدًا، كانت مُثيرة جدًا في وقتها، ابتسمِت أول ما شافتني وسلِمت عليّا بترحاب حقيقي، ارتبكت وقُلت لها إنّي كلمتها كتير وهيّ مردّتش قالت لي إنّها كانت بتدوّر على فردة الحلق بتاعها ومسمعتش الموبايل، وبعدين طلبت منّي أدخُل، رفضت في الأول، بس هيّ شدّتني من إيدي بالرّاحة وأصرّت إنّي أدخُل، دخلت ولقيتها بتقفل الباب ورايا، وبتوجّهني ناحية الصالة، قعدت على الكنبة في اللحظة اللي قالت لي فيها إنّها هتُدخل تدوّر على الفردة التانية عشان نمشي، قُلت لها تاخُد راحتها، مشيت وسابتني، وفضلت أنا قاعد في مكاني بتفرَج على شقّتها، لفت انتباهي الأثاث الشيك والإضاءة الحديثة، واستغربت إنّي ملقتش حد من أهلها في البيت، فجأة لقيت نفسي ببُص ناحية أوضتها وبقول لها بصوت عالي:

-"هو انتي عايشة هنا لوحدِك يا نانسي؟!"

خرّجت من أوضتها وهيّ ماسكة فردة الحلق التانية في إيد، وجزمتها في الإيد التانية، واتحرُكت ناحيتي وهيّ بتقول:

-"آه، قررت أستقل عن أهلي وأعيش لوحدي، قول لي انت لسّه عايش مع مامتك؟"

-"أيوة، ملهاش غيري"

-"ربنا يخليهاَلك"

قالتها بابتسامة جميلة وهيَ بتُقعد جمبي على الكنبة، وبعدين مالِت بجسمها لقُدّام عشان تلبس جزمتها، عيني جت على صدرها غصب عنّي، اتأملته للحظة، وابتدت تيجي في دماغي خيالات قذرة، حسّيت إنّي مش مرتاح، بعدت عيني في نفس اللحظة اللي بصّت لي فيها ولاحظِت ملامح التوتر على وشّي، ابتسمِت مرة تانية، بس المرة دي كانت ابتسامة ماكرة، تقريبًا خدت بالها من إنّي كُنت ببُص عليها، فجأة لقيتها بتقرّب منّي أكتر، وبتمسك إيدي وبتقول لي بصوت مليّان حنيّة:

-"انت كويس؟"

قلبي اتقبض، "نانسي" اللي قالت الجُملة الأخيرة، بس أنا سمعتها بصوت "سلمى"، لإنها هيَّ اللي كانت دايمًا بتقولها لي، لقيت نفسي بدمّع فجأة غصب عنّي، وردّيت عليها وقُلت لها:

-"لاء، مش كويس يا سلــــ.. مش كويس يا نانسي!"

كُنت هغلط في اسمها بس هيَّ مخادتش بالها، لقيتها بتقرّب أكتر لحد ما جسمها لامس جسمي، وحسّيت بسخونة أنفاسها، حاولت تحاوطني بإيديها، وعينيها كانت على شفايفي، شفايفها كانت بتترعش وهيَّ بتقرَّب منّي أكتر وأكتر، وبتقول لي:

-"مالك؟ مالك يا حاتم؟!"

فجأة، حسّيت إنّي اتحطّيت في نفس الموقف تقريبًا، نفس الموقف اللي شُفت فيه "خالد" بيحاول يقرّب من "سلمى" وانفعلت عشانه، صارعتني أفكاري في اللحظة دي وأنا شايف "نانسي" بتقرّب منّي، حسّيت بالضعف، وحسّيت إنّي عايز أسيب نفسي للحظة، ألتهم فيها شفايف نانسي، وأرمي نفسي في حُضنها وأفضل أبكي، أبكي لحد ما أستفيض، بس لقيت نفسي غصب عنّي بفكّر في "سلمى"! وتخيّلت لو كانت واقفة ورا الباب دلوقتي وبتبُص علينا، إحساسها كان هيبقى إيه، "نانسي" كانت بتغمّض عينيها، و كانت خلاص هتلمس شفايفي بشفايفها، في اللحظة اللي حسّيت فيها إنّي.. إنّي..

مش مرتاح!!

بعدت عنها فجأة من غير تفكير، ولقيت نفسي بقول لها بصوت مبحوح:

-"أنا.. أنا حاسس إنّي تعبان شوية، مُمكن.. مُمكن تجيبي لي كوباية مايّة؟"

لقيتها بتفتح عينيها فجأة، وبتبُص لي بعدم فهم، حسّيت إنّي فصلتها من الحالة اللي كانت فيها، بصّت لي للحظة واتنهدِت بعُمق، وبعدين ابتسمِت بتكلّف وقامت عشان تجيب لي المايّة، راقبتها وهيَّ بتتحرك بحركتها الإنسيابية وقوامها الممشوق، كانت بتتعمّد إنّها تتدلّع وهيَّ ماشية عشان تثيرني أكتر، دخلِت المطبخ، واختفِت للحظة، قررت بعدها إنّي أقوم من مكاني بالرّاحة، واتحرّكت لحد الباب، فتحته بشويش، وخرجت، طلعت أجري على السلّم لحد ما وصلت لعربيتي، ركبتها واتحرّكت بيها بسُرعة، وأنا حاسس بالخوف، والزعل، والقهرة، وأنا حاسس إنّي مش عايز أكلم ولا أشوف أي حد، غير.. غير "سلمى"..!

كُنت بدمّع وأنا سايق، الدُنيا كانت وحشه في عينيا وقتها وماكُنتش شايف الطريق كويس، الحاجة الوحيدة اللي كُنت بفكّر فيها إنّي عايز أروح لـ"سلمى"، بس ماكُنتش قادر أعمل كده، ماكُنتش قادر أكلّمها لإنّي كُنت عارف إنّها خلاص تجاوزتني، وفي نفس الوقت كُنت عارف إنّي مش هرتاح إلا لو كلمتها، مسكت الموبايل في إيدي وجبت رقمها، بس مقدرتش أخُد القرار ده، رميت الموبايل على الكُرسي اللي جمبي مرة تانية، وأنا حاسس بالوجع والضعف، والعجز، لحد ما لقيت الموبايل بيرن فجأة، توقّعت إنّها هتبقى "نانسي"، بتكلّمني عشان تعرف أنا نزلت ليه، مسكت الموبايل وبصّيت فيه، في اللحظة اللي دوست فيها فرامل بكُل قوّتي في نُص الشارع، وأنا بقرأ الاسم اللي على الشاشة..

"سلمى".. "سلمى" بتتصل! فضلت ثابت في مكاني مبتحركش، لحد ما العربيات اللي ورايا فضلت تزمّر لي عشان أتحرك، عدلت العربية وركنتها على جنب، وفضلت باصص للموبايل، اللي كان لسّه بيرن، ماكُنتش عارف أعمل إيه، أرُد ولا مرُدّش، كُنت عارف إن دي أكتر حاجة أنا نفسي فيها دلوقتي، بس في نفس الوقت كُنت خايف، كُنت خايف لا يكون الموبايل رن عليها بالغلط ولا حاجة، في النهاية لقيت نفسي بغمّض عيني وباخُد نفس عميق، وبكتمه جُوّايا، وقبل الموبايل ما يقفل بثانية واحدة، ردّيت عليها، ردّيت وحطّيت الموبايل على ودني، واستنّيتها هيّ اللي تتكلم الأول، استنّيت أسمع صوتها عشان أتأكد إنها هيّ بجد، لحد ما لقيتها بتقول:

-"ألو.."

وحسّيت إن روحي ردّت فيّا بمُجرد ما سمعت صوتها، اتنهّدت بعُمق ومردّتش، سمعِت تنهيدتي وقالت بصوتها اللي بعشقه:

-"انتَ.. انتَ كويس يا حاتم؟"

دموعي نزلت غصب عنّي وأنا بفتكر أول مرة قالت لي الجُملة دي، من تسع سنين، لمّا شُفتها لأول مرة ووقعت من العجلة قُدّامها، وقع الجُملة عليّا وقتها كان هو نفس وقعها دلوقتي، نفس الفرحة، نفس القبضة، ونفس الراحة، ردّيت عليها وأنا بكدب وقُلت:

-"أنا.. أنا تمام"

-"مُتأكد؟"

مقدرتش أكدِب المرة دي كمان، مردّتش، فضلت ساكت لحد ما هيَّ اتكلّمت وقالت:

-"أنا حسّيت إنّك مش كويس، قلبي وجعني عليك فجأة، وقلقت، فَـ قررت أكلّمك."

كُنت بعيّط بصوت مكتوم عشان متسمعنيش، حاولت أتمالك نفسي عشان أقدر أرُد عليها، بس هيَّ سبقتني وقالت:

-"هو إحنا مُمكن ننزل نتكلم شوية؟"

-"دلوقتي؟"

-"آه، لو.. لو فاضي يعني، ولو مش هيضايقك!"

-"لا.. لا مش هيضايقني خالص، أنا.. أنا يُعتبر تحت البيت"

-"تمام، هجهز وأنزل"

-"تمام"

قُلت الكلمة الأخيرة واستنّيتها لحد ما قفلت، بصّيت في الموبايل وأنا لسّه مش مصدّق ولا مُستوعب إن المُكالمة دي حصلت فعلًا، بعد شهرين كاملين! مسحت دموعي، وحاولت أهدّي نفسي، بس مقدرتش أهدّي قلبي اللي كان بيوجعني جدًا، اتحرّكت بالعربية وركنتها تحت البيت، واستنّيتها عشر دقايق، أطول عشر دقايق عدّوا عليّا في حياتي تقريبًا، كُنت محتاج أشوفها جدًا، فجأة لقيتها نازلة من العمارة وبتتحرك ناحية العربية، ركبت وقعدت جمبي، وبعدين بصّت لي، حسّيت.. حسّيت إن الدُنيا كُلّها بكُل حاجة فيها متساويش حاجة قُدّام اللحظة دي، اللحظة اللي شُفت فيها عينيها مرة تانية بعد غياب شهرين كاملين، فجأة لقيتها بترفع حواجبها باستغراب وبتقول لي باهتمام حقيقي:

-"مالها عينيك؟"

سكت للحظة ومردّتش، لقيتها بتكمّل وبتقول:

-"انتَ.. انتَ كُنت بتعيّط؟"

بصّيت قُدّامي وبعدين قُلت:

-"لاء، تحبّي نروح فين؟"

فضلت باصص قُدّامي وأنا مستنيها ترُد، مكُنتش حابب عيني تيجي في عينها وأنا بكدِب عليها، هيّ فهمت ده، بصّت لي للحظة وبعدين قالت:

-"أي حتّة"

دوّرت العربية وفضلت ألِف بيها في الشوارع، كُنت بحاول أفتكر أي كافيه نقدر نُقعد فيه على راحتنا من غير ما نلاقي حد بيركز معانا وكده، متكلمناش خالص طول الطريق، كُنت بحاول أخطف نظرة لعينيها في كُل ملف وأنا ببُص في المراية اللي جمبها، كانت مُتوترة جدًا، وخايفة، زيّي بالظبط، فضلنا نلف بالعربية لحد ما دخلنا جاردن سيتي، وهناك افتكرت إنّي أعرف كافيه هادي وجميل نقدر نتكلم فيه براحتنا، ركنت العربية، ونزلنا إحنا الإتنين، دخلنا الكافيه وقعدنا على ترابيزة هادية في الكورنر، سألتها بتكلّف تشرب إيه، فَـ ابتسمِت بتكلّف هيّ كمان وقالت أي حاجة، في اللحظة اللي الويتر جه فيها وطلبت منّه اتنين نعناع، مشروبنا المُفضّل، فضلنا قاعدين ساكتين لحد ما الويتر نزّلنا الطلب بتاعنا، وبعدين مشي، انشغلت بتدويب السُكّر في النعناع في اللحظة اللي لقيتها بتقول لي فيها فجأة:

-"مش عايز تتكلم؟!"

-"مش عايز غير إنّي أتكلم"

-"وإيه اللي مانعك؟!"

-"نفس اللي مانعِك، الخوف"

-"أنا بحاول أتحكم فيه، عشان كده كلمتك"

-"وأنا كمان صدّقيني، بحاول أسيطر عليه من ساعة ما كلمتيني"

سكتنا شوية، هيَّ شربت من النعناع، وأنا كُنت بفكر في أي حاجة أقولها، لحد ما لقيتني بقول لها فجأة:

-"إيه أخبار الفيلم؟"

-"الحمد لله، خلّصنا من أسبوعين تقريبًا"

-"ربنا يوفقِك"

قُلت ها وأنا بمسك الكوباية بتاعتي، شربت منها شوية وبعدين قُلت من غير ما أبُص في عينيها:

-"وخالد.. أخباره إيه؟!"

-"معرفش"

قالت الكلمة الأخيرة وفاجئتني بيها، بصَيت لها وأنا مش فاهم، لقيتها بتقول لي:

-"قطعت علاقتي بيه بعد الشُغل ما خلص"

-"ليه عملتي كده؟!"

-"علشان.. علشان اعترف لي إنُه بيحبُني، وإنُه عايز يتقدِّم لي"

اتنهدت بعُمق وأنا بسمعها، مردْتش، لقيتها بتكمِل وبتقول:

-"مقدرتش أكمّل معاه وأنا.."

-وانتي إيه؟"

بصّت لي وقالت بنبرة صادقة:

-"وأنا بحب واحد تاني"

قالت الجُملة الأخيرة وبان عليًا التأثر غصب عنّي، لقيتها بتكمّل وبتقول:

-"أنا آسفة يا حاتم، أنا.. أنا ماكنش ينفع أقول الكلام اللي قُلته وقتها، بس انت لازم تقدَر الحالة اللي كُنت فيها، أنا كُنت مجروحة، وكُنت موجوعة منّك، في النهاية انت ماكُنتش موجود جمبي لمّا احتاجتك، فَـ لمّا ألاقيك بتظهر فجأة من العدم وبتضرب خالد بالوحشية دي! أكيد ماكُنتش هقدر أفكر كويس، انت مشوفتش نفسك يا حاتم وقتها!"

-"فاهم يا سلمى، وعارف إنّي غلطت لمّا سبتِك في التوقيت ده، بس زيّ ما قُلت لِك قبل كده، قرار بُعدي كان نتيجة، نتيجة لإحساسي بالإهمال من ناحيتِك وإحساسي إنّك بتميلي بمشاعرِك ناحية خالد! أنا عارف إنّي كان المفروض أتكلم وأقول اللي جُوّايا من ناحيته، بس مقدرتش، مقدرتش علشان.. علشان الغيرة مش حاجة سهلة الواحد يتكلم فيها يا سلمى!"

-"فهماك"

-"انتي كمان مقدرتيش تتكلمي لمّا حسّيتي إنّي متضّايق من فكرة إنّك اشتغلِي وأنا لأ، لإنّك حسّيتي إنّها صعبة عليكِي مش كده؟"

-"وحسّيت إنّها حاجة صعبة عليك انت كمان، كُنت بحاول مضايقكش زيادة"

-"وفي النهاية اكتشفتي إن دي ماكنتش المُشكلة أصلًا، وإنّي كُنت متضّايق بسبب خالد، وبسبب إهمالِك ليًا"

-"إهمالي اللي أنا كُنت فاكراه تقدير ليك ولحالتك وقتها، أنا لمّا لقيتك بترُد عليا وانت زعلان افتكرت إنّك زعلان عشان فكرة الشُغل، عُمري ما كان هييجي في دماغي إنك كُنت متضّايق من خالد"

-"عشان متكلّمتش، وأنا عُمري ما كُنت هترجم بُعدِك عنّي إنّه تقدير ليًا"

-"علشان أنا كمان متكلّمتش"

قالتها وسكتنا للحظة، ابتسمنا فيها بعدها بودّ حقيقي، وبعدين لقيتها بتقول لي:

-"يعني كُل ده إحنا كُنّا بنتخيّل بيننا وبين نفسنا إن في مُشكلة، والمُشكلة الحقيقية إننا.. إننا متكلمناش؟!"

ابتسمت وهزّيت راسي، في اللحظة اللي افتكرت فيها اللي حصل مع "نانسي" النهارده، فجأة حسّيت إن قلبي وجعني مرة تانية، لمّا تخيّلت إنّي هخبّي عليها اللي حصل، وحسّيت إنّه مينفعش أعمل ده، مينفعش مقولهاش! لاحظِت تغيّر ملامحي فجأة، فَـــ لقيتها بتميل عليّا وبتقول لي:

-"مالك يا حاتم؟ انت مش طبيعي من ساعة ما اتقابلنا، قول لي فيك إيه؟ متخبّيش عليّا!"

سكت للحظة، كُنت بستجمع فيها شجاعتي عشان أتكلم وأحكي لها اللي حصل، خدت نفس عميق، وبعدين ردّيت عليها وقُلت:

-"الفترة اللي فاتت كانت فترة صعبة عليّا أوي يا سلمى، كُنت لوحدي، لأول مرة من سنين، لأول مرة من ساعة ما عرفتِك، على الأقل انتي كان معاكي خالد بشكل ما، بس أنا.. أنا كُنت لوحدي تمامًا"

-"أنا آسفة يا حاتم، بجد آسفة"

بلعت ريقي وكمّلت كلامي من غير ما أعلّق على اعتذارها:

-"واللي زاد وغطّى إنّي لمّا قررت أراقبِك من بعيد، لقيتِك بتنزّلي صور ليكي مع خالد، وكان شكلِك مبسوطة وسعيدة جدًا وحسّيت.. حسّيت إنّك مُمكن تكوني تجاوزتيني بالفعل، وإنّك مُمكن تكوني روحتي بمشاعرِك لخالد خلاص، وإنّي بقيت بالنسبة لك ذكرى، ذكري لمّا بتفتكريها بتزعلي وبتضايقي، حسّيت إنّك نسيتيني يا سلمى، وده خلاني أعمل حاجات مكُنتش حابب إنّي أعملها"

فجأة لقيتها بتبُصّ لي بعدم فهم، سكت للحظة، وبعدين كمّلت وقُلت:

-"النهارده، لقيت نفسي بكلم نانسي"

-"نانسي؟! نانسي اللي كانت معانا في المعهد؟"

-"أيوة"

-"غريبة! انت عُمرك ما قُلت لي إنّكوا كُنتوا صُحاب!"

-"علشان إحنا مكُنّاش صُحاب فعلًا، نانسي كانت بالنسبة لي مُجرد زميلة زيّها زيّ غيرها، بس.. بس هيّ كانت أكتر واحدة بتحاول تقرّب منّي وتهتم بيّا في الأوقات اللي كُنتي بتختفي فيها من حياتي، وأنا كُنت بصُدّها دايمًا"

بصّت لي وهيّ لسّه مش فاهمة، وبعدين سألتني:

-"طب.. طب وكلمتها ليه؟"

-"علشان كُنت عايز أحكي لحد وأفضفض معاه، وملقتش حد يرضى يسمعني غيرها"

حسّيت إنُها ابتدت تفهم، لقيتها بتحاول تحافظ على جمود ملامحها عشان ميبانش عليها التأثّر، سكتت للحظة وبعدين قالت لي:

-"كمّل"

-"اتفقنا ننزل نُقعد في كافيه في وسط البلد، وطلبت منّي أعدّي عليها في البيت عشان نروح سوا، وصفت لي العنوان وروحت لها، ولمّا اتأخرِت عليّا كلّمتها، مردّتش، فَــ قررت أطلع عشان أستعجلها"

كانت بتسمعني والدموع بتتكوّن في عينيها، وكانت بتحاول بكُل قوّتها إنّها متتخيّلش الكلام اللي هقوله بعد كده، حسّيت إن قلبي لسّه واجعني، بس جيت على نفسي وكمّلت وقُلت:

-"طلعت، خبّطت عليها وفتحت لي، وطلبت منّي أدخُل عشان كانت بتدوّر على حاجة ضايعة منها، حاولت أرفُض، بس هيَّ أصرّت إنّي أدخُل، وبعدين آ..آ.."

دموعها ابتدت تنزل منها قُدّامي، حطّت إيدها على بُقّها، وبعدين قالت لي:

-"وبعدين إيه؟"

-"وبعدين، فهمت اهتمامها الزايد بيّا كان سببه إيه، فهمت هيَّ كانت شايفاني إزّاي وكانت عايزة منّي إيه، كانت.. كانت عايزة.."

مقدرتش أكمّل، ومكُنتش محتاج أكمّل، دموعي نزلت أنا كمان في اللحظة دي، وكان باين عليّا الحُزن والندم، أمّا "سلمى" فَـ بصّت الناحية التانية وهيَّ بتعيّط، وماكنتش قادرة تقول حاجة، روحت مكمّل بسُرعة وقايل:

-"بس أنا والله العظيم ما عملت معاها حاجة، مش هنكر إنّي.. إنّي كُنت هضعف للحظة، بس في النهاية مقدرتش، مقدرتش أخونِك يا سلمى! برغم إنّي كُنت مُتخيّل إنّك خلاص نسيتيني، وبرغم غضبي الشديد منّك ساعتها، بس برضو مقدرتش، مقدرتش أعمل فيكي كده، والأهم من كده كمان إنّي مقدرتش عشان هيَّ مش انتي! وأدركت وقتها إن مهما كان زعلي منّك، فَـ هو مش هيساوي حاجة قُدّام تعبي وزعلي لإنّك مش معايا! أدركت وقتها إنّي عُمري ما هحس مع أي بنت في الدُنيا مهما كانت جميلة ومهما كانت مُثيرة اللي كُنت بحسّه معاكِ انتي، سلمى.. أنا محسّتش ناحيتها بأي حاجة، محسّتش وقتها غير بالخوف والقرف والإشمئزاز، منها ومن نفسي، عشان سمحت لنفسي إنّي أوصل للمرحلة دي، محسّتش وقتها غير إنّي مش مرتاح! لإنّي عُمري ما جرّبت معنى الراحة الحقيقية غير وأنا ويّاكِ، صدّقيني يا سلمى، صدّقيني أنا.."

-"أنا عايزة أروّح"

قالتها فجأة بصوت ضعيف وهيَّ بتعيّط، بصّيت لها بحُزن وقُلت لها:

-"سلمى!"

-"روّحني يا حاتم لو سمحت أرجوك."

فضلت باصص لها وأنا شايفها بتعيّط بصوت مكتوم، ومرضتش أضغط عليها أكتر من كده، هزّيت دماغي وشاورت للويتر عشان يجيب الشيك، وبعدين حاسبته وقومنا، طلعنا من الكافيه، ركبنا العربية، واتحرّكنا، كُل ده من غير ما نتكلم ولا نقول أي حاجة، فضلت ساكتة طول الطريق مبتتكلمش، بتبص من شباك العربية للشارع علشان مشوفهاش وهيَّ بتعيّط، كُنت عارف إنّها موجوعة، وكُنت عارف إن أنا السبب في الوجع ده، بس في نفس الوقت كُنت عارف إن اللي عملته هو الصح، كان لازم أحكي لها، كان لازم أقول لها الحقيقة حتّى لو.. حتّى لو كان التمن خُسارتها مرة تانية..!

قرّبنا على الشارع بتاعنا، ماكُنتش حابب الكلام ينتهي بيننا كده، فجأة لقيتني بركن العربية على أول الشارع بسُرعة، اتخضَت وبصَت لي وهيَّ مش فاهمة، بصّيت لها، والكلام خرج منّي فجأة من غير ترتيب:

-"والله يا سلمى أنا ما عملت معاها حاجة، انتي مُمكن تتأكدي منها بنفسِك لو حابّة! أنا عايزِك بس تفكري للحظة، لو أنا فعلًا عملت معاها حاجة، كُنت هاجي وأحكي لِك؟! كُنت هخاف، بس إحنا اتفقنا إن كُل المشاكل اللي حصلت بيننا كانت بسبب إننا متكلمناش، فكان لازم أتكلم المرة دي، كان لازم أتكلم وأصارحِك بكُل حاجة عشان مفيش حاجة تعكّر علينا صفو حياتنا بعد كده، سلمى، أنا بحبّك، والله العظيم بحبّك و.."

-"وأنا كمان بحبّك"

فجأة، لقيت الكلمة بتُدخل قلبي زيّ النسمة، مكُنتش مصدّق ولا مستوعب إنّها قالت كده فعلًا، بصَيت لها وقُلت لها:

-"إيه!"

بصّت لي وهيّ بتدّمع وقالت:

-"أنا كمان بحبّك يا حاتم"

-"بجد؟"

-"أيوة، حاتم أنا فاهمة انت عملت كده ليه، وليه روحت لها، وفاهمة إن أنا مُمكن أكون سبب في اللي حصل ده بشكل ما، عشان ماكُنتش موجودة في حياتك وقتها، وعشان انت

افتكرت إنّي خلاص نسيتك وحبّيت خالد، بس.. بس غصب عنّي يا حاتم زعلانة، زعلانة ومش قادرة أتخيّل اللي كان مُمكن يحصل لو.."

دموعي نزلت معاها غصب عنّي، لقيتني بمسك إيديها فجأة وبقرّبها منّي، وبقول لها بكُل صدق:

-"أنا آسف يا سلمى، سامحيني، والله العظيم ما كُنت عايز أزعلّك كده، بس.."

-"عارفة يا حاتم، ومسامحاك، والله العظيم مسامحاك، بس غصب عنّي أنا.."

-"أنا مُستعد أعمل أي حاجة، أي حاجة يا سلمى علشان متزعليش منّي كده تاني، أنا خلاص، اقتنعت إنّي لو لفّيت الدُنيا كُلّها مش هلاقي واحدة تحبّني وتفهمني زيّك، انتي البنت اللي أنا عايز أكمّل معاها بقية عُمري، انتي البنت الوحيدة في الدُنيا اللي.. اللي.."

فجأة، لقيت الفكرة بتنوّر في دماغي بدون ترتيب، نبضات قلبي زادت وقطرات العرق ابتدت تنزل على جبيني، وحسّيت وكأن كُل حاجة حصلت ما بيني أنا و"سلمى"، كانت بتحرّكنا ناحية اللحظة دي، اللحظة اللي فكرت فيها في الفكرة دي، واقتنعت بيها بنسبة مية في المية، فجأة، لقيت نفسي ببلع ريقي بصعوبة، وبضغط على إيد سلمى برفق وحنيّة، وبقول لها بشفايف مُرتعشة:

-"سلمى"

-"أيوة يا حاتم؟!"

سكت لحظة، خدت نفس عميق، وجمّعت كُل شجاعتي وقُلت لها:

-"تتجوزيني؟"

بصّت لي وهيّ مش مصدّقة إن الكلمة طلعت منّي فعلًا في توقيت زيّ ده، حسّيت بالسخافة وهيّ بتبُصّ لي بذهول كده، وحسّيت بإن اللي قُلته ماكنش منطقي أبدًا، وإنّي ماكنش ينفع أقوله دلوقتي حتّى لو كُنت حاسّه وواثق ومُتأكد منّه، فضلت تبص لي وهيّ بتهز دماغها يمين وشمال وكإنّها لسّه مش مستوعبة إنّي قُلت كده، فضلت ساكتة وهيّ حاسّة بنبضات قلبي القوية والسريعة من ملمس إيدي، قلبي كان حرفيًا بيُنبض في كفّها، في اللحظة اللي لقيتها بتاخُد فيها نفس عميق، وبتبتسم، وبتقول لي:

-"موافقة!"

-"إيه؟ بتقول إيه يا حاتم؟"

-"ثانية واحدة بس.. انت عايز تقول لنا يا حاتم إنّك.."

ترررررن

في اللحظة اللي "شروق" و"يوسف" وقفوا فيها وقالوا لي كده وهُمّا مصدومين، وفي اللحظة اللي بقية العيال كانوا بيبُصّوا لي وهُمّا بيدمّعوا ولسّه مش مصدّقين اللي قُلته، في اللحظة دي لقينا جرس الباب بيرن فجأة، فضلوا يبُصّوا لبعض كُلّهم، وكأنّهم بيشوفوا إذا كان في حد منهم ناقص ولا لأ، وبعدين وقفوا كُلّهم مرة واحدة وبصّوا ناحية الباب، قُمت واتحرّكت ناحية الباب بسُرعة، وفتحته، فضلت واقف قُدّامه للحظة، وبعدين فتحته على الآخر عشان أسمح لهم يشوفوها، وفعلًا شافوها، شافوا بنت بعيون واسعة، لونها غريب، مقدروش يحددوه في لحظتها، بس لمّا ركّزوا قدروا ياخدوا بالهم من لونها، أو ألوانها، درجات البُنّي والاسود والأزرق الداكن، متحاوطين بدايرة لونها دهبي، زيّ زهرة عبّاد الشمس، رموشها كانت تقيلة، وبشرتها كانت صافية، أمّا شعرها فَــ كان اسود وطويل، ناعم ومُنسدل على كتفها، كانت مُبتسمة ابتسامة جميلة جدًا، كشفت عن غمازة في خدّها اليمين، واكتشفوا وقتها إن عينيها بتقفل بشكل حلو أوي، وهيّ بتبتسم! بصّيت لهم وشاورِت بإيدها في الهوا وهيَّ بتقول بصوت مُبهج:

-"إزيكم يا جماعة عاملين إيه؟"

-"سلمى!"

قالوها كُلّهم في صوت واحد وهُمّا مذهولين، لدرجة إنّها اتخضّت، بصّت لي وقالت لي:

-"انت قُلت لهم إيه؟"

-"قصدِك مقولتش إيه"

ضحكِت وأنا بقول الجُملة الأخيرة وبقفل الباب، وبعدين مسكت إيد "سلمى" واتحركت بيها ناحيتهم، وقفت قُدّامهم وشاورت عليها وأنا بقول بكُل فخر:

-"أقدم لكم سلمى، صاحبة عُمري، حُب حياتي، والإنسانة اللي قررت أكمّل معاها سنيني اللي جايّة كُلّها"

فضلوا باصّين علينا وعلامات الدهشة مرسومة على وشوشهم، في اللحظة اللي كمّلت فيها وقُلت:

-"في الحقيقة في سبب تاني ورا العزومة دي غير إننا نتكلّم ونفضفض وكده، أنا وسلمى جبناكم هنا النهارده عشان.. عشان نعزمكم على خطوبتنا، الأسبوع الجاي، زيّ النهاردة "

فجأة لقيتهم بيضحكوا رغم دموعهم، البنات اتجهوا ناحية "سلمى" وفضلوا يباركوا ليها بفرحة حقيقية كإنّهم يعرفوها من زمان، أمّا "يوسف" و"هشام" و"مُصطفى" فَـ جُم ناحيتي وحضنوني وهُمّا بيضحكوا من أعماق قلبهم، "يوسف" بصّ لي وقال لي:

-"أنا مش مصدّق.. انتوا بجد هتتخطبوا يا حاتم؟!"

-"أيوة"

راح "هشام" قايل بنبرة مُبهجة:

-"طول عُمرك غدّار ياض يا حاتم، خليتنا نفتكر إن الحكاية هتتقفل قفلة مش حلوة"

"مُصطفى" هز دماغه وقال:

-"أيوة والله، حرام عليك يا شيخ ده انت وقّعت قلبي"

ضحكنا كُلّنا، وبعدين رجعنا قعدنا في أماكننا تاني، "سلمى" جت قعدت جمبي، وقُلت لها إنّي حكيت لهم على حكايتنا من أولها خالص، وقد إيه تفاعلوا معاها، ضحكنا وهزرنا شوية، وبعدين لقيت "ياسمين" بتقول:

-"أنا بس عايزة أعرف حاجة يا سلمى، انتي إزّاي جات لِك الشجاعة إنّك تكلّمي حاتم في التوقيت ده؟! بعد كُل اللي حصل بينكوا"

لقيت "سلمى" بتبُصّ لي وهيّ بتبتسم، وبعدين ردّت على "ياسمين" وقالت:

-"أنا برضو كُنت مستغربة نفسي في وقتها، مش عارفة أنا إزّاي عملت كده، بس عارفة ليه"

-"ليه؟!"

-"علشان بحبّه، علشان بحبّه بجد، وعلشان كُنت مُتأكدة من جُوّايا إن هو كمان بيحبّني"

قالت الجُملة الأخيرة في اللحظة اللي لقينا فيها "ياسمين" مُنتبهة جدًّا ومشدودة للكلام، راحت "سلمى" مكمّلة وقايله:

-"حُبّي لحاتم حسّسني إن في حلقة مفقودة، وإن في حاجة ضايعة بيننا، فكرت في إن احنا الإتنين مُمكن نكون غلطنا في حق بعض، بغض النظر مين غلط أكتر من التاني، الفترة اللي بعدت فيها عن حاتم خلتني أفكر في كُل الكلام اللي قاله، حطّيت نفسي مكانه، وحسّيت بجرحه وألمه جدًا، وحسّيت إن هو كمان اتوجع بسببي زيّ ما أنا اتوجعت بسببه، وإن برغم كُل اللي حصل بيننا، مُمكن.. مُمكن يبقى لنا فُرصة تانية مع بعض، لو بس قدرنا نتكلم ونطلّع اللي جُوّانا، عشان كده اتكلمت"

ردّت "شروق":

-"حتّى وانتي حاسّة بالخُذلان من ناحيته؟"

-"أنا سامحت حاتم على عدم وقوفه جمبي لمّا فكرت في كُل الأذى النفسي اللي مر بيه، إحساسه بقلّة الاهتمام، إحساسه بالغيرة من خالد، وإحساسه إنّي ببعد عنّه وبروح بمشاعري لواحد تاني، هو مر بكُل ده لوحده، ومتكلمش، زيّ ما أنا متكلمتش لمّا حسّيت إنّه متضّايق من شُغلي، وإنّه مُمكن يقول لي في أي وقت سيبي الشُغل وأقعدي في البيت، بعدت عنّه ومرضتش أكلمه في أي حاجة وكُنت فاكرة إنّي كده بقدّره، في حين إنّي ماكُنتش عارفة! ولا حاتم كمان كان عارف ظروفي ومشاكلي في البيت لمّا قرر يجيب آخره ويقفل موبايله خالص، في الحقيقة احنا الإتنين خذلنا بعض، خذلنا بعض لمّا.."

-"لمّا متكلمناش"

قُلتها بصوت واطي وأنا باصص لـ"سلمى"، وبعدين كمّلت وقُلت:

-"المُشكلة الحقيقية بيننا كانت في سوء التواصل، كُل واحد فينا توقع أو تخيّل إن التاني بيبعد عنّه، وكُل واحد فينا سَبَب أسباب من دماغه يبرر بيها البُعد ده، سلمى افتكرت إن أنا مُمكن أكون متضّايق من شُغلها ومُمكن أحاول أهد أحلامها أو أحبِط فيها، في حين إن أنا معملتش ده، وكُنت مُستحيل أعمل ده، وأنا افتكرت إن سلمى مش مقدّرة غيرتي عليها وبتروح بمشاعرها لخالد، في حين إنّي مشوفتش موقف حقيقي بينها وبين خالد يخلّيني أقول إنّها مبتحترمش غيرتي، ولمّا خالد في النهاية اعترف لها بحُبّه مقدرتش تكمّل معاه، لإنّ عمرها ما راحت له بمشاعرها أصلًا زيّ ما كُنت فاكر، ولإنّها كانت بتحبّني أنا، فَــ كانت مُستحيل تعمل كده، وبعد كده لمّا رجعنا فهمتها إنّي انفعلت على خالد وضربته علشان

كان عايز يُحضنها في اللحظة دي، وبرغم إنّي اتماديت في ضربي ليه، إلا إنَّها قدّرت بعد كده إن اللي عملته ده كان غصب عنّي، وإن أي راجل بيحب بجد وبيغير على البنت اللي بيحبُها مُستحيل يشوف واحد تاني بيقرّب منها بالشكل ده وبيحاول يُحضنها ويُقف ساكت، كُل ده كان مُمكن يتحل من الأول لو كُنّا اتكلمنا، الفكرة يا شروق إن احنا متكلمناش، معبَرناش عن اللي جُوَانا وكتمنا في نفسنا، بس برغم كده، كُل واحد فينا كان عارف هو عايز إيه بالظبط، أنا برغم كُل اللي حصل كُنت عارف إنّي مش عايز غير سلمى، ومش هرتاح غير مع سلمى، ومش حابب أكمّل حياتي إلا وأنا وياها، وهيَّ كمان كانت مُتأكدة إنّها عايزاني، فهماني يا شروق؟ فاهمة أنا عايز أقولِك إيه؟"

"شروق" بصّت لي بحُزن، وبعدين هزّت راسها لمّا فهمت إنّي أقصد بكلامي "طارق"، اللي ماكنش مفهمها ولا معرّفها هو عايز منها إيه، سكتت وبصّت في الأرض، في اللحظة اللي "مريم" اتكلمت فيها وقالت:

-"طب والموقف اللي حصل مع نانسي يا سلمى؟ أنا مش قصدي حاجة والله، أنا عارفة إن حاتم معملش حاجة، بس.. بس الموقف نفسه أكيد كان تقيل عليكي، مش كده؟"

-"طبعًا، طبعًا يا مريم، الموقف كان تقيل عليّا جدًا، ومكُنتش قادرة أتكلم ولا أقول حاجة في وقتها، عشان كده طلبت من حاتم إنّه يروّحني، كُنت محتاجة أفكر مع نفسي شوية قبل ما أرُد عليه، علشان لو ردّيت ساعتها إحساسي وغضبي هُمّا اللي كانوا هيتكلموا، مش عقلي، في الطريق فكرت ولقيت إن حاتم تقريبًا اتحط في موقف شبه اللي أنا اتحطيت فيه مع خالد، موقف ضعف، كُنت تعبانة ومحتاجة أتكلم، وملقتش حاتم جمبي!

فَـ اتكلمت مع خالد، حاتم كمان كان تعبان ومحتاجني في الوقت ده، وأنا مكُنتش جمبه، فَـ اضطر إنّه يروح لنانسي عشان يتكلم معاها، وزيّ ما خالد كان بيحاول يقرب منّي، نانسي كمان حاولت تقرّب من حاتم، الموقفين يُعتبروا قُريبين جدًا من بعض، ده اللي خلاني أسامح حاتم في وقتها برغم صعوبة الموقف عليّا، ده غير إن أنا كُنت مُتأكدة يا مريم إن حاتم مُستحيل يخونني، مُمكن في لحظة ضعف واحتياج يقرّب من حد، ويحتاج إنّه يتكلم معاه، لكن هيفوق بسُرعة لإنُه بيحبّني أنا، وبيحبُني بجد، واللي بيحب بجد مُستحيل.. مُستحيل يخون يا مريم!"

"مريم" سمعت كلام "سلمى" الأخير وابتسمت لها، في اللحظة اللي "يوسف" قال فيها:

-"يعني.. يعني كُل اللي حصل بينكم ده كان سببه إنّكوا متكلمتوش مع بعض، سبتوا الدُنيا بينكوا لحد ما باظت، وحاولتوا تتجاوزوا بعض بس مقدرتوش، هيَّ محبّتش خالد، وانت.."

-"وأنا رفضت نانسي، زيّ ما انت بَعَدت ندى عنّك يا يوسف، لإنّك ببساطة محبّتهاش، لإنّك ببساطة لسّه بتحب.."

قاطعني فجأة وقال:

-"ياسمين!"

قالها فجأة بصوته المبحوح، راحوا كُلّهم باصّين له وقايلين في صوت واحد:

-"إيـــــه!"

علّق "مُصطفى" بعدها وقال:

-"ياسمين مين؟ ياسمين بتاعتنا!"

مقدروش يخبّوا صدمتهم، عُمرهم ما كانوا هيتخيّلوا إن "هدير"، البنت اللي "يوسف" بيحبّها، واللي كان بيحاول يتجاوزها بـ"ندى"، هيَّ في الحقيقة"ياسمين".

"ياسمين" صاحبتنا، اللي قامت وقت ما "يوسف" كان بيحكي حكايته عشان كانت عارفة إنّه مش هيقدر يحكي وهيَّ موجودة، عشان ميسببلهاش أي إحراج، تابعِت نظراتهم كُلّهم لـ"يوسف" و"ياسمين" وأنا مُبتسم، أنا الوحيد اللي كُنت عارف تفاصيل علاقتهم ببعض، والفترة اللي سابوا بعض فيها بسبب خناقة تافهة، ملهاش أي لازمة، ورفضوا برضو يتكلموا ويحلوها مع بعض، لحد ما وصل بيهم الحال لكده، "ياسمين" بصّت له والدموع في عينيها، في اللحظة اللي بصّ لها فيها هو كمان، وكمّل وهو متوتر وقال:

-"أنا.. أنا عارف إنّك مُمكن تكوني خلاص، نسيتيني، وبقيت بالنسبة لك ماضي مش عايزة تفتكريه، وعارف كمان إن كلامي مُمكن يلخبط لك حياتك خالص، بس أعذريني أنا.. أنا مش هقدر أفضل ساكت، أنا لسّه بحبّك يا ياسمين، معرفتش أنساكِ ولا أتجاوزِك أبدًا، معرفتش أعيش حياتي من بعدِك، ومعرفتش أي بنت قدرت تخليني أنساكِ وأنسى تفاصيلك، لا ندى ولا غيرها، ياسمين أنا لمّا شُفتِك مع شريف في الشارع حسّيت إنّي عُمري

ما هكون مرتاح في حياتي وأنا شايفِك مع واحد تاني، خصوصًا وأنا عارف من جُوّايا إن أنا.. إن أنا.."

-"أكتر واحد في الدُنيا فاهمني؟!"

قالتها بصوت مكتوم من العياط، في اللحظة اللي "يوسف" بصّ لها فيها وابتدا يدمّع هو كمان، فجأة لقيناها بترُد عليه وبتقول:

-"أنا كُنت مستغربة، مُشكلتي مع شريف مش مُشكلة كبيرة أوي كده مُقارنَة بمشاكلكوا، ومُقارنَة بالصفات الحلوة اللي كانت فيه، في ناس كتير مُمكن ميعتبروهاش مُشكلة أصلًا، كُنت مستغربة وأنا شايفاني بدقق فيها أوي كده، وحاسّة إنّي مش مرتاحة بسببها، بس لمّا فكّرت كويس اكتشفت إنّي عُمري ما واجهت المُشكلة دي معاك، انت أكتر واحد في الدُنيا كُنت بتهتم بيّا وبتفاصيلي، أكتر واحد كان بيعرف يسمعني ويهدّيني لمّا أكون متعصّبة، ويطمّني لمّا أكون خايفة، أكتر واحد بحب أتكلم معاه، كُنت غصب عنّي بقارن بين اهتمام شريف بيّا وبين اهتمامك انت بيّا، وكُنت بلاقي إنّي.. إنّي مش حابّة حد يهتم بيّا غيرك! ودلوقتي بس فهمت ليه يا يوسف، علشان.."

سكتت للحظة وبصّت في الأرض، مسحت دموعها وخدت نفس عميق، وبعدين قالت:

-"علشان أنا كمان لسّه بحبّك!"

ضحكت من قلبي في اللحظة اللي شُفت فيها "يوسف" وهو بيتنهّد بارتياح، ودموعه بتنزل منّه من غير حساب، قُمت بسُرعة وحضنته بكُل قوّتي، والعيال كانوا بيضحكوا وهُمّا لسّه مستغربين ومش مستوعبين، سبت "يوسف" في اللحظة اللي قرّب من "ياسمين" فيها ومسك إيدها، راحت "ياسمين" ماسحة دموعة بإيدها التانية في اللحظة اللي "هشام" كان بيقول فيها:

-"يا دين النبي على المُفاجآت يا جدعان! يوسف وياسمين؟ بس برافو، لعبتوها صح وعرفتوا تخبّوا علينا"

"يوسف" كان لسّه متوتر، بس كان فرحان، فرحان جدًا، فجأة لقيناه بيبُص لـ"ياسمين" وبيقول:

-"أنا مش مصدَق والله، مش مصدّق إن بعد كُل التعب ده وصلنا في النهاية لكده، فكرة إن أنا وانتي يبقى لينا فُرصة تانية.. كانت شيء شبه مُستحيل بالنسبة لي"
ابتسمت، وبعدين لقيت نفسي برُد وبقول:
-"العبرة في العلاقات في رأيي مش في البدايات ولا النهايات، العبرة مش في إن لازم شريك حياتي يتبهدل ويتمرمط ويعمل عشاني المستحيل - اللي أنا أساسا مش عارفه - عشان يثبت لي إنه بيحبني، العبرة من وجهة نظري الشخصية في إنه يكون بيعرف يعمل الحاجة الصح في الوقت الصح!"
طبطبت على كتف "يوسف" وابتسمت له، فَــ ابتسم لي هو كمان، في اللحظة اللي رجعت فيها لمكاني ومسكت إيد "سلمى"، وبعدين لقيت نفسي بكمِّل وبقول:
-"دور على شريكة لحياتك تكون قادرة تتصرف لما تتعب منها في نص الليل والوجع يبقى على آخره، البنت اللي هتقوم وتجيب لك الدوا المناسب لحالتك أو تعمل لك شوربة وسوائل سُخنة تدفيك وتُطرد الوجع من جسمك، ولو لزم الأمر إنّك تروح مُستشفى، تقدر تعتمد عليها إنّها هتتحمّل المسؤولية وهتفضل معاك لحد ما تبقى كويس..
دوري على شريك لحياتِك يكون فارق معاه أمانِك وسلامتِك أكتر من أي حد تاني، أكتر حتّى من نفسه، اللي يبقى عنده استعداد يكون معاكي في أي طريق وفي أي وقت خوفًا عليكي من أي مُضايقات مُمكن تحصل لِك، اللي اهتمامه بيكون مُقدّم منّه برغبة حقيقية إنّك تكوني بخير وفي أفضل حال، مش لمُجرد إنّه يبقى عمل اللي عليه وخلاص..
دور على بنت تبقى عارفاك، عارفاك للدرجة اللي تخليها تفرق ما بين لمّا تكون عايز تتكلم وتخرّج اللي جُوّاك، ولمّا تكون مخنوق ومش قادر تتكلم وعايز تقعد لوحدك، في الحالة الأولى هتسمعك وهتطبطب عليك وهتاخدك في حُضنها لحد ما تعيّط وتهدى وتستكين، وفي الحالة التانية هتسيبك تمامًا برغم قلقها وخوفها عليك، هتسيبك لحد ما تهدى وتصفى وتبقى كويس لوحدك، وترجع لها، ومش هتناقشك في إيه اللي كان مضايقك لحد ما انت تقرر تحكي لها بنفسك..
دور على واحدة تقدّرك، وتقدّر إن انت مش سوبر مان، تقدّر إن هييجي عليك فترات تبقى مش قادر تهتم، وتبقى محتاج بس اللي يهتم بيك، وفترات تانية هتبقى مضغوط

والمشاكل محاوطاك من كُل جانب، وحالتك النفسية في الأرض، دوّر على واحدة تفرح ببوكيه ورد بسيط في عيد جوازكم أكتر ما هتفرح لو جيبت لها خاتم ألماظ، لإنّها مقدّرة ظروفك وحاسّة بيك وعارفة إنّك لو تطول تجيب لها كنوز الدُنيا كُلّها تحت رجليها هتعمل كده، ولإنّها يهمّها القيمة الحقيقية اللي جاية من ورا الهديّة، مش قيمتها المادية، البنت اللي مش هتبقى محتاج تبرر تقصيرك ليها لإن مُجرد محاولتك لتبرير التقصير هو عبء تقيل عليك، لا انت هتلاقيها بتبص في عينيك وبتمسك إيدك بحنان حقيقي وبتقول لك، أنا فاهمة..

دوري على ولد مُهتم بمُستقبلِك وحياتِك العملية بنفس مقدار اهتمامِك انتي بيهم، اللي يشجعِك عشان مؤمن بيكِ وبقُدراتِك وإنّك تقدري تحققي أي حاجة انتي عايزاها، ويثبت ده بالأفعال، إنّه مثلًا يكون معاكِي في خطوات تحقيق حلمِك وميسيبكيش، وإنّه ييجي على راحته أوقات عشان يساعدِك في حاجة محتاجاها في شُغلِك، يقوّمك لمّا تُقعي، ويقول لِك إنّه واثق فيكِ لمّا تبدئي تشُكّي في نفسك، وإنّه يفضل معاكِي للآخر، لحد ما تحققي هدفِك وتوصلي لحلمِك، وتشوفيه واقف بعيد وبيبصّ لك بفخر واعتزاز، وكأنّه مكانش حلمِك لوحدِك، وكأنّه كان حلمه هو كمان..

دوّر على إنسانة فاهمة يعني إيه غيرة، وإن الغيرة من شيَم الرجولة، إنسانة تصونك في غيابك وحضورك وترفع من شأنك قُدّام أي حد، دوّري على إنسان بيغير عليكِي غيرة مُبررة ومنطقية، مش يبقى بيتحكم فيكِي وبيمنعك إنّك تعيشي حياتِك اللي ربنا وهبها ليكِي ويقول لِك أنا بغير عليكِي!

افتكري دايمًا إن نفسِك هيَّ رقم واحد، وإن حياتِك ومُستقبلِك أهم من أي حد، ولو الطرف التاني مقدرش يتفهم ده، يبقى ميستاهلكيش..

دوري على واحد تقدري تتكلمي معاه من غير خوف، الشخص اللي يقدر يحطّم كُل الجُدران النفسية اللي انت بانياها حوالين نفسِك، لو يستاهل، لو انتي حاسّة إنّه فعلًا يستاهل، ساعديه يحطمّها، خلي عندِك الشجاعة اللي تخليكِي تاخدي قرار زيّ ده، إنّك تفتحي له قلبك، وتكشفي له مخاوفِك، وتحكي له على أدق تفاصيلِك، كُل اللي انتي محتاجاه شوية إيمان، إيمان بإنّك تقدري تعملي كده، وتقنعي نفسِك إن دي الطريقة

الوحيدة اللي هتنجح العلاقة دي، لإن ببساطة، لو مش عارفين بعض، لو مش قادرين تتشجعوا وتتكلموا مع بعض، يبقى إزاي هيبقى اسمه شريك حياتِك؟!
وآخر وأهم حاجة، دوّروا على شريك لحياتكم يكون مُكتفي بيكم بنسبة ١٠٠%، مُستحيل يخونكم، مُستحيل يكذب عليكم، حد يكون شايفِك أجمل بنت في الدُنيا كُلّها، وتكوني مش عايزة راجل في الكون كُلّه غيره، تبقوا واثقين إن انتوا خلاص، مهما روحتوا وجيتوا وعرفتوا من أصناف الناس فَـ انتوا مش عايزين في الآخر برضو غير بعض، بعيوبكم ونواقصكم وكُل حاجة فيكم، العلاقة اللي بتكون واقفة على أساسات كتير مش أساس واحد، الحُب والمنطق والتفاهم والاحترام والتقدير والاهتمام، العلاقة دي هيَّ اللي تقدر تكمّل لأطول وقت مُمكن، وتعدّي أي ظروف مُمكن تقابلها"
بصّيت لـ"سلمى" وأنا ببتسم، وضغطت على إيدها بالراحة وأنا بقول:
-"العلاقة دي من وجهة نظري الشخصية.. هيَّ اللي نقدر نسمّيها العلاقة الحقيقية"
سكت فجأة بعد ما خلّصت كلامي، بصّيت لهم، لقيت منهم اللي بيبُص للتاني وهو مُبتسم، ولقيت اللي قاعد ساكت وسرحان في الكلام، "هشام" كان ماسك موبايله في إيده، بصّ لي، كان باين عليه جدًا إنّه عايز يكلمها، يكلم "فرح"، ويسمع منها اللي عايزة تقوله، هزّيت له دماغي بابتسامة، في اللحظة اللي قام فيها فجأة وقال:
-"أنا.. أنا هطلع البلكونة أعمل مُكالمة، ادعوا لي بس مكونش اتأخرت"
ابتسمنا كُلّنا في اللحظة اللي اتحرّك فيها ناحية البلكونة، لقيت "مُصطفى" بيقوم من مكانه وبيتحرّك ناحيتي وهو بيقول بنبرة متوترة:
-"عايزك يا حاتم لحظة"
ابتسمت لـ"سلمى" وقُمت معاه، وقفنا على جمب، لقيته ماسك الموبايل وبيقول لي:
-"أنا.. أنا هبعت لآية دلوقتي"
-"هتقول لها إيه؟"
-"هقول لها توافق على العريس"
بصّيت له من غير ما أبيّن أي رد فعل، وبعدين قُلت له:

-"إيه اللي خلاك تقرر كده؟"

-"كلامك يا حاتم، كلامك فتّح عيني على حاجات كتير مكُنتش شايفها"

-"كلامي بس؟"

بصّ لي، وبعدين بص ناحية "شروق"، في اللحظة اللي موبايل "شروق" رن فيها، بصّت في موبايلها وملامحها اتغيرت، فَـ فهمنا إنّه "طارق" بيحاول معاها مرة كمان عشان تيجي تودّعه في المطار، بصّت ناحية "مُصطفى" فجأة، اللي كان لسّه باصص لها ومشالش عينه من عليها، فضلت بصّه له للحظة، وبعدين لقيناها بتقفل على "طارق"، وبتقفل موبايلها خالص وبتحُطّه في جيبها، ربّعت إيديها، ودارت بعينيها بعيد عن "مُصطفى"، وهيَّ عارفة إنّه لسّه باصص عليها، وابتسمِت، ابتسامة حلوة جدًا، ابتسامة بنُوتة، في اللحظة دي لقيت "مُصطفى" بيبُصّ لي وبيقول لي وهو بيبتسم:

-"مش كلامك بس يا مُصطفى، مش كلامك بس"

ابتسمت له، وشُفت في عيونه نفس النظرة اللي كانت في عينيا، لمّا بدأت أشوف "سلمى" بطريقة تانية، لمّا انتقلت بالنسبة لي من كونها صاحبتي، لكونها حبيبتي، طبطبت على كتفه بالرّاحة، وبعدين بصّيت على العيال مرة تانية، "مريم" كانت بتتكلم مع "سلمى"، وكانت بتقول لها على قرارها تجاه "أحمد"، وإنّها مش هتروح الحفلة، "ياسمين" و"يوسف" كانوا عمّالين يتكلموا وكان باين في عيونهم اشتياقهم لبعض، كان شكلهم حلو أوي، وكُنت حقيقي مبسوط وأنا شايف "يوسف" فرحان كده، أمّا "نور" فَـ كانت ماسكة موبايلها وكأنّها بتقرا حاجة، لقيتها بتبتسم ابتسامة ساخرة كده، وبعدين قامت فجأة وقالت:

-"يا جماعة"

بصّينا كُلّنا، في اللحظة اللي قالت فيها:

-"هشام كان معاه حق، أيمن مستحملش فكرة إنّي كسّرت كلامه وجيت العزومة النهاردة، بعت لي رسالة دلوقتي بينهي بيها كُل حاجة بيننا، وقال لي إنّه مش مُستعد يفضل مع واحدة بتقلل منّه ومبتسمعش كلامه"

"مريم" قامت فجأة وراحت لحد عندها، مسكت إيدها وبعدين قالت لها:

-"ولا يهمك، ولا يهمك يا نور، متزعّليش نفسِك، صدّقيني ميستاهلكيش"

لقينا "نور" بتبتسم برضا وهيَّ بتقول:
-"أنا مش زعلانة خالص يا مريم"
بصّت لي وهيَّ بتضحك من قلبها وبتقول:
-"بالعكس، أنا فرحانة، بجد فرحانة إنّها جت منّه هو، لإنّي بعد اللي حكيته النهاردة وبعد اللي سمعته منكوا، حسّيت إنّي مش هقدر.. مش هقدر أكمّل معاه أبدًا، مهما كُنت بحبُه"
"مريم" ابتسمت لها، وكإنّها قالت اللي هيَّ كانت عايزة تقوله، دمِعت وحضنِتها بكُل قوّتها، في اللحظة اللي لقينا "هشام" بيُخرج فيها من البلكونة وهو بيضحك وبيقول:
-"أنا آسف جدًا يا جماعة، بس أنا مُضطر أمشي"
بصّيت له وقُلت له:
-"على فين؟!"
-"على إسكندرية، هروح أجيب فرح من المؤتمر، مينفعش أسيبها ترجع لوحدها بعد يوم مُهم بالنسبة لها زيّ ده"
قال الجُملة الأخيرة بفرحة حقيقية، فَـ فهمنا إن "فرح" اعتذرت له على اللي حصل منها، وإن كلامهم في النهاية وصلّهم لأرض مُشتركة، وإنّه قرر يدّيها فُرصة تانية، تقدّره فيها وتقدّر فيها غيرته، ابتسمت له وهزّيت راسي، في اللحظة اللي لقيت "يوسف" بيقوم فيها هو و"ياسمين"، وبيقول لي:
-"إحنا كمان لازم نمشي يا حاتم"
-"طبعًا، عايزين تلحقوا تُقعدوا مع بعض شوية قبل ما تروّحوا، محدّش قدّكوا النهاردة"
قُلت الجُملة الأخيرة بهزار فَــ ضحكوا عليها، وبعدين لقيت "يوسف" بيتحرك ناحيتي بوش مُبتهج وابتسامة منوّرة، حضني جامد، وبعدين لقيته بيقول لي:
-"أنا مُتشكر يا حاتم، مُتشكر على كُل حاجة عملتها علشاني، أنا حقيقي فخور إنّك صاحبي"
-"عيب يا ابني الكلام ده، أنا معملتش حاجة، عايزين نسمع أخبار حلوة قُريّب بقى"
-"بإذن الله، بإذن الله يا صاحبي"

حضني مرّة تانية في اللحظة اللي لقيت "هشام" بيقول فيها:

-"خلاص يبقى نمشي كُلّنا بقى، مين هييجي معايا أوصّله في سكّتي؟ مريم؟.. نور؟!"

"مُصطفى" اتدخّل فجأة وقال:

-"أيوة خُد مريم ونور معاك، وأنا هروّح مع شروق"

راحت "شروق" مايلة على "مُصطفى" وقايله باستغراب:

-"إيه اللي هيودّيك فيصل دلوقتي وانت طريقك لحدايق القُبّة؟ فُكّك يا ابني أنا هتصرف"

-"معلش، الوقت اتأخر، هبقى مطمّن عليكي أكتر لو وصّلتِك، وصدقيني دي حاجة هتبسطني جدًا، مُمكن؟"

قالها بنبرة هادية عشان محدّش يسمعه، "شروق" ابتسمِت، وهزّت راسها، في اللحظة اللي سألها فيها بنبرة متوترة:

-"هتعملي إيه مع.. مع طارق؟!"

-"مش هقابله"

-"بجد؟!"

-"بجد، وانت، هتعمل إيه مع آية؟"

سكت للحظة وبعدين قال:

-"هقول لها توافق على العريس"

-"مُتأكد إنّك عايز تعمل كده؟!"

-"عُمري ما كُنت مُتأكد من حاجة في حياتي قد ما أنا مُتأكد كده دلوقتي، الفكرة بس إنّي.. إنّي خايف"

-"خايف من إيه؟!"

-"خايف أكون ضيّعت الشخص الصح من إيدي عشان مشوفتوش من بدري شوية"

بصّت له بابتسامة نوّرت وشّها، وبعدين بصّت في الأرض ووشّها احمر، وبعدين بصّت له وقالت له بصوت واطي:

-" لو هو فعلًا الشخص الصح، أكيد هيبقى في فُرصة تانية، والقدر هيجمع بينكم تاني، صدقني، مهما عملت، مش هتقدر تمنع ده من إنّه يحصل"
فجأة لقيت الدموع بتتكوّن في عيون "مُصطفى"، بس لحقها قبل ما تنزل، وضحك بارتياح، ابتدوا يتحركوا ناحيتي في اللحظة اللي سمعت فيها "نور" وهيّ بتتفق مع "هشام" عشان تروح له الجيم، وهو كان بيقول لها على نظام تخسيس مخصوص علشانها، "مريم" كانت بتسلّم على "سلمى" وبتُحضنها بود، بعد ما خدوا أرقام بعض واتفقوا إنّهم يبقوا صُحاب، وفي اللحظة دي ماما خرجت من أوضتها عشان تودّعهم، سلّموا عليها كُلّهم وشكروها على الأكل والضيافة، وبعدين جُم يسلّموا عليّا واحد واحد، حضنت الولاد وسلّمت بحرارة على البنات، وأكّدت عليهم ميعاد الخطوبة عشان مينسوش، وبعدين نزلوا كُلّهم ورا بعض وهُمّا لسّه مُبتسمين أو بيضحكوا، حسّيت.. حسّيت إن كُلّهم كانوا فرحانين بجد، ودّعتهم جميعًا، وبعدين قفلت الباب وأنا مُبتسم، لقيت ماما بتاخُد سلمى وبيُدخلوا المطبخ عشان يغسلوا الأطباق سوا، "سلمى" بصّت لي بابتسامتها الجميلة، وبعدين دخلت المطبخ مع ماما، اتحرّكت بسُرعة ناحية البلكونة عشان أبُص عليهم بصّة أخيرة، شُفت "مريم" و"نور" وهُمّا بيركبوا مع "هشام"، وشُفت "ياسمين" و"يوسف" بيركبوا مع بعض، وبعدين بصّيت على "مُصطفى" و"شروق"، "مُصطفى" كان راكن عربيته الناحية التانية، فجأة لقيت "مُصطفى" بيمسك إيد "شروق" وهُمّا بيعدّوا الطريق، مش هبقى بكدِب لو قُلت إنّي لمحت ابتسامة "شروق" وفرحتها من عندي، حسّيت بسعادة داخلية عظيمة، لإنّي بشكل ما قدرت أساعدهم كُلّهم، أو بمعنى أصح، هُمّا قدروا يساعدوا بعض، ونزلوا من عندي وهُمّا مبسوطين، ومقررين يعيشوا حياتهم بشكل مُختلف، كُنت مبسوط بجد، مبسوط علشانهم، ومبسوط علشاني، بصّيت عليهم واتطمّنت إنهم ركبوا واتحركوا خلاص، وبعدين دخلت وقفلت البلكونة، اتحرّكت ناحية الصالة في اللحظة اللي شُفت فيها الكاميرا بتاعة "شروق" على الترابيزة! "شروق" نسيتها ومخدتش بالها منها وهيّ نازلة، مسكت الكاميرا، لقيتها فصلت شحن، شوية ولقيت موبايلي بيرن، طلّعته من جيبي وقريت اسم "شروق" على الشاشة، ردّيت عليها، لقيتها بتسأل على الكاميرا إذا كانت نسيتها عندي ولا لاء، قُلت لها إنّها معايا بس فاصلة، فَـ طلبت منّي أشحنها لو عندي

شاحن وهيَّ هتبقى تعدّي على ماما الصُبح بدري وتاخُدها منها وهيَّ رايحة الشُغل، قُلت لها حاضر، وقفلت معاها واتحركت ناحية النيش اللي كُنت شايل فيه الكاميرا بتاعة بابا الله يرحمه والشاحن بتاعها، الموديل كان قديم شوية طبعًا، بس الكاميرتين كانوا نفس الماركة، أول ما حطّيت الشاحن في الكاميرا لقيتها بتشحن، وبعدين فتحت فجأة لوحدها على الفيديو اللي "شروق" كانت بتسجله لمّا كُنّا بنهزر مع "مُصطفى" أنا و"هشام" في أول قعدتنا! واكتشفت إن "شروق" لمّا سابت الكاميرا على الترابيزة نسيت تقفل الفيديو، الكاميرا سجّلت حوالي ساعتين ونُص من غير ما تفصل، ابتسمت وشغّلت الفيديو، وضحكت على منظر "مُصطفى" وهو بيصوّت زيّ العيال، ركّزت في الفيديو أكتر، وابتديت أجرّي فيه شوية، شُفت "ياسمين" وهيَّ بتحكي حكايتها، جرّيت شوية كمان، وشُفت "مُصطفى" وهو بيتكلم وبيحكي عن "آية"، وفجأة، ابتدت تنوَر في دماغي فكرة! حسّيت بقبضة قوية في قلبي وأنا بتابع الفيديو والكلام اللي اتقال، الزاوية كانت جيبانا كُلّنا، فضلت أجرّي في الفيديو وأنا براقب انفعالاتنا وحركاتنا، حُزننا وفرحنا، دموعنا وضحكنا، كُل حاجة كانت واضحة، كُل حاجة كانت ظاهرة! فجأة سمعت صوت "سلمى" وهيَّ خارجة من المطبخ وبتقول:

-"أنا غسلت الأطباق كُلّها أنا وماما، هروّح أنا بقى عشان الوقت اتأخر، عايز منّي حاجة؟"

سمعت صوتها بس مسمعتش قالت إيه في وقتها من كُتر ما كُنت مشدود للفيديو وبتابعه بعيني، خدت بالها إنّي مردّتش، وخدت بالها من نظرتي الغريبة وتركيزي في الكاميرا، اتحرّكِت لحد عندي وجت وقفِت جمبي وهيَّ بتقول:

-"حاتم، حاتم انت كويس؟"

مردّتش، فضلت باصص على الفيديو وبجرّي فيه، راحت باصّة عليه هيَّ كمان، وابتدت تاخُد بالها من اللي أنا خدت بالي منّه، الصورة، الكلام، الحوار، الانفعالات، الأفكار، القيمة، القيمة، القيمة..

القيمة اللي جُوّاه!

فجأة، لقيتني ببُص لـ"سلمى"، قلبي كان بيدُق بسُرعة جنونية، وإيدي كانت بتترعش من فرط الحماسة، فجأة، لقيتني ببتسم لـ"سلمى"، ابتسامة اكتشاف شيء جديد، وفكرة جديدة، ابتسمت من قلبي وبعدين لقيتني بقول لها:

-"سلمى.. تيجي.. تيجي نعمل فيلم؟"

****

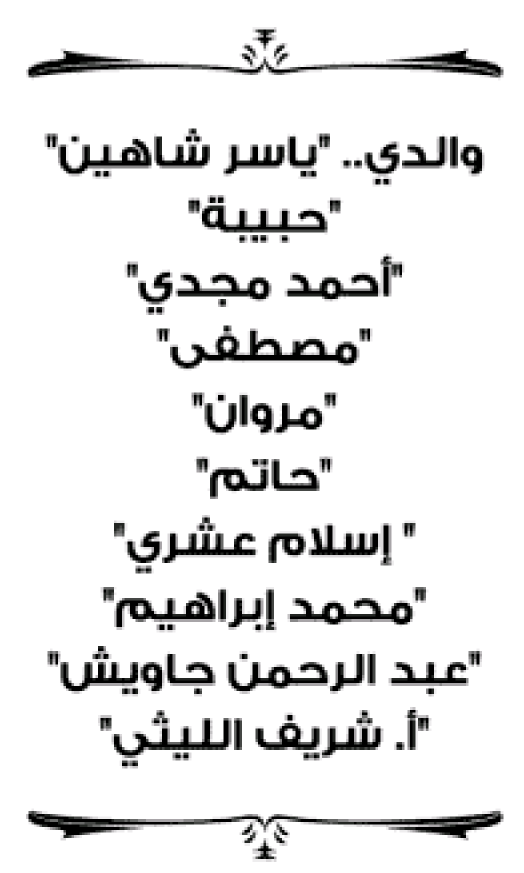
النهاية

تمّت بحمد الله

19نوفمبر 2018 جاردن سيتي..القاهرة

شكر خاص

العمل الأدبي مش بيكون مجهود شخص واحد بس، بيكون مجهود مجموعة من الأشخاص اللي لولاهم مكانش العمل ده هيُخرج للنور أبدًا، حابب أقدم شُكري وتقديري لـ..



والدي.. "ياسر شاهين"
"حبيبة"
"أحمد مجدي"
"مصطفى"
"مروان"
"حاتم"
" إسلام عشري"
"محمد إبراهيم"
"عبد الرحمن جاويش"
"أ. شريف الليثي"

شكرًا من الأعماق على مجهوداتكم، لكم منّي وافر الحُب والعرفان.